

١

AUTUMN
2010

الإنسان والتطور

مجلة دار فصلية

مجلة دار فصلية

خريف 2010

الإنسان والتطور دار فصلية



خريف 2010



إصدارات شبكة المعلوم النفسي العربي

الإنسان والتطور إصدار فصلية

فريج ٢٠١٥



يعتني بالقضايا

الفهرس

- الأحد 21-10-2007 :
4 - حوار حول عن الإدمان 51
الثلاثاء 23-10-2007 :
10 - "أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (1) 53
الإربعاء 24-10-2007 :
17 - "أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (2) 54
طارق "في حرکية خياله" مع اختبار إسقاطي
الاثنين 21-01-2008 :
27 - الأسرة والثقافة والطب النفسي 143
والإدمان (1)
الثلاثاء 22-01-2008 :
37 - الأسرة والثقافة والطب النفسي 144
والإدمان (2)
الأحد 02-03-2008 :
43 - الإدمان، ومنظومة القيم 184
الاثنين 03-03-2008 :
52 - ظاهرة الإدمان: خلفية وتساؤلات! 185
الثلاثاء 04-03-2009 :
57 - فروض محتملة في خلفية الإدمان 186
الإربعاء 05-03-2008 :
62 - ما الذي "تقوله" ظاهرة الإدمان؟ 187
الأحد 09-03-2008 :
67 - مراجعات وموافق، وملامح المخرج 191
من الإدمان
الأحد 20-04-2008 :
76 - عن القيم المسئولة عن ترويج الإدمان 233
الاثنين 12-05-2008 :
85 - الله: في الإثنى عشرة خطوة وعلاج الإدمان 255
الإربعاء 14-05-2008 :
90 - توضيحة لازم وإجابات موجزة 257

- الثلاثاء 2008-11-11 :
93 - ملف الإدمان: الحق في الألم: ضد الرفاهية (1)
الإربعاء 2008-11-12 :
100 - عودة إلى ملف الإدمان: الحق في الألم:
تضييق الإدمان في : هذا الجو الأسرى:
الرائق المنضبط المسطح الناجع الرخوه
المسامحة
الثلاثاء 2008-11-25 :
116 - الحرمان من الحق في الألم ،
والرفاهية المتساحة (3) والإدمان
(تعقيبات وردود)
الإربعاء 2008-11-26 :
123 - الحرمان من حق الألم (4)
تحريك الوعي قسراً، وأوهام التغيير،
(الإدمان: دفع لنمو كاذب)

الأحد 21-10-2007

51- ملخص وارهان من الأدلة

مقدمة

وأنا أقلب أوراقى - وهذا مرة أخرى من أهم أفضال هذه النشرة اليومية - وجدت كتاباً بأكلمه بعنوان "إشكالية الإدمان، والقيم المعاصرة"، من 245 صفحة من القطع الكبير، (لم ينشر طبعاً) تأليف العبد الفقير إلى رحمة الله ونظرته منكم، وفي صفحة 29 وجدت فيه حديثاً رَدَّدْتُ فيه على عدد من الأسئلة الهامة حول هذه "الكارثة الرائعة"، وتصورت - دون أن أتأكد - أن هذا الحديث موجود في مكان ما بالموقع،

لكنني عدت أتساءل: كم من زوار الموقع عامة، والمتابعين لهذه النشرة اليومية خاصة، سوف يعثر على هذا الحديث التهام عن ظاهرة الإدمان؟ ثم إن تذكرت أن كثيراً مما ظهر حتى الآن في هذه النشرة، قد يكون إعادة، أو تخيلاً، أو اقتطاف مما هو موجود في مكان آخر بالموقع،

إذن!! هذا مسموح، فاخترت أن أنشر هذا الحديث بأقل قدر من التدخل، وإن كنت لا أذكر: مع من أجريته؟ وهل نشر أم لا؟ ولا أين؟

كل هذا يجعله أحق بالنشر، أو إعادة النشر هنا.

سؤال & جواب عن الإدمان

1- من هو المدمن؟!

هناك تعريف طي أكاديمي للإدمان، تكرر حتى فتنز، وهو يعرف المدمن بأنه من اعتاد حتى اعتمد على مؤثر كيميائي، طبيعي أو صناعي من خارج جسده، حتى أصبحت خلياه لا تستغني عنه.

إلا أن التعريف الذي اقترحته ذات مرة بعد الزيارة الأخيرة الدائرة هو الإدمان هو أعم وأشمل، حيث أرى: أن المدمن هو من اعتاد - بأى وسيلة - على تعتمد وعيه، حتى أغلق اهتمامه، وسكن إلى اعتمادية ضارة، سواء كانت هذه الاعتمادية المستمرة والمعطلة هي اعتمادية على أحد أو على فكرة، أو على عقيدة أو على وصفة طبية كيميائية إلخ.

2- متى يصبح أن نصف إنساناً ما بالإدمان؟

بالتعريف السابق، يمكن أن نصف أغلب الناس بذلك، وإنما بهماني لا يبالغ بالعميم، فأكتفى بأن أضع ثلاثة شروط لوصف "المتعاطي" (والمتعاطي غير المدمن!) بهذه الصفة (بالمعنى السلي) ، وهي:

1- التعود حتى العجز عن التخلص مما يتعاطاه

2- وتعتيم الوعي على حساب الوعي العادى المسئول

3- والضرر الناتج عن هذا ذاك، بما في ذلك الإعاقة عن التكيف، وإيذاء الذات، أو الآخرين.

3- هل يشمل الإدمان عامة بالتعريف الواسع الذي ذكرته: المخدرات، الكحوليات، المكبات بأنواعها، التدخين، الطعام والشراب، وغيرها من بعض السلوكيات المعتادة والشائعة؟! نعم، يشمل كل ذلك، بل وأضيف عليها أنه يشمل: الأفكار والمعتقدات، وبعض طرق البحث (العلمي!!!!) وبعض طرق التفكير، بل وبعض طرق الترفية، مثل إدمان العادات الاستهلاكية.

وأنا لا أستطيع أن أفصل الدعاية التي تهامنا ليل نهار لترويج لها يسمى مجتمع الرفاهية، أو للسوق حبوب السعادة والطمأنينة الكيميائية التي يوزعها الأطباء، لا أستطيع أن أفصل هذا أو ذاك عن المصيبة التي نعيشها وأنتها الإدمان (في صورته السلبية) فكل منها يتروج لنوع من سبل الاستسهاlement والخذر، وإن اختفت اللغة وتتنوع التبرير.

4- إلى أي مدى تصدى الإعلام المصري - والعرب- لظاهرة الإدمان، بالتوسيف والشرح والتحليل ووسائل الوقاية والعلاج، وغيرها.. هل كان منصفاً أم مبالغ أم صادقاً أم مزيفاً للحقائق؟!

إلى المدى المضحك والمزعج معاً.

أنا لا أنكر الاجتهاد وحسن النية من كل من حاول وحاول.

ولكن صدقيني أنا كنت أشاهد أحياناً في التليفزيون مقابلات مع مدمنين وأطباء هي أقرب إلى المسرح الفكاهي السخيف. بالله عليك: على من نضحك بهذه البرامجه؟.

وأحياناً كنت أستمع للنصائح باعتبارها توجيهات إلى ضعاف العقول لا أكثر، وليتها توجيهات تلبيق.

ثم عندك مسألة الأفلام (فيما عدا العار)، شاهدت أفلاماً ترسم صورة المدمن كأبهج، وأصدق، وأخف دماً من أي ملتزم (قفل) آخر في الفيلم، خاصة لو كان يدرس الدكتورة !! (فيلم الكيف مثلاً)،

ثم فيلم آخر (فيلم الوحل) يتروج إلى أن الإدمان ليس له علاج في مصر، ثم يكاد يقول في النهاية: إن العلاج في الخارج وعلى نفقة الدولة هو الحل.

يا صلاة النبي!!!

أهذا هو دور الإعلان!! والفن؟.

ثم هذا الذى نشر في صحيفة يومية طوال شهور . كان أغلبه للأسف مستورد، ورغم حسن النية وبخاته في إثارة حوار حول المشكلة، إلا أنه انتهى بشكل أو بآخر إلى النصح والإرشاد، واستيراد الأفكار والمناهج من الخارج، بشكل حرف تقريباً.

لقد كدت أشك أننا نضر القضية بفرط النشر حولها هكذا، بل بهذا الحديث الذى أدى به حالياً.. أيضاً، ولو لا أننى أعلم أن غيري سوف يفتى - بلا تردد - بما اعتبر نفسي مسنوحاً عن سطحيته، وضرره (لو امتنعت) لما فتحت فمي بكلمة.

- 5- ما هو تأثير المخدرات - تحدداً - على مخ الإنسان - أجزائه ومكوناته وعمله ونشاطه ووظائفه - الأخلايا العصبية والأوردة الدموية والعقل الباطن والوعي، والذاكرة، والتفكير، وغيرها من مكونات وأجزاء المخ، وعمله ووظيفته؟!

هو تأثير سيئ جداً، على كل هذا.

ولكن ماذا يفيد المدمن من هذا التأكيد الخطابي كله، أو من تفصيل في ذكر معلومات أكاديمية جافة إن غير المدمن لا يهمه هذا.

وأهل المدمن يعرفون الشر والأذى والضرر أكثر من أي طبيب، والمدمن ليس هنا من أصله ،

فلمن نكرر مثل هذا الترهيب، والتخويف ليل نهار، ونحن نعدد معلومات ليس لهافائدة عملية!؟؟.

- 6- لو أن إنساناً ما، شُ晦َّ معينة من المخدرات.. ما الذي يحدث- بالتحديد- منذ استنشاقه، أو شُ晦َّ لهذا المخدر أو ذاك، من خلال أنفه.. ما هو الطريق الذي يسلكه المخدر- من فتحة الأنف- حتى يحدث تأثيره على المخ والجسم حياة الإنسان، بشكل عام؟!

بالتالي عليك هل هذا مفيد نشره في الصحافة العامة؟

ثم إشاعة أن شبة واحدة تكفي للوقوع في هاوية الإدمان، هو حديث أشبه بالدعائية إلى قوة المخدرات التي لا تقاوم، وهو توريط لمن يخطئ مرة واحدة بالصدفة، وهو نوع من التهويل الذي يجعل الشاب يستسلم قبل المعركة بزمان.

إننى اعتبر أن الأهم هو أن نعلن أن الترويج المباشر وغير المباشر للمخدرات الكيميائية بواسطة الأطباء عامة وأطباء النفس خاصة هو الخلقية التي تساهم في تفاقم هذا الخطر، وذلك نتيجة لغسيل المخ الذى تمارسه ليل نهار الدعاية المفرطة لضرورة الأدوية المهدئة كجزء لا يتجزأ من طقوس الغزارة، وكمظهر للمتطلبات الأساسية لمجتمع الرفاهية قبلة الإنسان

المعاصر على مستوى العالم، هذا وذاك هو الذي يؤدى بنا إلى ثقافة التخدير التي يترعرع فيه الإدمان.
فكأن الناس، فالمدنين خاصة، يقولون للأطباء والساسة وقيم العصر:

ما دام الأمر قد ينذر بتخدير، فقد جربنا وثبت أن بضاعكم نصف نصف، لا تقوم بالواحد، فلنأت البيوت من أبوابها، وهات يا تخدير حق وحقيقة.

7- بالنسبة: هل يختلف تأثير المخدرات الطبيعية - الخيش والأفيون وغيرها - عن الأخرى التخليلية والمركتبة، فيما تحدثه من آثار؟!

طبعاً مختلف: ولكن ما جدوى هذا السؤال - أيضاً - بالله عليك؟

في تصورى أن المهم هو أن نفرق بين تعنعة الوعى، وهو أمر ضروري للحركة العقلية، وخاصة الحركة التي تمارس التفكير الآخر، والإقدام على اختراق المسكنات العقلية التي تكبل وجودنا، وبين تعتمid الوعى، وهو ما ينتهى إليه تعاطى أي مخدر أو منبه.

وحن قد مسحنا، وشجبنا، وحرمنا، كل نشاط حماعي أو فكري يساعد على حركة التفكير القليلة الكريهة نحو الاكتشاف والإبداع، فاضطر الناس إلى تحريره وعيهم (تعنته) بالمخدرات، والمنبهات الطبيعية (الخشيش) أو الصناعية (العقاقير)

ثم رحنا نلومهم، ونعاذ لهم

قولوا لي بالله عليك، مادام الرقص الجماعي مرفوض (عيي، وقلة أدب)، والذكر (ذكر الله في الموالد، وفي الحفلة الأسبوعية أو الشهادية في الأرياف، ربما زمان!) يعتبر من قبل السلطات الدينية، الأخلاقية: "دجل وشعوذة"، كما يعتبر الزار تخلفاً، ولا يبقى لنا إلا أن ننام أمام التليفزيون بعد الساعة الواحدة صباحاً؟ فماذا يتبقى بما يسمح لحركة العقل أو الجسد أن تكتشف الحياة وتعمقها وتعيد تخليقها؟، أفالاً يؤدى كل هذا "المحظوظ على حركية الوعى" إلى أن يلجا الشباب - فيما يشبه الاحتجاج - إلى تحرير عقولهم بهذه المركبات الكيميائية المفحة السامة؟ بما يؤكد لهم أنهم ما زلوا أحياء لهم حقهم في الاختلاف حتى الموت خدا؟!!

8- طيب: هل يختلف التأثير بين المخدرات - طبيعية كانت أم تخليلية - عن الكحوليات التي يجري تناولها عن طريق الفم.. وهل تؤثر الكحوليات في المعدة والأمعاء والكبد أكثر.. أم في المخ والخلايا العصبية أكثر؟!

مرة أخرى: ما فائدة الأجابة المتحذلة على مثل هذا السؤال مهما بدأ إجابة علمية.

الإجابة بالختصر المفيض هي:

طبعاً مختلف، وكله أكثر من كله!!!!.

وأنا أعنى بهذه السخرية أن المسألة ليست مسألة تنافس في الإضرار، صحيح أن على الطبيب أن يعرف مفاسعات هذا ومصائب ذاك، كما أن عليه أن يحقق تحديد موقع الفرر بشكل خاص، ولكن الأمر بالنسبة للشخص العادى (الذى هو مشروع المدمن بشكل أو باخر) هو مختلف، لأن الشخص العادى لا يختار العقار الذى سيصيب كبدة دون خذه، أو سيضر معده دون صدره، بينما ينبعى أن يكون مدخلنا إلى هذه المسائل مختلف من مخاطب إلى مخاطب. **فالملوـمة الطـبـيـة الأـكـاديـيـة** قد لا تعنى شيئاً لا عند المدمن، ولا عند الشخص العادى، في حين أن **المـلـوـمة التـطـبـيـقـيـة** التي تسد حاجة المسائل وتهديه إلى أهدافه هي التي تجدر بنا أن نقدمها للناس.

إن كل هذه المواد المخدرة لها استعمالاتها الطبية المناسبة، وبالتالي لها فوائدها، بجوار أضرارها طبعاً، وحتى تغيير الوعي الذي هو هدف أساسى في عملية الإدمان قد يكون مطلباً طبياً في وقت من الأوقات، سواء أثناء عملية العلاج المكثف لبعض الأمراض النفسية أم في أزمات النمو الخاصة، والوظيفة التي يؤديها أي "مـغـيـر لـلـوـعـى" لـلـوـعـى هي وظيفة ذات حدين، ففي حين أن التعنتة التي تسمح بالحركة التي قد تكون مطلباً محدوداً في وقت ما، فإن **التـعـتـيم** ثم **الـخـو** هو ضرر مطلق في نهاية الأمر، والمصيبة أن غير الطبيب لا يفرق بين تعنتة وتعتيم، وحتى الطبيب وهو يستعمل عقاقيره الطبية أحياناً ما يتجاوز الحد بين التعنتة، والتقطفين، أو بين التخدير والتذهبيل (من الذهول)، كذلك هو أحياناً ما يتخطى مرحلة التعنتة - التي قد تكون إيجابية - دون أن يتبين متى ولا إلى أين هو ذاهب بهذا التحرير المحسوب أو غير المحسوب للوعي.

وكل هذا ينبغي أن يتناول بأكبر قدر من الشجاعة والمسئولية والعلم والأخلاق والالتزام، بدلاً من الهرب وتوزيع قشور المعلومات، ونشر النصائح الزائفة، والمعلومات الناقصة

9- بعد كم جرعة أو شهـة أو قطـعة أـفـيـون أو حـشـيش أو كـأسـ خـمر، يـصـبـحـ إـلـإـنـسـانـ مـدـمـنـاـ؟

هذا أمر مختلف من فرد لفرد.

فونستون تشرشل كان يشرب برميلاً من الخمر، وهو رئيس وزراء، وأديب، وفنان، وإنسان ولا يعتير مدمناً.

وسيد درويش كان مخزن مخدرات متنقل، وقد ترك لنا في سنوات ما لم يقدر حق قدره حتى الآن.

وأسهان كانت تتعاطى كل ما يتعاطاه، وما لا يتعاطاه ثلة بأكملها من المدمنين.

ولكن هذه حالات فردية لا يقياس عليها، لكن القصد من ذكرها هو التنبيه على أن **التـعـمـيم** هو ضد العلم وهو يشوـهـ الحقائقـ، وأن المسـأـلةـ لهاـ دـائـماـ - أـكـثـرـ مـنـ وجـهـ، وأـكـثـرـ مـنـ

حساب، وأن الفروق الفردية شديدة الأهمية والدلالة، وأن ظروف التعاطي مختلف، ولابد من حساب كل حالة على حدة، ولا داعي للترويج لحكاية شبة واحدة تكفى للغوص في بئر الإدمان، كما ذكرنا في بداية الحديث.

10- لو كان إنسان ما مدمنا.. كيف يقلع؟! ولو لم يكن، كيف يتتجنب ويتحاشى ويتقى الإدمان؟!

أولاً: أحب أن أؤكد عكس النغمة الشائعة التي يغلب عليها قدر كبير من اليأس والتعجيز فيما يتعلق بعلاج الإدمان، فأقول: إن للإدمان علاج.

فقط لابد من تحمل الإلتزام بالعلاج الطويل المدى بما في ذلك حدوث بعض النكسات.

ثانياً: أحب أن أتبين أن مجرد الإنقطاع عن المخدر ليس هو العلاج، ولكنه المرحلة الأولى فحسب.

ثالثاً: أحب أن أؤكد أن المدمن لا يحتاج إلى من يقول له هذا مضر، وكفى، وإنما يحتاج إلى بديل يحقق له ما كان يتصوره سيتحقق بالمخدر.

لابد أن نفهم أن المدمن (مثل أي إنسان) يحتاج إلى صحبة طريفة شريفة، بدلاً من الصحبة الذاهلة الغافية.

(وهذا هو دور العلاج الجماعي والتأهيل في مجتمع علاجي، ثم المجتمع الأوسع بعد ذلك وقبل ذلك)

إن المدمن (كما أي إنسان) يحتاج إلى تحرير وعيه (تعنته بطريقه أكثر أماناً مع آخرين

وهو (مثل أي واحد) يحتاج إلى تحرير الإبداع الذي يصاحب نوع من تغيير الوعي الأخلاق، حتى لا يحتاج إلى المخدرات والمواد التي تفتعل تحرير الوعي، لكنها سرعان ما تقهر المقاولة بالتعتيم بعد التعنته)

وهو أخيراً يحتاج (مثلكم جميعاً) لأن يختبر وجوده حتى لا يلغى نفسه وكيانه وراء غيامة المخدر.

وكل هذا وارد في العلاج في المجتمع العلاجي،

ومعسكرات العمل والتأهيل المتمدد.

كما أنه لازم لنا جميعاً للوقاية من كل أنواع الإدمان بلا استثناء.

- الأهرام: رئيس التحرير أيامها أظن من أكثر من عشر سنوات.

الثـلـاثـاء 23-10-2007

53—"أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (1)

مقدمة

لأول مرة منذ صدرت هذه النشرة اليومية، يصدر هذا الباب الذي كنا نسميه "حالات وأحوال"، وكان المتبع فيه أن نعرض مقتطفاً من "أحوال" حالة بطريقة ليست تقليدية، ونحاول أن نقرأ "معنى ما يقوله المريض" بأعراضه ومن خلال أعراضه، ولا نكتفى بتسميتها (هلاوس - اكتئاب . . . الخ) بل إننا كثيراً ما كنا نحاول أن نتجنب تسميتها، كما نتجنب عادة وضع لافتة تشخيصية معينة، ما أمكن ذلك، حتى لا يختزل المريض إلى ما يُسمى به مرضه.

المريض - أي مريض - هو عالمٌ آخر "ما هو"، يقول بأعراضه وب:flexible ويتفسخه أحياناً أبلغ وأعمق مما يقوله السليم، ومن الأقوال التي تستعمل بسطحية شديدة قولهم "خذوا الحكمة من أفواه المجانين" وأظن أنه قد آن الأوان أن يتعدل هذا المثل إلى قول آخر يقول "اعرفوا أنفسكم من خلال صدق المجانين" أو "أكملوا وجودكم من دروس المجانين"، أو أتموا مشوار المجانين بشطارتكم ماداموا هم قد أجهضوا -مسيرتهم"- . . . الخ.

المهم هنا هو الباب يعود، ونأمل أن يكمل ما بدأناه، وأن يتطور إلى ما يفيد .

قبل أن نبدأ في عرض "بعض" حالة اليوم نود أن ننبه إلى ما يلى :

أولاً: إنها **أحوال أكثر منها حالة**، وأحوال هذه الكلمة يستعملها المتصوفة المبدعون الذين تعلم منهم وهم على في ذرورة وجدهم، كما نتعلم من المجانين وهم يغوصون إلى جب كهوف ذواتهم، ما لم نلحظهم فيستجيبون

ثانياً: إنها **"بعض حالة"** وليس كل الحالة ، ونحن نريد أن نتعلم ونعلم الناس محاولة فهم بعض لغة "المرض" قبل ومع لغة "المرضى" ، مهما كانت موجزة أو مجرد عينة .

ثالثاً: إننا لن نتوقف كثيراً عند الأسباب كما يجب كل الناس أن يفعلوا، ومثلهم يبدو التحليليون خاصة ، وأغلب المعالجين، والأطباء النفسيين، فتنقلب المسألة من البحث عن

سبب لا يكـن إـزالـتـه عـادـة (فـهـو فـي الـماـضـي غالـبـاـ) إـلـى تـبـيرـهـ وـالـتـمـاسـ العـذـرـ، مـاـ قـدـ يـعـطـلـ مـسـيـرـةـ الـعـلاـجـ، وـلـاـ يـؤـدـيـ بـنـاـ إـلـىـ فـهـمـ الـمواـجهـةـ الـخـالـيـةـ الـقـىـ نـنـطـلـقـ مـنـهـاـ خـوـ الشـفـاءـ.

رابـعاـ: إـنـ اـسـمـ الـمـرـيفـ الـمـوـجـودـ هـنـاـ خـتـلـفـ طـبـعـاـ عـنـ حـقـيقـةـ اـسـمـهـ، كـذـلـكـ، كـلـ الـأـسـمـاءـ وـالـتـفـاصـيلـ الـأـسـرـيـةـ وـبـعـضـ الـتـارـيـخـ، حـتـىـ لـاـ يـكـنـ التـعـرـفـ عـلـىـ صـاحـبـ (أـوـ صـاحـبـةـ الـحـالـ) بـأـيـ حـالـ مـنـ الـأـخـوـالـ.

خامـساـ: إـنـ لـعـرـضـ كـلـ حـالـةـ أـوـ أـيـةـ أـحـوـالـ "غـرـضاـ خـاصـاـ" مـنـ خـلـالـ "فـرـضـ خـاصـاـ"، وـنـنـصـ الزـائـرـ الـقـارـئـ أـلـاـ يـغـلـبـهـ حـبـ الـاستـطـلـاعـ، فـتـشـغـلـهـ تـسـاؤـلـاتـ بـعـيـدةـ عـنـ الـمـعـرـوفـ، لـأـنـ الـمـسـأـلـةـ لـيـسـتـ جـمـعـ مـعـلـومـاتـ، أـوـ رـصـ أـسـبـابـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ، بـقـدـرـ مـاـ هـيـ "عـرـضـ لـعـيـنـاتـ"، "وـخـدـيدـ مـعـنـىـ"، "وـإـعـالـمـ فـكـرـ" "وـتـشـغـيلـ حـدـسـ" وـكـلـ ذـلـكـ لـإـمـكـانـ إـلـاحـاطـةـ بـأـبعـادـ "الـفـرـضـ" الـمـعـرـوفـ.

وـالـآنـ إـلـىـ الـحـالـةـ

هـوـ شـابـ -ولـنـتـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ "طـارـقـ"- فـيـ السـابـعـةـ عـشـرـةـ مـنـ عمرـهـ، الثـالـثـ مـنـ ثـلـاثـةـ أـخـوـةـ وـأـخـوـاتـ أـشـقاءـ، طـالـبـ فـيـ الـثـانـيـةـ الـعـامـةـ، لـهـ أـخـ وـاحـدـ أـكـبـرـ مـنـهـ (يـعـانـيـ مـنـ نفسـ الـمـشـكـلـةـ)، وـهـوـ مـنـ الـطـبـقـةـ الـمـتوـسـطـةـ الـأـعـلـىـ الـتـىـ كـوـنـ عـائـلـهـ نـفـسـهـ وـأـعـالـ أـسـرـتـهـ بـالـشـطـارـةـ، وـالـسـفـرـ، وـالـصـبـرـ، وـالـمـاـوـلـةـ، وـالـخـطـأـ، ثـمـ التـرـيـخـ، وـالـأـمـلـ، وـالـتـرـاـخـيـ).

الـفـرـضـ

أـوـلـاـ: إـنـ كـلـمـةـ "دـمـاغـ" الـتـىـ يـسـتـعـمـلـهـاـ غالـبـيـةـ الـمـدـمـنـينـ، إـنـاـ تـشـيرـ إـلـىـ تـغـيـرـ كـيـفـيـ (نـوـعـيـ) فـيـ الـوـعـيـ فـيـ درـجـةـ مـنـ "الـوـعـيـ" (الـدـرـايـةـ awareness) بـهـذـاـ التـغـيـرـ (الـوـعـيـ بـالـوـعـيـ).

ثـانـيـاـ: إـنـ تـعـدـ مـسـتـوـيـاتـ الـوـعـيـ الـبـشـرـىـ (الـمـقـابـلـ لـتـعـدـ تـرـكـيـبـاتـ مـنـظـومـاتـ الـدـمـاغـ=ـالمـخـ)ـ، وـأـيـضاـ المـقـابـلـ لـتـعـدـ الـذـوـاتـ دـاخـلـنـاـ، هـوـ الـذـىـ يـسـمـحـ بـهـذـهـ النـقلـةـ مـنـ مـسـتـوـىـ وـعـىـ إـلـىـ مـسـتـوـىـ وـعـىـ آخـرـ، وـأـيـضاـ يـسـمـحـ بـالـتـولـيـفـ الـمـمـكـنـ بـيـنـ بـعـضـ مـسـتـوـيـاتـ الـوـعـيـ لـيـحـقـقـ مـنـ خـلـالـ ذـلـكـ تـغـيـرـ كـيـفـيـ مـعـنـ، كـائـنـ وـعـىـ آخـرـ يـتـخلـقـ.

ثـالـثـاـ: المـفـروـضـ أـنـ هـذـاـ التـغـيـرـ هـوـ أـمـرـ طـبـيعـيـ، وـيـتـمـثـلـ أـسـاسـاـ فـيـ تـغـيـرـ حـالـةـ الـوـعـيـ بـيـنـ النـومـ الـبـيـقـطةـ، وـأـثـنـاءـ النـومـ بـيـنـ حـالـةـ الـخـلـمـ وـالـلـاحـلـمـ، وـغـيـرـ ذـلـكـ مـاـ سـيـأـتـيـ ذـكـرـهـ، وـحـينـ لـاـ تـتـاحـ الـفـرـصـةـ لـكـلـ هـذـاـ، يـسـودـ مـسـتـوـىـ وـعـىـ وـاحـدـ طـوـلـ الـوقـتـ، وـهـذـاـ الـمـسـتـوـىـ إـمـاـ أـنـ يـتـصـلـبـ، أـوـ يـبـهـتـ، أـوـ يـبـرـمـجـ بـانـغـلـاـقـ دـوـاـرـهـ إـلـاـ فـيـ قـطـاعـ الـاـغـرـابـ وـالـأـدـاءـ الـيـوـمـيـ الـخـالـيـ مـنـ الـطـزـاجـةـ وـالـتـجـددـ.

عـرـضـ الـمـقـطـفـاتـ الدـاعـمـةـ لـلـفـرـضـ

إـنـ هـذـاـ الشـابـ، فـيـ هـذـهـ السـنـ الـبـاـكـرـةـ استـطـاعـ بـدـقةـ مـتـنـاهـيـةـ وـصـفـ تـنـوـيـعـاتـ وـتـشـكـيلـاتـ مـنـ التـغـيـرـ الـكـيـفـيـ لـلـوـعـيـ، وـهـوـ مـاـ أـسـاهـ (كـمـاـ يـسـمـيهـ أـغـلـبـ الـمـدـمـنـينـ)ـ "دـمـاغـ"ـ، هـذـاـ مـاـ اـسـتـنـتـجـنـاـ مـنـ شـكـواـهـ وـنـصـ أـقـوـالـهـ كـمـاـ يـلـىـ:

(1) أنا من زمان كنت باشوف "خالي" الصبح يقعد يتخانق ويزعق ويسب الدين، وبالليل كان لما يشرب حشيش كان بيتتحول وبيقى إنسان تاف خالمه، أنا ساعتها ماكنتش أعرف إن دى مخدرات، وبدأت أعرف إن الواحد عنده دماغ تانية غير دماغه.

هذا الشاب بدأ التعاطى من سن 12 سنة (أى قبل تسجيل هذا التاريخ الذى يجكى به جسم سنوات)، ونلاحظ كيف، وهو فى هذه السن الباكرة، لاحظ الاختلاف الواضح بين حالة حاله وهو بدون مخدرات، حالته بعد التعاطى، مما جعله يرجع من تلقاء نفسه أن المخ البشري له أحوال نوعية مختلفة (غير تقلب المزاج، واختلاف العواطف، وتبدل الآراء، وهذا الكلام التقليدى الطوى النفسي المعاد) عرف الصي هذا التغير من خلال تغير أحوال حالة كلها كلها على بعضها، وهو ما نفترض أنه يقابل الوعى، كما يحب أن نقدمه، وهو هو ما أسامه هذا الشاب لاحقاً (فالأغلب) الدماغ ..

"بدأت أعرف إن الواحد عنده دماغ تانية غير دماغه".

في هذه السن الباكرة دعونا نفترض أنه مع دقة الملاحظة التي يجكى بها هذا الشاب، لو كنا أحسنا الاستماع إليه، ومن ثم إلى حاجته إلى اكتشاف هذه الدماغ الثانية من خلال طرق طبيعية، تعرف النقلة النوعية في المراهقة كما تعرف كيف يمكن أن يعمل الشباب (وكل الناس) دماغاً (تغيراً في الوعى) من خلال حياة متحركة صحيحة، يعملون دماغاً أى يسمحون بحركة نفع، وطراوة إدراك، ونبض فكر، يتتيح تنقلاً بينوعى ووعى، أقول لو أتنا عرفنا كيف يمكن لهذا الشاب أن يستجيب للاحظته تلك "إن الواحد عنده دماغ تانية غير دماغه"، لما كان هذا الشاب وصل إلى ما أراد معرفت هكذا :

(2) وكنت عايز أوصل للدماغ دية، وأعرف هي إيه الدماغ اللي بتحول البنى آدم بالشكل ده ،

أعيده: لو أتنا عرفنا هذا الصي كيف يصل إلى هذه الدماغ الثانية بطرق تربوية حياتية حرافية جدلية إبداعية سليمة، لما احتاج إلى دخول إلى مغامرة هذا التحرير الكيميائى بإدخال سموم الإدمان من خارجه إلى داخل جسده وجوده .

لم نفعل،

فماذا فعل هو لاكتشاف سرّ هذه الدماغ الثانية في هذه السن المبكرة؟

(3) فقررت أسرق سيجارة من خالى وأشربها وكان عندي 11 سنه، وفعلاً شربتها وعملت لي دماغ 24 ساعة، وكانت مبسوط جداً حسيت إن إنسان تاف وفعلاً العيشه إقولت.

لاحظ هنا تعبر: "حسين إن إنسان تاف، وفعلاً العيشة أخولت".

هـذا وـهـو مـازـال فـي الـخـادـيـة عـشـرـة .

هـل هـنـاك لـدـيـنـا فـعـلـا وـسـيـلـة لـتـحـوـيل الـعـيـشـة "نوـعـيـا" إـلـى أـخـسـرـنـا فـي هـذـه السـن فـي الـخـيـاة الـعـادـيـة؟ .

أـطـنـ الـاجـابـة بـالـنـفـيـ، وـهـذـا لـا يـبـرـ أـن نـسـتـسـلـم لـذـلـكـ، (وـإـلـا فـلـمـاـذـا هـذـه الـيـومـيـة؟)

فـإـذـا كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ فـعـلـيـنـا أـن نـعـيـدـ النـظـرـ فـي نـظـمـ الـتـرـبـيـةـ، وـعـدـدـ الـفـرـسـ، وـمـدـىـ الـمـسـاحـةـ، وـحـرـكـيـةـ الـخـيـالـ فـي هـذـه السـنـ بـالـذـاتـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ .

(4) وـبـدـأـت أـعـرـفـ الـخـمـرـ وـبـقـيـتـ أـشـرـبـهـ مـعـ الـخـيـشـ.

مـعـ تـغـيـرـ الـمـوـادـ وـخـلـطـهـا حـسـبـ الـظـرـوفـ وـالـتـجـارـبـ يـتـغـيـرـ الـوـعـىـ (يـحـصـلـ الـدـمـاغـ) فـيـحـقـقـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـمـبـتـدـئـينـ التـغـيـرـ الـمـنـاسـبـ الـذـىـ يـسـعـىـ إـلـيـهـ فـيـ غـمـوـفـ مـسـطـلـعـ، لـيـكـتـشـفـ بـالـصـدـفـةـ، أـوـ بـالـتـجـربـةـ وـالـخـطاـ، أـوـ بـالـتـقـلـيدـ أـوـ بـالـتـبـادـيلـ وـالـتـوـافـيقـ .

تـتوـاـصـلـ هـذـه الـخـاـواـلـاتـ مـعـ هـذـا الـفـتـىـ مـنـذـ هـذـه السـنـ الصـغـيرـةـ وـهـوـ يـكـتـشـفـ الـاـخـتـلـافـاتـ الـنـوـعـيـةـ بـنـتـهـىـ الـمـهـارـةـ .

(5) وـفـضـلـتـ كـدـهـ حـوـالـىـ سـنـهـ كـلـ مـاـ "أـعـرـفـ دـمـاغـ" بـاـبـقـىـ عـاـيـزـ أـعـرـفـ "فـيـهـ تـافـ وـلـاـ لـأـ".

يـلـاحـظـ هـنـاـ أـنـ اـسـتـمـرـارـ الـوـعـىـ الـجـدـيـدـ "المـصـنـوـعـ" هـوـ هـوـ، وـتـكـرـارـهـ كـمـاـ هـوـ، يـقـرـبـ بـهـذـا الـوـعـىـ الـمـصـنـوـعـ مـنـ نـوـعـيـةـ الـوـعـىـ الـعـادـىـ الـمـغـرـبـ الـذـىـ هـرـبـ مـنـ هـذـا الـفـتـىـ بـالـتـعـاطـىـ، فـالـصـيـصـىـ هـنـاـ لـاـ يـبـحـثـ فـقـطـ عـنـ نـوـعـيـةـ وـعـىـ بـذـاقـهاـ يـرـيدـ أـنـ يـصـلـ إـلـيـهـاـ وـيـكـرـرـهـاـ، بـلـ هـوـ دـائـمـ التـطـلـعـ إـلـىـ الـمـجهـولـ بـتـجـديـدـ غـيرـ مـاـلـوـفـ لـوـعـيـهـ، لـيـسـ بـالـفـرـورـةـ إـلـىـ الـأـخـسـرـ أوـ الـأـعـقـمـ بـلـ مـجـرـدـ "وـعـىـ آخـرـ"، نـوـعـ مـنـ الـدـرـاـيـةـ وـالـإـدـرـاكـ خـتـلـ عـمـاـ هـوـ فـيـهـ "أـعـرـفـ فـيـهـ تـافـ وـلـاـ لـأـ".

(6) أـوـلـاـ مـاـ ضـرـبـتـ "الـبـيـسـهـ" ضـرـبـتـهـاـ حـقـنـ لـاـ شـمـ وـ لـاـ حـرقـ، وـعـرـفـتـ الـدـمـاغـ الـعـالـيـهـ وـ(ـعـرـفـتـ)ـ يـعـنـيـ إـلـيـهـ: شـخـصـيـتـ كـلـهـاـ إـتـغـيـرـتـ.

مـعـ تـمـادـىـ التـبـادـيلـ وـالـتـوـافـيقـ بـدـأـ طـارـقـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـعـطـىـ أـحـيـاناـ إـلـاـ لـكـلـ حـالـةـ مـنـ حـالـةـ الـوـعـىـ الـقـىـمـقـهـاـ، وـقـدـ وـصـلـ هـنـاـ إـلـىـ اـسـمـ الـأـسـمـاءـ الشـائـعـةـ وـهـوـ "الـدـمـاغـ الـعـالـيـهـ" .

هـنـاـكـ مـسـتـوـىـ مـنـ الـوـعـىـ الإـبـدـاعـىـ يـسـمـىـ "الـوـعـىـ الـفـائـقـ"ـ وـهـوـ الـذـىـ يـشـتـملـ عـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ مـسـتـوـىـ مـعـاـ فـيـ جـدـلـ خـلـاقـ، فـيـكـونـ إـبـدـاعـ .

هـذـهـ التـسـمـيـةـ "الـدـمـاغـ الـعـالـيـهـ"ـ الـقـىـ أـطـلـقـهـاـ طـارـقـ عـلـىـ آـخـرـ ماـ وـصـلـ إـلـيـهـ مـنـ تـوـلـيفـاتـ الـوـعـىـ هـيـ -ـ فـيـ الـأـغـلـبـ الـوـجـهـ الـسـلـيـ لـنـفـسـ الـظـاهـرـةـ، أـىـ أـنـهـ مـثـلـ أـكـثـرـ مـنـ مـسـتـوـىـ وـعـىـ "تـنـشـطـ مـعـاـ"ـ، وـلـكـنـ دـوـنـ تـوـلـيفـ بـاـقـ قـادـرـ عـلـىـ إـفـراـزـ

أى وجود أو نتاج إبداعي، ومن صفات هذه الدماغ العالية (وأيضاً الوعي الفائق في الإبداع) أنها تغمر الوجود كله، فهي ليست تغيراً في العواطف أو في الأفكار أو في الإدراك وإنما في "كلية التواجد" التي غير عنها هذا الفتى بـ "... وعرفت الدماغ العالية (عرفت) يعني إيه: شخصيتك كلها تتغيرن".

ثم يتمادي في الوصف:

(7) حسيت إن باشا، وإن الدنيا كلها تحت رجليها وعرفت يعني إيه "طعم الحاجات"، وعرفت إنه مفيش دماغ بعد كده وبطلت الخمرة.

لاحظ تعبير "طعم الحاجات"

الأرجح أنه مع هذا التغيير النوعي في الوعي نوع الإدراك كلّ، حتى تصل التجربة بصاحبها إلى "ذروة ما"، يعرف من خلالها فيم يستمر، وماذا يدع (هنا طارق استغنى عن الخمر) لكن مهما كانت هذه الذروة فهي إذا استمرت وتكررت لا تصبح "هي التي هي" ،

إن تغيير الوعي، وهو الذي يسعى إليه طارق، وأمثاله، دعونا نسميه "التغيير في ذاته" هو المهم وهو الدماغ، وطارق هنا يفرق بين تحقيق وعي آخر يتكرر وقد يثبت فيبيوخ، وبين التغيير في ذاته لذاته .

(8) .. والدماغ بدأ تنقل، ومنجيتش زى زمان، فبدأت أخذ حاجات تانية، علشان أوصل لنفس الدماغ، وبدأت أخذ ابتنيل وترامادون عشان أوصل لنفس الدماغ، وفجأة شهر العسل خلق. . .

مع استمرار التعاطي لنفس التوليفة يختفي فعل "التغيير" حتى لو بقي مستوى الوعي الجديد ولا يصبح "زى زمان" ، طارق يضيف هنا أنه لكي يصل إلى ما يريد عليه أن يقوم بتجديـد الصـنـف أو بـخـلـطـة بـموـاد جـديـدة لـتحـقـيق الدـمـاغ الـذـي أصـبـح يـعـني "التـغـيـير" ، إنـ الـهـدـف كـمـا ذـكـرـنـاـ لمـ يـعـد إـبـدـاـلـ وـعـيـ بـوـعـيـ ، وإنـماـ هوـ التـغـيـيرـ نـفـسـهـ ، فـهـوـ الـذـي يـعـطـيـ لـلـتـعـاطـيـ مـعـنـىـ وـطـارـقـ حـينـ أـضـافـ كـلـ مـاـ أـضـافـ مـنـ تـولـيفـاتـ جـديـدةـ ، لـمـ يـعـقـقـ مـاـ أـرـادـ مـنـ تـغـيـيرـ مـفـطـرـدـ طـوـلـ الـوقـتـ ، لـمـ يـنـجـحـ ، وـرـبـماـ هـذـاـ مـاـ أـسـاهـ (ـفـيـ هـذـهـ السـنـ) "فـجـأـةـ شـهـرـ العـسـلـ خـلـقـ" .

ثم جـاءـ طـارـقـ إـلـىـ حـاـوـلـةـ أـخـرىـ تـكـادـ تـثـبـتـ الفـرـضـ الذـىـ نـعـرـضـهـ هـنـاـ بـشـكـلـ مـبـاـشـرـ ، جـاءـ إـلـىـ الـانـقـطـاعـ عـنـ التـعـاطـيـ ، لـبـسـ كـخـطـوـةـ أـوـلـ فـيـ الـعـلـاجـ ، أـوـ بـدـاـيـةـ تـوـبـةـ نـصـوحـ ، وإنـماـ لـيـعـاـوـدـ الضـرـبـ مـنـ جـديـدـ ، فـيـسـتـشـعـرـ التـغـيـيرـ (ـأـىـ يـحـقـقـ الدـمـاغـ = حـرـكـيـةـ تـغـيـيرـ الـوعـيـ)

(8) كنت أريـحـ خـمـسـ أـيـامـ ، أـسـتـحملـ أـعـراـضـ الـانـسـاحـ ، . . . أـرـجـعـ أـصـرـبـ تـافـ ، وـاـكـتـشـفـتـ انـ دـهـ كـويـسـ جـداـ .

هكذا يصر هذا الصي أن يعلمنا بذكاء فائق أن المسألة ليست هذه المادة أو تلك يقدر ما هي تغير الوعي، فكأنه هو - بتلقائية "التجربة - والإعادة"، يتوقف ويتحمل أعراف الانسحاب، لا ليكف عن التعاطي، ولكن ليعود فيشعر بالتغيير الذي يسعى إليه، إذا ما عاد إلى الضرب، وقد تحقق له ما أراد، وكأنه عالم يبحث ليكتشف: وما هو قد اكتشف إن ده كويس جداً.

(8) علشان ده كان بيخليني أوصل لنفس الدماغ اللي كنت بدور عليها،

مرة أخرى: فهو مازال يبحث عن نوعية تغير الوعي المتميزة بنقلة ما، وليس على حالة وعي بذاته.

ثم يستمر الحال ويتبع التغيير، وتصبح تلك المواد جزءاً ثابتاً من الوعي الجديد الذي يبدأ في "الجمود" لأنه يستقر ويسكن بفعل هذا الانتظام المدعى بـ"المادة" هي، فتتقلب وظيفة المواد التي كانت تقوم بالتغيير إلى أن تقوم بـ"عزم" من التماسك "في المثلث" وهي تعجز عن التغيير كما كانت سابقاً.

(8) بقىت باضرب في الفترة الأخيرة علشان أمسك نفسى، ماكنتش باعمل دماغ.

حين تحول المواد الجديدة هكذا لتصبح مهمتها هي لثبت حالة ما، وفي نفس الوقت يصبح الاستغناء عنها مهدداً بالتناحر حتى الجنون، يضطر المدمن إلى تعاطيها ليتماسك: "يمسـك نـفـسـه" وليس ليتعنت الجمود كما كان يفعل في البداية.

(9) أنا طول الوقت عندي أفكار ضرب، وفاكر إن لما آخر من هنا لو ضربت حاعمل نفس الدماغ بتاعتـة زمان، أنا كنت دايـأ عـارـف إـنـ مـليـشـ غـيرـ الـبـوـدـرـةـ.

مع دخوله للعلاج وامتناعه -قسرـاـ غالـباـ- عن التعاطي، يفقد طارق دماغه (حركةـةـ التـغـيـيرـ) التي كان يصنعها بنفسه، إذ يفقد فرصة معاودة تجديد العابه للتغير الأدمغة (حالات الوعي) الواحدة تلوه الأخرى، وهو هو ينتظر في شوق خروجه، ربما لأنه ينتظر أنه حين "يضرب" بعد خروجه، وقد انقطع طول هذه المدة، سوف يصل إلى وعي جديد تماماً، كأنما يضرب لأول مرة، فيطلب -أثناء العلاج- يحافظ على "أفكار الضرب" حين تناح الفرصة من جديد.

وحين تطول به المدة، ولا يتحقق كل ما يريد، يبدى تحركاً بطيناً كأنه يحاول أن يأخذ فرصة التوقف، ويلوح له أنه: "كفاية كده"، لكنه يظل يتغزل في هذا الوعي الآخر.

(10) نفسي أبطـلـ وأعيشـ باـشاـ، مـفيـشـ حاجـهـ قـهـرـافـ ولا مـسيـطـرهـ عـلـياـ، بـسـ الدـمـاغـ التـانـيـهـ بـتـاعـتـيـ حـاتـوـشـنـيـ جـداـ. نفسـيـ أـبـطـلـ آـنـاـ، وأـكـمـلـ حـيـاتـيـ خـتـمـ،

ويرغم هذه الأمنيات، فإنه يعلن بشكل مباشر قوى أن ثُم خطأ في محاولات العلاج التسكينية السطحية التي تتنافى مع خيال هذا الصي "الذى التقط عمق الطبيعة البشرية فى إيقاعها المبوي النابض".

(11) أنا مش متخييل إن أنا حاعيش بدماغ واحد، بعد ما كان عندي دماغ حشيش ودماغ أبتزيل ودماغ ترامادول ودماغ بودرة سم، أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحده دماغ مبطل؟!

... وبعد...

هل نصدقه فنتعلم ضرورة تعدد مستويات الوعي حتى تكون بشرًا؟!

وحتى لا نضطر إما إلى سجن واحدية ثابتة، عادية، ماسحة، زائفنة؟

أو نضطر إلى تحريك مصطنع بسموم تهدد إما بالتأثير وإما باغتراب خامد جديد؟

التعليق الختامي

* كم منا بالله عليكم يعيش بدماغ واحد؟ دماغ مبطل؟

* أم أننا نعيش "في السليم" منذ البداية إذ "نبطل" قبل أن نتحرك أصلًا؟

* وهل خلقنا الله بدماغ واحد (مبطل) أم بعده أدمغة.

* وما دام الحصول على دماغ عن طريق هذه السموم له كل هذا الثمن الغالي، فكيف يمكن أن تحصل "بقيقة أدمغتنا" على حقها في التواجد، والتبادل، والتنشيط، والإبداع، والتراجع، والخوالة، والخطأ؟

تلك هي المسألة الصعبة!

وغداً نلتقي بطارق أيضاً في "حركية خياله" مع اختبار إسقاطي

- البويرة

الإربعاء 24-10-2007

54- أدمة المدمن ومستويات الوعي (2)

طارق "ف حرکية خياله" مع اختبار إسقاطي قدمنا أمس بعض أحوال حالة "طارق"، واستنتجنا منها احتمال تعيق فرقه: أن كلمة "دماغ" التي يستعملها المدمنون، قد تشير إلى "تغير نوعي في الوعي"، الأمر الذي هو - في الأحوال الصحية وبالطرق السليمة - دليل حرکية النمو، وحيوية الحياة، والذي إذا حُرِّمَنا منه، جأً بعضاً إلى تحقيقه "بتحريك مصنوع"، بسموم خبيثة هي مواد الإدمان، وقد انتهى التقديم أمس بالاستشهاد بقول طارق:

"نفسى أبطل وأكمل حياتى ختم . . ."

لكنه يردف:

"أنا مش متخييل إن أنا حاعيش بدماغ واحدة.....، أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحدة؟! دماغ مبتل؟!!"
(قبل الدخول إلى الحالة ننصح من تساءل عن أساسيات فكرتنا عن الإدمان أن يرجع إلى يومية (سج عن الإدمان) بتاريخ 21/10/2007.

هذا شاب عمره 17 سنة، مدمن من سن 11 سنة، يعلمنا، وهو يهبط إلى الهاوية، أن لنا أكثر من دماغ (لن لم يقرأ يومية أمس)، يستحسن أن يضغط على خانة المقالة السابقة، أو هنا (أدمة المدمن ومستويات الوعي¹)، ويقرأ ما نشرناه أمس، قبل أن يكمل. شكراً.

الاختبار الذى أجريناه لطارق والذى سنعرضه اليوم، لا يتعلق بشكلة هذا الشاب كمدمن، بقدر ما يتعلق بإمكانية تحريك الوعي للأصغر، من خلال تنوع الحوار، وحاولة التباديل الممكنة التى يمارسها الإدراك البشري، مع "حرکية الخيال" بإسقاطات متنوعة.

أشرنا أمس إلى ما يذكرنا كيف أننا في أشد الحاجة إلى قبول فكرتين أساسيتين:

الأولى: تعدد مستويات الوعي.

الثانية: إمكانية احتواء هذه المستويات على مسار

النمو في جدل يخلق منها - مع وبعد - أن تتبادل، وتتوازن، وتنصارع، ثم تضفر باستمرار، يخلق منها تنويعات متعددة من النوعي، هو ما يسميه المدمن "دماغ"، وهو ما يتحقق له السموم التي يتعاطها، والتي تقوم بهذا التقليب قسراً، بعد العجز عن تحريك الوعي خيالاً وإبداعاً ونمواً، لكن النتيجة هي كارثة الضياع في خراب ظاهرة الإدمان.

التجربة :

عرضنا على طارق، وهو متوقف عن التعاطي تحت العلاج، بجموعة صور (خمسة) منتقاة من اختبار معروف، هو اختبار "تفهم إدراك" الموضوع Thematic Apperception Test، إليها سورتان حليةتان من ثقافتنا، ثم صفحة بيضاء ليكون المجموع ثانية.

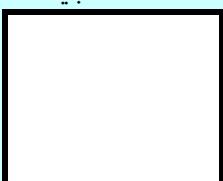
فكرة الاختبار هي شديدة البساطة، أما دلالات الاختبار وقراءاته فهى شديدة التنوع من جهة، وعليها خلافات علمية وتطبيقية بلا حصر، الفكرة مبنية على ميكانيزم الإسقاط، وعلاقتها بالإدراك. فنحن ندرك الأشياء والمثيرات والم موضوعات ليست "كما هي"، وإنما كما تصلنا بعد أن تُسقط عليها ماتيسر مما أثارته فيينا بمجرد وقوعها على حواسنا، هذه الفكرة البسيطة يعرفها أيُّسط الناس، كما يعرفها الأطفال، كما تؤكدنا الأمثل العامية من أول "القرد في عن أمه غزال" حتى "الخنفسة" التي رأت ابنتها على الخيط فقالت إنها "اللؤلة في خط".

نطلب من المريض أن يروي قصة، أو يصف ما يصل إليه من كل صورة من الصور الثمان (سبعة+1)، ونسجل الوقت إلى أن يبدأ (وهو ما يسمى "زمن الرجع بالثانوية")، ثم نسجل الزمن الكلى بعد انتهاءه من الحكى، ومن خلال استجاباته، جنباً إلى جنب مع ما نعرفه عنه تاريجياً شخصياً وحضوراً إكلينيكياً، بجتهد في قراءة حالته دون محاولة الوصول إلى تشخيص، ودون الحماس إلى أي حسم نهائى في أى اتجاه، وإنما هي إضافات دالة للحالة إكلينيكياً، تضع جوانب أخرى غير التي أضاءتها المقابلة، والأسئلة والأحوية، والمعلومات، ثم يتطلب من المفحوص وضع عنوان لما حكى أو كتب، بعد أن ينتهي من الحكى.

هناك أساليب مختلفة، ودرجات وتقنيات مجتهدة للقراءة هذه الاستجابات، لكننا نتبع هنا منهجاً يعتبر كل استجابة إضافة إكلينيكية مفتوحة قراءتها للخبر، بما في ذلك إسقاطات الخبر نفسه على إسقاطات المريض.

أما كيف تقرأ - عزيزى القارئ - ما ننوى تقديمه هنا فلنصحك - دون إلزام - في المهامش نصيحة اختيارية :

بطاقات T.A.T

<p>الاسم : طارق</p> <p>الاستجابة التلقائية وكلها عملة بمشكلة الإدمان (طارق المنغمس)</p> <p>(الصورة 1) مدمن يتأنم ده واحد واقف بيغunci حد، لا ده واحد بيشك [بيضرب] خد تاني في رقبته، السرخنه واضحه، بيحطها في رقبتها. اللي قاعده على الأرض ده مدمن تعبان مش لقى عروق يضرب فيها.</p> <p>زمن الرجع: 11 الزمن الكلى: 1 54</p>	<p>السن: 17 سنة</p> <p>الاستجابة بعد أن طلب منه تجنب ذكر الإدمان (اليوم التالي) (طارق بدون)</p> <p>(الصورة 1) قاتل محترف ناس قاعددين في بير سلم واحد بيقتل التانى.</p> <p>زمن الرجع: 24 الزمن الكلى: 52</p>
<p>(الصورة 2) فاقد الأمل واحد واقف في أوضه، الباب مقفل وبيعطي، هو بيعطي علشان مظلوم، علشان الناس فاكراه بيضرب.</p> <p>زمن الرجع: 7 الزمن الكلى: 1 48</p>	<p>(الصورة 2) الكنيسة المهمولة دي كتنيسه أنا شايف صليب، ده واحد بيعرف لقسيس وندمان.</p> <p>زمن الرجع: 12 الزمن الكلى: 38</p>
<p>(الصورة 3) مادة سم واحد قاعد على الأرض وساند راسه على السرير، هو لسه ضارب وبيسقط [يصب] وسرخنه واقعه جنبه.</p> <p>زمن الرجع: 9 الزمن الكلى: 1 35</p>	<p>(الصورة 3) لحظة ندم راجل ليس بيريه وساند على السرير وبيبكي.</p> <p>زمن الرجع: 8 الزمن الكلى: 51</p>
<p>(الصورة 4) ----- أنا في المستشفى وأمي بتتعيط، متخيله إن ممكن أطلع أضراب تاني ومستحمل بعدى، علشان أطلع زى الصفحه البيضاء ديه.</p> <p>زمن الرجع: 2 الزمن الكلى: 2 55</p>	<p>الصفحة البيضاء</p>  <p>(الصورة 4) الرجل الملعون فيه ناس طالعين رحله والأتوبيس انقلب بيهم، ناس كلهم ميتين و السوق كان شكله قاصد يقلب الأتوبيس علشان السوق مسيحي ودى رحله حجاج.</p> <p>زمن الرجع: 25 الزمن الكلى: 2 55</p>

<p>(الصورة 5) غرزة السعادة دى غرزة وديه شرموطه وده المعلم بتاعه وفيه بودره على الترابيزه وفيه حشيش على كانشه وده معروف واقف يلاغي. زمن الرجع: 8 الزمن الكلى: 30 ١</p>		<p>(الصورة 5) الرجل البذى ده راجل ودى مراته وهو بيعرس عليها والطويل ده زبون وهو مدخله عليها وبىعرس. زمن الرجع: 10 الزمن الكلى: 42</p>
<p>(الصورة 6) نصيحة أب الصغرى ده مدمن والكبير أبوه، بىنصحه إنه يقطل، بس هو شايف حياته كده أحسن، ومش عايز بين إن أنه مضائق. زمن الرجع: 10 الزمن الكلى: 40 ١</p>		<p>(الصورة 6) فنان عظيم الراجل ده شه فريد الأطرش، وده ملحن بيقول له على أغنية، بس هيه مش عجباوه. زمن الرجع: 6 الزمن الكلى: 44</p>
<p>(الصورة 7) فكرة ضرب ده راجل واللى وراه شيطان عمال يووسوس له ودنه إنه يرجع تاني، بس هو ميقطع وعجباه حياة التطبيل. زمن الرجع: 12 الزمن الكلى: 2</p>		<p>(الصورة 7) الساحرة الشيربة دى ست واللى وراها شيطان وبيقولها تعمل حاجه بس هيه مش راضيه عنه ومديلاه فهرها. زمن الرجع: 7 الزمن الكلى: 47</p>
<p>(الصورة 8) الرجل العبيط ده راجل أهبل، موظف ملوش في الضرب، وملوش في حاجه خالص. زمن الرجع: 5 الزمن الكلى: 25 ١</p>		<p>(الصورة 8) قرف رجل أهبل ملوش حل، هو مجنون ومراته ركبه، وبتفتشي كلمتها، بس هو سعيد. زمن الرجع: 5 الزمن الكلى: 39</p>

مناقشة الاستجابات

أولاً بصفة عامة، لاحظنا ما يلى:

- (1) إن "طارق" يتمتع بخيال مرن طول الوقت، سواء وهو منغمس (فكراً وخياراً) في مشكلة إدمانه، أو وهو مستجيب لتجنب الحديث عنها.
- (2) إن استجابته الأولى لجميع المصور عما في ذلك الصفحة البيضاء كانت حول موضوع المدرارات بشكل أول أو آخر. (وهذا ما جعلنا نحاول إعادة الاختبار كما أوضحنا).
- (3) إنه على النقيض من قصائد المديح التي أثني بها طارق على "الأدمغة" التي تتحقق لها مختلف المواد، سواء بذاتها، أو بعد إعداد "كوكتيل" منها بعرفته، وهو ما أسميناه أمس "التباديل والتواافق"، على النقيض من ذلك جاءت

معظم استجاباته اليمني (المنغرسة في فكرة الإدمان) تعلن وعيها مباشراً وغير مباشر بالأضرار، والصبر، والرفض، واليأس، وأعمال الشيطان.

(4) إنه بالرغم من كل ذلك انتهى في الصورة الأخيرة إلى ما يؤكد ما أعلنه في آخر مقططف أمس، وهو ما بدأنا به كلمة "اليوم" من أن "اللى مالوش في الضرب مالوش حاجة"، كما ظهر في وصفه للرجل البدين في الصورة الأخيرة، وهو نفس الموقف الذي انتهى إليه، وأظهرناه في نهاية حلقة أمس من قوله متوجباً: "أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحدة؟ دماغ مبطل"؟؟؟

(5) إنه حين طلبنا منه الاستجابة دون التطرق لموضوع الإدمان، تحرك وعيه بنفس المرونة والتلقائية، وذلك في إجابات مختلفة منها: الجاه الندم، أو اللعنة، أو التوبة، ولكنه تحرك أيضاً في إجابات أقسى وأخطر مثل: البذاءة والقتل، لينتهي نفس النهاية، وهو يصف الرجل البدين بأنه "قرني" ومراوته راكباً لأنه مالوش في الضرب ولا في أي حاجة، ومع ذلك "بس هو سعيد".

قراءة في استجابات طارق "المنغمي" مقابل طارق "بدون":

الصورة (1) "طارق المنغمي"

لم أستطع أن أحده ما يقصد طارق بالعنوان "مدمن يتأنم" هذا المدمن: يتأنم مم؟ من أنه "تعيان يريد أن يضرب ومش لاقى عروق"، أم من السيرخة الواضحة وهي تنغرس في رقبته (وهذا ما يلجا إليه كثير من المدمنين حين تنخرث معظم عروقهم الظاهرة في الذراعين أو الساقين)؟

لكن نلاحظ أن استجابته لهذه الصورة بدأت بغیر ذلك، فقد التقط فيها لأول وهلة حاولة للخنق (إرهاق الروح)، وهو ما ظهر أيضاً في استجابة "طارق بدون".

فهل يكن أن نفترض أن طارق يعلن بذلك أن أي شخص يساعد في استمرار إدمانه، وهو ما يتمثل فيمن يضرب الخقنة (السرخة) في رقبته، إنما يقتله بذلك؟ مجوز!

الصورة (1) "طارق بدون"

على الناحية الأخرى كانت الصورة أكثر إيجازاً، لكن ظهرت فيها أبعاد: الشرية والتحتية، (بيـر السـلم) والقتل، صحيح أن استجابته اقتصرت على الآتين الظاهرين في الصورة، وأن القاتل محترف (العنوان: رـيا هـو هو غـارـز السـيرـخـة فيـ النـاحـيـة الأخرى) لكنهم كانوا جماعة، وكان جماعة المدمنين الذين يسمون لهـذا القـاتـلـ المـحـترـفـ أنـ يـتـمـادـيـ فـيـ الحـفـزـ إـلـىـ اـسـتـمـارـ إـلـدـمـانـ،ـ هـمـ قـتـلـةـ أـيـضاـ مـشـارـكـوـنـ فـيـ الـجـريـعـةـ بـشـكـلـ ماـ.

الصورة (2) أولاً "طارق المنغمي"

استجابته هنا غير واضحة، فقلة الباب قد تشير إلى المأزق الذي هو فيه وقد مضت ست سنوات مع حاولات علاجية مختلفة بلا

طائل، أما بكاؤه فقد ربطه بأن الشخص في الصورة قد توقف عن التعاطي ومع ذلك، مازال متهمًا، ولا أظن أن الأمر بهذه البساطة، فقد نفهم من ذلك أن الوعي الذي يرى أن يتوقف هو "وعي" حسن النية "على أحسن الفروض، وهو الذي ظهر في نهاية ما عرضناه أمس "نفسي أبطل وأبقى بasha". لكنه (كما نشرنا في يومية أمس) سرعان ما استبعد أو استنكر أن يرضى بأن "يعيش بدماغ واحد دماغ مبطل"!
في كثير من الأحيان تكون هذه الأنواع من الوعود، وهذه الانفعالات بالبكاء: مؤقتة، ومؤفرة، وبرغم احتمالات صدقها المبدئي هي لا تفيidak كثيراً في مسيرة العلاج.

الصورة (2) "طارق بدون"

ارتبط التبسيط هنا بالاعتراف والندم (رعا للتطهير)، وهذا أيضاً ليس بالضرورة من العلامات الإيجابية التي نفرح بها عادة حين تظهر عند المدمن.

أما كون الاعتراف والندم جاءا هنا مرتبطين بالكنيسة، فهذا أمر لا نرى أنه يدل على أية درجة من السماح أو قلة التعلق، حيث ظهر التعلق بشكل مباشر في استجابته في الصورة الرابعة (صفحة البيضاء - طارق بدون): أنظر بعد .

الصورة (3) "طارق المنغمـس"

حين تصل جرعة المخدر إلى إحداث غياب الوعي "وليس مجرد تغييره أو إبداله" "يسقط" المدمن (يصب)، هذه المرحلة يكرهها المدمن عادة برغم أنه في كثير من الأحيان لا يستطيع تجنبها، ويصبح المخدر في هذه الحالة هو "مادة سم" (العنوان).

الصورة (3) "طارق بدون"

يظهر أنه حين يخرج الخيال من انغمسة في المخدر، ينقلب "التسيقـط" إلى إفـاقـة نسبـية: تدفع إلى اللجوء إلى سنـه ما، مجرد استـنـاد، فلا يـتـمـادـى الـوعـي الـظـاهـر في الانـسـاحـاب حتى الغـيـوبـيـة، وتـظـلـلـ المـشاـعـرـ قـادـرـةـ عـلـىـ اـسـتـيـعـابـ المـوقـفـ (يـكـيـ) ويـظـهـرـ النـدـمـ (الـعنـوانـ: لـحظـةـ نـدـمـ)

الصورة (4) "طارق المنغمـس":

أسقط طارق على هذه الصفحة البيضاء موقفه "هـنـاـ وـالـآنـ"، وحضرت عواطفـ أـمـهـ وـأـمـلـهـ مـاـ آـلـ إـلـيـهـ حـالـهـ (معـ أـنـهـ لمـ تـظـهـرـ لـنـاـ فـتـارـيـجـهـ أـىـ اـعـتـبـارـ العـواـطـفـ أـمـهـ أـوـ تـوجـهـ وجـدانـ مـفـيدـ منـ نـاحـيـتـهـ خـوـهـ أـمـهـ) يـبـدوـ أـنـهـ يـرـبـطـ هـنـاـ الـبـيـاضـ،ـ عـاـ يـشـاعـ مـنـ أـنـ إـزـالـةـ التـسـمـ "سـرـيـعـ-سـرـيـعـ"ـ،ـ تـرـجـعـ المـدـمـنـ كـمـاـ وـلـدـتـهـ أـمـهـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـزـعـمـهـ الـبـعـضـ فـيـ الدـعـاـيـاتـ الـعـلـاجـيـةـ الـمـغـرـضـةـ الـمـسـطـحةـ.

ربما يرى طارق من خلال هذا البياض أن عليه - إذا ما عاد بريئاً نقياً - أن يتحمل بعده عن أمها، ويستمر في المستشفى صابر ليحقق لها أملها في شفائه ليرجع "أبيضاً" كما ولدته !!

الصورة (4) "طارق بدون"

هنا بدت الاستجابة لهذه الصفحة في الاتجاه العكسي تماماً، وكأنها كشفت خدعة "براءة البياض" المزعومة - لأنه بدا أن وراء هذا البياض الذى يزعم أنه تحقيق لأمنية أمه، وراءه جريمة قتل جماعي تعصى انتشارى نذل: سائق مسيحي ينتحر بركاشه المسلمين مجرد أنهم ذاهبون للحج.

فأين ذهب البياض وأين النقاء وأين أمه وأين الآخر؟ إن هذا ينبعنا إلى خطورة ادعاء المثالية النظرية، والتسامح الكاذب.

أما عن العنوان فربما يعنى به طارق وصف السائق بأنه "الرجل الملعون"، لكن هل هو ملعون لأنه قاتل، أم لأنه منتحر، أم لأنه هذا وذاك، وهل لحقته اللعنة بعد موته مع ضحاياه؟ أم أن اللعنة هي التي دفعته إلى هذا القتل الجماعي الأعمى التعصى الانتحاري؟ ثم هذا الموت الجماعي "كلهم ميتين" هل يمكن أن يكون الذي أوحى به "سكون بياض الصفحة". أيضاً، كفناً هذه المرة وصمتاً؟!

كل هذا قد يشير إلى أن الغطاء الأبيض، الذى يختبئ وراءه أحياناً ببلادة، ولو بالمخدر، قد يكون وراءه كل هذا القتل الانتحاري البشع.

الصورة (5) "طارق المنغمس"

هذه الاستجابة قد تعبّر عن رؤية المدين لمعنى "اللذة" كقيمة منفصلة في ذاتها، وهذا قد ورد بعض ذكره من طارق فيما قدمناه أمس-وفي بقية أوراقه- وهو يتغزل في تأثير المخدر تلو الآخر، ويمثلها هنا ما أسماه "عُرْزَة السعادة"، التي تدعى بأن تحقق له أنواع اللذة التي حققتها له المواد المختلفة.

الصورة (5) "طارق بدون"

في حين رأى طارق هذه الصورة وهو منغمٍ في المخدرات على أنها "عُرْزَة السعادة" ، فقد تصورنا أنه استقبلها هنا ليواصل دفع الرجل العادى وبصفة "بالسلبية" والتعريض على زوجته شخصياً. وقد انقلب الرجل الذى كان يخدم على المخدر على اليمين (مع المنغمس)، إلى زبون يساوم على زوجة هذا الرجل السللى. فهل يشمل ذلك ما يهوس في النقوش أحياناً، ولو في اللأشعور: أن كثيراً من الحياة العادلة (التي نعيشها بدماغ واحد) إذا ما تعرّت ظهرت فيها مثل هذه الصفقات "مجازاً على الأقل".

لا أظن ولا أستبعد.

الصورة (6) "طارق المنغمس"

بالمقارنة بالصورة التالية نجد أن طارق هنا يعرى "تفاهة" "ولادجوى" النصائح الفاترة المعادة التي نتعامل بها مع المدين بالخال غنى، فالشاب هنا "مبسوط كده" ، فكيف ينفذ إليه النص.

الصورة (6) "طارق بدون"

حين أزيح موضوع الإدمان من الخيال، استطاع طارق أن يرى الصورة بشكل موضوعي نسبياً، وفعلاً يبدو الرجل الأصغر في الصورة به شبه من فريد الأطرش، كما يمكن أن يكون العجوز ملحننا، ثم أن طارق يعطى عنواناً مناسباً لهذه الموضوعية النسبية الظاهرة وهو "فنان عظيم" وهو لا يبالغ.

الصورة (7) "طارق المنغمس"

يُرجع طارق "هنا" الضرب - رغم قصائد المديح التي أشرنا إليها أمس- إلى سوسة الشيطان، وهو يزعم أن الشخص الصغير- في الصورة- المبطل "قد أعجبته حياة التبطيل"، وهو زعم يتنافى مع الصورة السابقة كما أشرنا.

الصورة (7) "طارق بدون"

استمر حضور الشيطان في خيال طارق حتى بعد إزاحة مشكلة الإدمان من فكره، وهذا هو ما يؤكده ذلك العنوان أيضاً: "الساحرة الشريرة" فاقررت فكرة رفض السوء بما ذكر وهو يزعم على الناحية اليمني (المنغمس) أن الذي بطل استطاع أن يظل يقاوم سوسة الشيطان.

الصورة (8) "طارق المنغمس + طارق بدون"

ما وصلنا من هذه الصورة من الناحتين يكمل بعضه ببعض في نفس الاتجاه، وهو متعلق بالفرض الحالى، لذلك فضلنا أن نجمع القراءة لهما معاً: هذه الصورة التي أشرنا إليها في مقدمة هذه الحلقة تبدو لنا من أهم الصور التي تؤيد ما ذهبنا إليه من فروض، فهي تعلن: إنه برغم كل حرکية الرفض، والوعود، والنندم، وببرغم حضور القتل والسموم والانتخار، في معظم الاستجابات، تعلن كيف تصل الحياة البليدة الروتينية إلى الشباب في هذه السن باعتبارها حياة مفتربة فاترة "دماغ واحد ثابت فاتر".

الصورة (8) "طارق المنغمس"

- ده راجل أهبل.
- موظف.
- مالوش في الضرب.
- مالوش في حاجة حالص.

ثم الصورة (8) "طارق بدون"

- راجل أهبل
 - مالوش حل
 - تخين
- ومراتبه راكباه
ثم برغم كل ذلك أنه
بس هو سعيد".

هذه السعادة "المضروبة" التي يسخر منها طارق، وهو مغموم بأفكار الإدمان، وأيضاً وهو "بدون" هذه الأفكار، هذا الخمول، واللاشيئية، هذه البلادة واللامبالاة "مالوش في حاجة"، يبدو أنها هي التي حاول طارق أن يهرب منها وهو يبحث عن سعادة "الأدمغة المتغيرة"، حتى "بالوعي المصنوع".

علينا أن نتساءل: هل لهذا بديل صحي كما أشرنا أمس إلى ما هو: شاح، وحركة، وتغير، وإبداع؟.

طارق راح يبحث عن كل ذلك لأنه افتقده، وهو في أشد الحاجة إليه في هذه المرحلة من العمر، فراح "چرب" باستعمال كل هذه السموم بديلاً لينتهي به الأمر أن يخاف أن يشفى حتى لا يعود إلى حظيرة "الدماغ الواحد المبطّل".

فهل عندنا للباحثين مثله عن حقهم في حركة مستويات معاً، من الشباب وغير الشباب، بديل حقيقي؟

الخلاصة:

بعد المراجعة الأخيرة، استشعرت الصعوبة بقدر أكبر مما حسبت، حتى كدت أتراجع عن النشر.

لكن مرة أخرى، خن لا ننشر الأسهل، كما أنها لا نكتفى بأن "نقر بالمعروف مسبقاً لرؤكده".

ما نريد أن خلص إليه إن أمكن هو:

إن قراءة إشكالية الإدمان من منطلق أنها "لغة"، إنما هي عملية تساعدنا أن تعرف مدى تقصيرنا في فهم الطبيعة البشرية واحتياجاتها، وهذا لا يساعد فقط في مساعدة المدمن، بل إنه قد يرشدنا إلى تصحيح أنفسنا.

ما أمكن ذلك.

- الحيل النفسية في الأمثال العامية (يجيى الرخاوي).

(1) يمكن أن تقوم بنقل الورقتين الخاملتين للصور والاستجابات إلى حاسوبك (الكمبيوتر)، وتطبعهما.

(2) يستحسن أن تعمل ثلاثة نسخ من الورقة:

أ- الأولى تحوى الصور فقط.

ب- الثانية تحوى الاستجابات على اليمين (الحملة بشكلة الإدمان).

ج- الثالثة تحوى الاستجابات على اليسار (بعد أن طلبنا من طارق أن يتتجنب ذكر الإدمان في استجاباته في اليوم التالي).

(3) أن تحاول أنت شخصياً أن تكتب (أو تسجل) قصة قصيرة أو رؤية مما يصلك من كل صورة بعيداً عن استجابات طارق.

(4) لا تقرأ استجاباتك شخصياً الآن، فقط تتعرف على طبيعة الاختبار.

- (5) أن تعود إلى النسخة الثانية وتقرأ استجابات "طارق" ووعيه الظاهر منغمساً في مشكلة الإدمان، مع النظر في كل صورة مقابلة (قد أعينناها: "طارق المنغمس").
- (6) أن تضع ذلك جانباً وتنتظر قليلاً.
- (7) أن تعود إلى الاستجابات على اليسار وقد طلبنا من "طارق" أن يتتجنب ذكر الإدمان في استجابته وقد أعينناها "طارق: بدون..."
- (8) أن تعود إلينا بعد كل ذلك تقرأ معنا ما حاولنا قراءته، ولا تعتبر قراءتنا هي "نهاية الأرب أو فصل الخطاب"، بل هي اجتهاد مثل اجتهادك مع فارق أخير لا أكثر.
- المنغمس: تعني المشغول طول الوقت في مشكلة الإدمان التي حددت إجاباته الأولى.
- بدون: تعني طارق بعد أن أوصيناه لا يتحدث في استجاباته عن الإدمان
- يستحسن أن تقرأ هذا الاجتهاد التفسيري الناقد وأنت تضع الصور والاستجابات مجتمعة أمامك بعد أن تطبعها.
- أحياناً - سواء في حالة الإدمان أو الذهان - يتحرك "الدين" الآخر داخلنا كنوع من إعلان تحريرك النقيف الداخلي في (وعي عكسي) وهذا يقابل ما يتفق مع ما هو شائع من محاولة علاج بعض المرضى المسلمين في الكنيسة وبعفه المرضى المسيحيين عند الشيوخ، وهو يتفق أيضاً مع الشائع عند العامة من أن قرین الذكر أثني تحت الأرض (أى تحت الوعي) وقرین الأنثى ذكر تحت الأرض (تحت الوعي) (وهو قريب لما قال به كارل يونج)، فظهور "النقيف" في الإسقاط هو دليل على تحريرك "وعي العمق" لا أكثر.
- يصب: كلمة يستعملها المدمن تعني الوسن المفاجئ أو قرب السقوط في الغيبوبة.
- التسقيط: كلمة بنفس معنى "يصب" يستعملها فريق آخر من المدمنين للتؤدي نفس المعنى.
- عموماً بالنسبة لهذه البطاقة البيضاء، كثيراً ما توقع أن يرفض الكثيرون الاستجابة لها، ومع ذلك فكثيراً أيضاً ما كانت أكثر ثراءً من كل الصور، وكأنها مجال الإسقاط الحقيقى، هذه الدهشة مبررة أكثر حين نتذكر أننا نطلب من المريض أن يحكي ما يراه في الورقة وهو يعلم ونحن نعلم أنه ليس بها شئًّا أصلاً.
- هنا ما يشيشه أخصائيون إزالة التسمم كما ذكرنا في المتن حالاً.
- لا مجال لمحاولة أن نربط هذا الموقف مجركية الإبداع لعمل دماغ بديلاً عن الإدمان كما افترضنا أمس، الغباء والطرب ليسا هما الإبداع الذي نعنيه في تحريرك الوعي لعمل دماغ مبدع سليم.

الإثنين 21-01-2008

143-الأسرة والثقافة والطب النفسي والإدمان (1)

ف برنامج مشهور سأله مقدم مشهور ماذا نفعل مع أولادنا لمنع مثل ذلك ("أى ذلك") مما يعرض من مشاكل ومصائب الشباب قلت له بسرعة: "نسمع، ونسمع، وختار معهم"، قبل نسمع ونسمع بمصدر رحب، وتوقف عندختار معهم، (وتناقشنا في ذلك نقاشا ثريا قد نرجع إليه).

وفي برنامج للوقاية من الإدمان كُلّفت بإعداد دليل للأسرة (من بين دلائل أخرى) ل الوقاية الأولاد والبنات من سن 6 - 18 من الإدمان، وقد واجهت صعوبات حقيقة وانا أحاول ضبط الجرعة بين تقديم معلومات وخبرات قد تعيّن في الوقاية كما أتصورها، وبين خطاب النصائح كما تشيع بيننا بصوت عال وبلا جدوى حقيقة، مما لا في هذا وذاك أن أنتبه إلى خصوصية ثقافتنا ومعالها.

قبل ان ابدأ في مهمتي هذه تذكرت ما آلت إليه حال الأسرة في المجتمعات المقدمة، ليس فقط من واقع الإحصاءات الهمامة، ولكن من خلال الانطباعات والخبرة الشخصية.

في نهاية الخمسينات وبداية السبعينات، بعد أن هزت الحرب العالمية الثانية كل القيم بما في ذلك قيمة ما هو "أسرة"، ظهرت موجة قوية، ثورية أو عدمية أو كلاما، (فقد احتل كل شيء بكل شيء)، تشكك في قيمة وضرورة مراجعة المؤسسة الزوجية من حيث المبدأ، وصاحبت هذه الموجة موجة موازية ومدعمة، وهي المسماة بالحركة "ضد الطب الفنسي"، وكان من أشهر من تزعم الحركة لانج "في إنجلترا"، وزاس في أمريكا، وبازاجلبا في إيطاليا ثم دافيد كوبير في إنجلترا أيضا، فرأوا في أوائل السبعينيات كتاب كوبير "موت العائلة"، وفهمت وتعجبت وانزعجت، وقدرت، ومنذ ذلك الحين وانا أتابع مسار هذه المؤسسة وبدائلها، وبالذات عندهم، عن بعد.

في رحلتي لمدة عام في فرنسا سكنت في حجرة مدموازيل (س.م.) هكذا عرفتني الأم التي كانت تعيش وحيدة على اسم الحجرة، وذات مرة أثناء غياب الأم دق التليفون، وكانت تسمح لي هذه السيدة الفاضلة بالرد عليه، وإذا بالمحاثة هي الأنسنة (س.م.)، وبفرحة وبله الفلاح المصرى سألتها هلى هي ابنه

صاحبة الشقة صاحبة الحجرة التي احتلها، فأجابت أن نعم، لكنها تقيم وحدها في حي آخر، وكدت - بنفس البطله - اعتذر لها أنني احتلت حجرتها وفرقت بينها وبين أمها (!!!) ثم عرفت أن هذا أمر طبيعي: أن للأسرة عمر افتراضي ينتهي ليس بالضرورة بزواج الأبناء والبنات أو رحليهم، وإنما باستقلالهم في الوقت المناسب، أما متى هذا الوقت المناسب فثمة متغيرات بلا حصر.

الاحصاءات التي وصلتني مؤخرا لا تسر، لا عندنا ولا عندهم، فقد بلغت نسبة الطلاق في استراليا 2 من 3 ، وفي أوروبا وفي 1 من 2، وأحيانا أكثر، وأخر رقم صدر من مصر هو أن حالة طلاق واحدة تحدث كل 6 دقائق بمعدل 240 حالة طلاق يوميا.

نرجع مرجوعنا إلى محاولاتي في إعداد دليل الأسرة للوقاية من الإدمان عندنا في مصر سنة 2003.

حاولت ابتداء أن أحدد ما هي الأسرة (كما وصلت إليه في مجتمعاتنا وثقافتنا الحالية) فوجدت أن عدم التجانس هو أهم ما يميزها، فيما ترى من أخطاب؟.

أنت لا تستطيع أن تستعمل نفس الخطاب الذي توجهه إلى أسرة ريفية في الجغرافية منوفية يتعلّم أولادها في مدارس ليس فيها تعليم، ويتعلّمون مع ذويهم من سن السابعة، يلعبون وهم يتعرّضون في تراب الحرارة ظهراً، وينامون تحت سماء الاجرن صيفاً، لا تستطيع أن تُخاطبهم بنفس الخطاب الذي تكلّم به أفراد أسرة في البيساتين يعمل عائلتها في مصنع رخام وبعض أولاده في مصنع بلاط، وأحد الأولاد مسافر إلى ليببيا والآخر إلى أيطاليا، ولا هو هو نفس الخطاب لأسرة تقيم في منتجع النخيل أو مدينة الرحاب، الخ.

إذن ماذا؟

ومع ذلك حاولت، وتعلّمت، وأتيحت لي الفرصة ضمن برنامج الوقاية هذا أن أزور مدرسة إعدادية في "الوراق" بعد إمباقة، وأن أجري حوارا مع مدرسین ومدرسات وبعضاً أفراد مجلس الآباء، وووجدت مفاجآت جعلتني أتأكد من عدم التجانس، فأخذت الصعوبة تزداد، والتّحدى جئت.

لم يبق إلا الإشارة في هذه المقدمة إلى ما تعلّمته من أسرتي شخصياً التي انفقرت إلى أربع أسر، وتسع أحفاد، فرحت أتساءل أية أسرة من هؤلاء يمكن أن أخاطبها بما أكتب، حتى هذه الأسر الأربع غير متجانسة بشكل أو باخر.

فيما أشفت إلى هذا كله تشرذم وتعدد وتباین الرسائل التي تصل إلى مختلف هذه الأسر من وسائل الإعلام، من التليفزيون بالذات، من محطات أرضية جداً (فضلاً عن ما هو غير ذلك) لعرفت كيف أن عدم التجانس والتشتت يمكن أن يمتد إلى داخل الأسرة الواحدة.

ما العمل؟

ولكنني قبلت المهمة وحاولت ما أستطيع، وتعلّمت.

اكتشفت بادئ ذي بدء أنه لا يوجد تعريف محدد لما هي الأسرة، سواء بالنسبة لعدم التجانس السالف الذكر، أم بالنسبة لما طرأ على مجتمعنا من تغيرات لاهثة، وسواء كان نتيجة للتقليل العشوائي لقيم مستوردة لا نأخذ منها إلا السلبيات، أو كان رد فعل في عكس الاتجاه بالتراجع إلى ما يختاره من سلبيات القيم السلفية دون إيجابياتها عادة، وذلك من باب التوقي بالضد احتياطياً.

قلت أبداً بالنفي: أبداً بما لا ينبغي للأسرة أن تكونه، جاء في بداية المتن في هذا الدليل ما يلى:

الأسرة ليست تجمعاً في المكان

وليس ورقة عند المأذون،

وليس مفرخة للأولاد،

وليس مشروع استثمارياً

وليس مخرة للتنافس.

وليس مؤسسة سلطوية

شرح على المتن: المراجعة لا التراجع

وأنا أعاود النظر الآن وجدتني أريد أن أضيف لفظ (فقط) وسط أي من هذه الجمل المنتهية، أي أنها (الأسرة) (فقط) ليست تجمعاً في المكان،

وليس (فقط) ورقة عند المأذون ... إلخ.

وليس (فقط) مفرخة للأولاد،

وليس (فقط) مشروع استثمارياً.

وليس (فقط) مخرة للتنافس.

وليس (فقط) مؤسسة سلطوية.

ذلك أن الأسرة في بلادنا يمكن أن تكون كل ذلك شريطة أن يكون طيباً وإيجابياً في حدود، فوجدت أن علينا أن نبدأ بفحص كل ما قمنا بنفيه حالاً، لنقبل بعضه من حيث المبدأ، ثم نشرط فيه ما يجعله إيجابياً ما أمكن ذلك.

أولاً: الأسرة ليست (فقط) تجمعاً في المكان

المكان هو من أول مدخل البيت، وبثير السلام، والسلام، والحوائط، ودوررة المياة، وحجرة المعيشة، وحجرات النوم، قلت أم كثرت، وحجرة أو ركن أو صالة المذاكرة ... إلخ.

كيف تكون الأسرة "أسرة" ولا يجمعها مكان وجدران؟

بل قد يكون المكان مكاناً بدون جدران: الأسرة التي تعيش في خلاء وخرابة مهملة تأويها آخر النهار وأثناء الليل حجرة من الصفيح، هي أيضاً تجمع في المكان،

في المقابل: ثمَّ مكان يتسع على أصحابه حق لا يعود مكاناً: الأسر التي تعيش في قصور المدن الخاصة جداً، حيث يحتل كل دور

فيها أحد أو بعض أفرادها، في حين يقيم الآخر أو الآخرون في دور آخر، لا يجمعها المكان، خاصة إذا تعددت التليفزيونات في كل دور، وأحياناً في كل حجرة.

قد يعاـنت أغلـب الشقـق مـصمـمة بـحيـث تـجـد مـعـظم الـمـجـرـات تـفـتح فـصـالـة مـتوـسـطـة مـتـسـعة، بـحيـث يـرـأـي خـارـج مـن أـى حـجـرـة إـلـى دـورـة المـيـاه أـو إـلـى بـابـ الخـروـج، يـرـأـي عـلـى هـذـه الصـالـة المـتوـسـطـة، فـيلـتـقـي بالـجـالـسـ في الصـالـة فيـيجـيـهـ، أـو يـشـتـكـ معـهـ. فـيـديـث عـاـبـر حـسـب الـظـرـوفـ، حـالـياـ عـلـيـكـ أـن تـرـفـ في سـرـدـاب طـوـبـيلـ (يـسـمـي طـرـقـةـ) حـتـى تـصلـ إـلـى خـبـئـكـ في حـجـرـة النـوـمـ، وـجـدـ الـحـمـامـ مـلـتصـقاـ بـهـ، حـتـى لـا تـتـكـبـدـ مشـقـةـ عـبـورـ الصـالـةـ، وـربـما رـأـيـتـ زـمـيلـةـ فـي مـؤـسـسـةـ الـأـسـرـةـ.

الأـسـرـةـ - إـذـنـ قـبـعـ فيـ المـكـانـ اـبـتـدـاءـ.

لـكـ لـيـسـ المـكـانـ هوـ الـذـي جـمـعـهـاـ

المـكـانـ هوـ الـذـي يـسـمحـ لـمـن جـاـولـ (شـعـورـيـاـ أـو هـنـدـسـيـاـ، أـو لـاـ شـعـورـيـاـ) أـن تـجـمـعـ الـأـسـرـةـ فـيـهـ وـحـولـهـ وـبـهـ.

ثـانـيـاـ: الـأـسـرـةـ لـيـسـ (فـقـطـ) وـرـقـةـ عـنـ الـمـأـذـونـ،

لـكـنـهاـ تـبـدـأـ كـذـلـكـ، المـفـرـوضـ أـنـ تـبـدـأـ كـذـلـكـ.

الـوـرـقـةـ (أـوـ مـاـيـعـادـلـهاـ مـنـ شـهـادـةـ الشـهـودـ وـالـعـلـانـيـةـ) هـىـ إـلـانـ بـداـيـةـ هـذـهـ الـمـؤـسـسـةـ، الـمـصـيـبةـ أـنـ إـلـانـ بـداـيـةـ هـذـاـ الـتـعـاقـدـ يـصـلـ إـلـىـ أـطـرـافـهـ عـلـىـ أـنـهـاـ إـلـانـ الـنـهـاـيـةـ، نـهـاـيـةـ مـاـذـاـ؟ لـيـسـ مـهـماـ،

رـبـماـ نـهـاـيـةـ الـحـرـيةـ،
أـوـ نـهـاـيـةـ الـبـحـثـ،
أـوـ نـهـاـيـةـ الـوـحـدـةـ،
أـوـ نـهـاـيـةـ الـاسـتـقـلالـ،
أـوـ نـهـاـيـةـ الـرـؤـيـةـ،
أـوـ نـهـاـيـةـ الـحـيـاةـ

كـلـ ذـلـكـ وـارـدـ.

أـيـ تـعـاقـدـ لـإـقـامـةـ أـسـرـةـ، هـوـ تـعـاقـدـ سـلـيمـ مـنـ مـتـغـيرـ (فـيـماـ عـدـاـ بـعـضـ الـشـرـوـطـ الـأـصـعـبـ فـيـ بـعـضـ الـأـدـيـانـ) وـهـوـ تـعـاقـدـ مـفـتوـحـ، أـوـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ كـذـلـكـ فـيـ مـسـتـوـىـ مـاـ مـنـ وـعـىـ الـطـرـفـينـ، هـوـ كـذـلـكـ، مـهـماـ بـدـاـ غـيرـ ذـلـكـ، وـمـهـماـ أـشـيـعـ عـنـهـ مـنـ أـنـهـ تـعـاقـدـ لـأـنـهـاـ (أـبـدـيـ)،

الـوـرـقـةـ وـالـمـأـذـونـ هـماـ إـلـانـ هـذـهـ الـبـداـيـةـ، وـالـعـلـانـيـةـ هـىـ نـوـعـ مـنـ إـشـرـاكـ الـجـمـعـ الـأـقـرـبـ فـالـأـبـعـدـ فـيـ الـإـسـهـامـ فـيـ إـنجـاحـ هـذـاـ الـمـشـرـوـعـ، لـكـنـ هـذـاـ الـبـعـدـ لـاـ يـؤـخـدـ بـالـجـدـيـةـ الـكـافـيـةـ، إـنـهـ بـداـيـةـ، وـبـالـتـالـيـ مـثـلـ أـيـةـ بـداـيـةـ، فـيـنـاـ تـعـاجـ لـبـذـلـ الـجـهـدـ لـإـنجـاحـ الـمـشـرـوـعـ الـذـيـ تـعـدـ بـهـ.

هذا التعاقد بالذات، يحمل ضمناً، شعورياً أو لا شعورياً احتمال "إعادة التعاقد".

مبدأ "إعادة التعاقد" هو من أهم القواعد التي ينبغي أن تحكم الحياة برمتها.

وهو يتم بشكل تلقائي دون قلم وورقة، حتى دون تعاقدي، أية علاقة بين طرفين أو أكثر تشمل تعاقداً ما، سراً أو علانية، سواء كان تعاقداً مؤقتاً أو بنية الدوام، وأى تعاقد هو يشمل إعادة التعاقد ضمناً وتلقائياً، مادمنا نعيش في عالم متغير.

النمو (والتطور) وحتم التغيير

وطالما أنتا تبني في هذه المداخلات - الإنسان والتطور - مبدأ النمو البشري المستمر، فإن التعاقد بين بشر وبشر هو تعاقد معرف لظروف ثبو كل طرف فيه على حدة، وأيضاً تمهماً معاً، من هنا تتوقع أن تضيق المسافة أو تتسع بينهما، تكراراً وباستمرار، حيث من البديهي - والطبيعي - أن يتغير أحد الطرفين أسرع، أو يتختلف أبطأ، فتنتس المسافة كمياً، فضلاً عن تغير الطباع نوعياً (هذا هو التعريف الحقيقي للنمو الحقيقي)، وهنا تلوح ضرورة "إعادة التعاقد".

فإذا كان الطرفان مستعدان لها منذ البداية، فإن الفرصة - برغم الاختلاف - بما في ذلك، اتساع المسافة، تكون أفضل.

إن التوافق لا يتحقق بين الأطراف بسبب أن المسافة قريبة وتزداد قرباً باستمرار، ولكنه يتحقق جسراً اتجاه سهم كل من الطرفين في مسيرة ثبوه، هل هو اتجاه ضام إلى هدف مشترك، أم هو منفرج بعيداً عنه.

إعادة التعاقد لا تشترط فسخ العقد الأول، (الطلاق) وإنما هي مجرد فرصة للتغيير بنود العقد، نتيجة للتغير الختامي للنمو البشري المعتماد.

فإذا كانت إعادة التعاقد أوضح وأصرح وأطيب فإن الفرصة في العقد الجديد تعد بمسيرة أكثر ثراءً وحيوية، واختلاف أكثر حرركية تتخلق منه مسافة جديدة تعد بتعاقد جديد، وهكذا.

إعادة التعاقد ليست إعلاناً لفشل القدم، ولكنها التزام بالاحترام الجديد، العلاقة التي لا تتجدد بهذا الشكل: إما أنها تستمر بالقصور الذاتي، أو أنه يتم فيها إعادة تعاقد سري أكثر سلبية عادة، وبالتالي تكون مهدداً أكثر من إعادة التعاقد علانية، وتحمل المخاطرة.

هذا الاصطلاح بصراحة - إعادة التعاقد - استعرته من الممارسة الإكلينيكية مع المرضى وذويهم حيث يتم التعاقد من البداية بنفس الطريقة تقريباً، وفي حين تكون الأهداف

الأساسية معلنـة منـذ الـبـداـيـة (الـطـبـيبـ يـؤـديـ وـاجـبـهـ وـالـمـريـضـ وـأـسـرـتـهـ يـتـعـاـونـونـ وـالـهـدـفـ هوـ الشـفـاءـ) إـلاـ أـنـهـ يـلـزـمـ عـادـةـ،ـ بـلـ غالـباـ،ـ وـرـبـماـ دـائـماـ تـحـدـيدـ أـهـدـافـ مـتـوـسـطـةـ،ـ بـعـدـهاـ يـعـادـ التـعـاـقـدـ لـهـدـفـ مـتـوـسـطـ تـالـ وـهـكـذـاـ،ـ حـتـىـ يـتـحـقـقـ الـهـدـفـ النـهـائـيـ،ـ وأـحـيـانـاـ مـاـ يـتـجـاـزـ الإـتـفـاقـ هـذـاـ الـهـدـفـ النـهـائـيـ.

مـثـلاـ:

يـكـوـنـ أـولـ هـدـفـ مـتـوـسـطـ مـعـ الـمـريـضـ هوـ:

زوـالـ الأـعـراـضـ (ـالـعـانـاـةـ أـوـ الـضـرـرـ أـوـ الـهـلـوـسـةـ).

فـإـذـاـ مـاـ تـحـقـقـ هـذـاـ الـهـدـفـ يـحـدـدـ هـدـفـ مـتـوـسـطـ آخرـ وـلـيـكـنـ:

مـعاـودـةـ الـإـغـازـ فـالـعـلـمـ وـالـإـسـهـامـ فـوـاجـبـاتـ الـأـسـرـةـ،ـ

فـإـذـاـ تـحـقـقـ ذـلـكـ قـدـ يـظـهـرـ هـدـفـ مـتـوـسـطـ تـالـ مـثـلـ:

مـنـعـ النـكـسـةـ،ـ

وـقـدـ نـصـلـ إـلـىـ هـدـفـنـاـ الـأـسـاسـيـ:

وـهـوـ الـشـفـاءـ

لـكـنـ الـمـسـيرـ يـكـنـ أـلـاـ تـتـوـقـفـ إـذـ قـدـ تـجـاـزـ الشـفـاءـ بـالـمعـنـىـ التـقـليـدـيـ،ـ خـاصـةـ فـالـعـلـاجـ مـنـ مـنـظـورـ غـائـيـ،ـ فـقـدـ يـجـدـ أـنـهـ بـعـدـ تـحـقـقـ الشـفـاءـ وـخـاصـةـ إـذـاـ تـضـمـنـ الـعـلـاجـ مـرـحـلـةـ كـافـيـةـ مـنـ الـعـلـاجـ الـنـفـسـيـ الـجـمـعـيـ أـوـ الـعـمـيقـ،ـ قـدـ يـعـادـ التـعـاـقـدـ بـعـدـ تـحـقـيقـ كـلـ ماـ سـبـقـ لـاستـمـارـ النـمـوـ مـادـاـمـ قـدـ بـدـأـتـ مـسـيرـتـهـ مـنـ خـالـ الـعـلـاجـ بـشـكـلـ حـقـيقـيـ وـأـصـيـلـ بـاـ سـعـيـ بـإـلـاطـقـ الـقـدـرـاتـ الـكـامـنـةـ لـاستـعـادـةـ تـنـشـيـطـ خـطـيـ النـمـوـ مـنـ جـدـيدـ.

عـودـةـ إـلـىـ الـأـسـرـةـ.

أـرـجـوـ أـنـ يـكـوـنـ هـذـاـ الـاـسـطـرـادـ الطـوـيلـ مـفـيـداـ،ـ وـإـنـ كـانـ تـطـبـيقـهـ قـيـاسـاـ عـلـىـ الـأـسـرـةـ هوـ أـصـعبـ طـبـعـاـ وـمـعـ ذـلـكـ فـيـإـنـ المـتـعـمـقـ فـيـ طـبـيـعـةـ مـسـارـ الـعـلـاقـاتـ الـبـشـرـيـةـ يـكـنـ أـنـ يـلـقـطـ مـاـ يـواـزـيـ هـذـاـ الـمـثـلـ مـنـ الـعـيـادـةـ الـنـفـسـيـةـ،ـ وـلـكـنـ بـطـرـيـقـةـ غـيرـ مـعـلـنـةـ،ـ وـأـحـيـانـاـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ غـيرـ شـعـورـيـ.

بـدـايـةـ،ـ هـذـهـ الـفـقـرـةـ كـانـتـ تـنبـهـ أـنـ عـقـدـ الزـوـاجـ لـيـسـ هوـ الـضمـانـ لـإـلـانـ تـكـوـينـ أـسـرـةـ،ـ وـأـنـهـ جـرـدـ بـدـايـةـ وـأـنـ الـأـسـرـةـ تـتـكـوـنـ بـاجـهـدـ الـبـذـولـ مـنـ الـطـرـفـيـنـ طـوـلـ الـوقـتـ،ـ لـتـطـوـيرـ هـذـهـ الـبـدـايـةـ لـزـيـادـةـ فـرـصـ النـمـوـ لـكـلـ الـطـرـفـيـنـ،ـ وـذـلـكـ بـأـنـ يـحـافظـ كـلـ طـرـفـ عـلـىـ حقـهـ فـيـ اـسـتـمـارـ غـوـهـ جـنـبـاـ إـلـىـ جـنـبـ مـعـ اـسـتـمـارـ غـوـهـ شـرـيكـهـ بـنـفـسـهـ لـنـفـسـهـ،ـ مـنـ خـالـ الـتـعـاـيـشـ التـكـافـلـيـ،ـ وـيـكـونـ مـشـرـوـعـ هـذـهـ الـأـسـرـةـ نـاجـحاـ بـقـدرـ ماـ يـكـوـنـ هـذـاـ الجـهـدـ فـرـصـةـ أـفـسـحـ وـأـطـيـبـ لـلـطـرـفـيـنـ يـأـخـذـ مـنـهـاـ كـلـ طـرـفـ مـاـ يـعـيـنـهـ فـيـ مـسـيرـتـهـ شـخـصـيـاـ -ـ فـيـ حـضـورـ آخـرـ يـقـومـ بـنـفـسـ الـمـهـمـةـ لـنـفـسـهـ،ـ وـيـكـونـ الـرـبـاطـ تـكـافـلـيـاـ أـيـ مـفـيـداـ لـمـصـلـحةـ كـلـ طـرـفـ عـلـىـ حـدـةـ.

ثـمـ مـعـاـ،ـ طـوـلـ الـوقـتـ.

وذلك على مستويات مختلفة إذا استمرت حركية إعادة التعاقد موضوعية وعادلة.

ثالثاً: الأسرة ليست (فقط) مفرخة للأولاد

الأولاد هم مكملون للأسرة بداهة، لكن الأسرة تقوم حتى بدونهم،

في ثقافتنا العربية يصعب قول ذلك، مع أنه احتمال موجود ومقبول وناجح في بعض الأحيان.

لا ينبغي أن تكون هذه الضرورة البديهية (الأولاد) هي الرباط الأول (والآخر أحياناً) الذي محافظ على تماسك أو استمرارية الأسرة،

في أحيان كثيرة، خاصة إذا تهددت الأسرة بالتفكك (الطلاق) يقول أحد الأطراف (الزوجة عادة) أنها سوف تراجع أو تتنازل من أجل الأطفال، هذا أمر يبدو طبيعياً فعلاً، لكن فائدته لابد أن تكون في حدود محسوبة، لأن إعادة رأب الصدع من خلال إعادة تعاقد الطرفين مع وجود الأطفال كعامل مساعد، هو أمر مختلف تماماً عن الإضطرار إلى الإستمرار بنفس المواصفات والشروط التي أدت إلى الشرخ الذي أوصل الأسرة إلى مأزق الانفصال.

بعض البنات شعورياً أولاً شعورياً يقبلن على حلم الزواج لتحقيق أموالهن قبل أو بدون النظر إلى مشاركة آخر أو إرساء قواعد هذه الوحدة البشرية الصعبة التي أسها الزواج.

هذا ليس مرفوضاً (خاصة إذا كان هدفاً لشعورياً) لأن مؤسسة الزواج، يمكن أن تنموا بذاتها لذاتها بغض النظر عن الهدف الشعوري أو اللاشعوري الذي بدأ بسببه أو من أجله.

أن يدعم وجود الأطفال استمرار وحيوية الأسرة شيء، وإن تستمر الأسرة من أجلهم أساساً أو تماماً شيء آخر.

دعونا نعرف أن هذه الحجة - في بعض الأحيان - تكون نوعاً من التبرير للتراجع، أو سبيلاً إلى إعادة النظر، وهذا جيد ومحبوب، حتى لو تم على مستوى لا شعوري،

وعلينا أيضاً أن نعترف بقدر مناسب من الألم أن استمرار الأسرة على أساس واحد، أو بضاعفات حقيقة لطرف واحد، أو للاثنين قد تكون أوثق عاقبة عن إنهاء التعاقد لصالح الأولاد بعد التنظيمات المناسبة، ويا جبذا باستشارة علمية ودينية واجتماعية موضوعية مناسبة.

رابعاً: الأسرة ليست (فقط) مشروعًا استثمارياً (ومنها: ليست مفرخة للتنافس)

ترى هل إضافة (فقط) هنا معناه أننا - مثل الحال في اللائسات السابقة - قبلنا أن تكون الأسرة مشروعًا استثمارياً، ولو نسبياً، ولو بشرط معينة؟

الاعتراف بالواقع هو بداية تعلن احترام الجارى، وأيضاً هو الذى يتتيح الفرصة للتغيير إذا كان لابد من ذلك (وعادة هو لابد من ذلك وإلا فain وكيف النمو)،

كثير من الأسر تبدأ كمشروع استثمارى، سواء كان ذلك برضاء كامل من الأطراف المعنية، أو بضغط مباشر أو غير مباشر من المؤسسة الأكبر التي تحتوى الطرفين، أو باتفاق مباشر بين الطرفين، يحدث هذا إذا اتفقت المصالح (بعيداً عن إنشاء وحدة أسرية)، ومن ذلك: الخرس على عدم تفكك الميراث، أو الأمل في زيادة التعاون الاستثمارى، (زيادة رأس المال)، أو تسهيل للسفر أو الهجرة المؤقتة أو الدائمة، كل هذه مفقات استثمارية بشكل أو بآخر، وهي ليست مرفوضة تماماً، شريطة أن تكون مجرد بداية لكيان ما يمكن أن يتعرّع بداخله أو من خلاله ما يتعرّع.

وبقدوم الأولاد يزيد عدد الشركاء في هذه المؤسسة - دون إذن منهم - ويبدأ الخطر والضرر حين يُستعمل هؤلاء المساهمون الجدد، دون أن يدرّوا، في استمرار أو زيادة استثمار هذه المؤسسة، فينقلب دورهم، إلى أدلة تستعمل - أيضاً شعورياً أو لا شعورياً - لتنمية هذه المؤسسة وتراجع حقوقهم بشراً من حقوقهم أن "يوجدوا" أولاً وأن يعترف بهم، "ليكونوا" قبل (أو بدون) استعمالهم.

في كثير من الأحيان - كثير جداً من الأحيان - كما بلغى من الممارسة الإكلينيكية خاصة، يبدأ تكوين المؤسسة الاستثمارية مع قدوم الأولاد وليس من البداية يحدث هذا في الأسر البرجوازية الصغيرة خاصة، حين يُتَّلِّلُ الابن أو البنت مشروعًا قادرًا على تعويض الأب عادة (إلى درجة أقل الأم) ما فاته، أو قادرًا على تصحيح خط الوالد القليل، الذي كان يأمل في تحقيق طموح أعلى لم يستطع أن يحققه. في هذه الحال، ومنذ البداية، يبالغ الوالد في التركيز على قيمة التفوق، والتفوق جداً، والتفوق طول الوقت، منذ بداية البداية، ولتصبح الاعتراف بالابن - أو البنت (أو حتى رؤيته فالسامح له بالوجود) مرتبطة تماماً بهذا التفوق دون غيره.

وهكذا تنقلب مسيرة الحياة كلها إلى سلسلة من المسارات التنافسية المتلاحقة،

ومن علامات هذه الوظيفة الاغترابية الاستثمارية ما يجري من مقارنات بين الأسر البرجوازية خاصة، والطبقة المتوسطة عامة، ما يجري من مقارنات بين الولد وابن عمته المتوفّع عنه، وأيضاً بنت جارهم، ولامانع من المعايرة بتقديم ابن البواب دونه ... أخ.

يصل إلى الابن أو البنت هذا الاستعمال بوضوح، وأنه ليس سوى كتاباً يريدونه مصقولاً جدًا، ليس إلا إداة أو حلبة يقومون بتلبيتها طول الوقت، وبالتالي فعلية أن يقوم بتحقيق ذلك لهم، فهو يذاكر لصالحهم، قبل صاحبه، أو ضد صاحبه الأعمق.

يظهر الاحتجاج على هذا الموقف في كثير من الأحيان في صورة مظاهر التوقف الدارسي "لطالب كان متفوقاً، طول عمره، فماذا جرى"؟

الذى جرى ويجري هو أنه حين اكتشف هذا الطالب أن الكتاب قد حل محل وجوده كلية، قرر أن يمزق الكتاب، لكنه حين فعل وتوقف عن الدراسة لم يجد نفسه وراء الأوراق الممزقة، فهو لم "يكن" أبداً إلا مشروع استثمارياً.

حتى لو قيلنا هذه البداية الاستثمارية، حتى لو أفاد استثمار الأولاد تحقيق بعض طموحات الأولاد وذويهم العادلة في دفعهم إلى الإنهاز، فإن الخطير كل الخطير هو أن يكون الأمر كذلك فقط، أو كذلك تماماً،

لا يوجد تناقض بين النجاح والتفوق على ناحية وبين احترام والوجود وضرورة الاعتراف به في نفس الوقت، لكن علينا أن ننتبه إلى أن الأسرة تكون أسرة أولاً، ذلك المجتمع الصغير الذي يحمل مقومات تماسكه في ذاته، وأن الأولاد هم دعائم لهذا التماسك، وليسوا أدوات مشروع يختاره الأهل، وعلى الأسرة قبل وبعد ذلك انتهاز الفرصة ليقوم كل بدوره متكاملاً ما يمكن ذلك.

عليينا أن نعترف أن نجاح هذه المشاريع الاستثمارية سواء بدأت من البداية بقدوم الأولاد، أو نشأت كمشاريع تعويضية أو تكميلية بعد قدوم الأولاد قد تنجح في تحقيق أهداف عادلة طيبة، وأن هذا لا يتعارض من استمرار الأسرة نابضة حيوية وهي تحقق أهدافها بطريقه عادلة، ليكن، ولكن على أصحاب المشروع طول الوقت أن ينتبهوا إلى مقاييس الحياة الأسرية خاصة، والحياة بشكل عام في نفس الوقت الذي ينمون فيه مشاريعهم .

5) الأسرة ليست (فقط) مؤسسة سلطوية :

بمجرد نشأة الأسرة، وأحياناً قبيل نشأتها، يسارع أحد طرفيها "الرجل عادة" في ممارسة سلطته بشكل يحتاج إلى وقفة مثل كل ما سبق.

لابد لأنية وحدة اجتماعية أو مؤسسة من قائد أو رئيس، طول الوقت، أو بعض الوقت، باستمرار أو بالتناوب، ولكن أن تكون الأسرة هي المرتعن والجال الذى يتبيح له فرض نفسه طول الوقت، وليس لقيادة السفينة، فإن سطوه كلها تصبح مسخراً لإثبات ذاته أكثر من تحمل مسؤوليته، وهذا هو الذى يقلب الأسرة إلى ما ليس هى.

السلطة مطلوبة وهى - أو عليها أن- تتناسب مع المسئولية،

وأن تُمارس حساب الرعية وليس على حسابهم ،
وأن تتغير وتطور مع المتغيرات الجارية وغير الجارية .

تتعدد الأسباب التي تجعل الأسرة مؤسسة سلطوية ومن ذلك أنه

- (1) قد تبدأ الحكاية من منطلق ذكوري (رجولي) تاريخي
- (2) وقد يكون التسلط طبعاً جاهزاً للإطلاق بمجرد تكوين الأسرة، طبعاً يغلب عند الأب ويجوز عند الأم.
- (3) وقد يمارس السلطوي أو المتسلط سلطانه ذلك تعويضاً عن ما يعيشه ويلقاها في العمل أو حتى على مستوى الوطن... الخ.

هذا الدور السلطوي ليس قاصراً على الرجل، فكثيراً ما تمارسه الأم كذلك، تمارسه على كل أفراد الأسرة بما في ذلك الأب، على أن ذلك عادة ما يكون مصحوباً بدرجة ما من التملك وليس فقط التسلط.

توجد ميزة ضعيفة لهذا التركيب الأسري كما قلنا في البداية، وهو وجود قائد، له عالم والديه مسئولة، وهو أمر مهم خاصة في مجتمعاتنا وثقافتنا، لكن المصيبة حين لا تكتمل هذه الوالدية -كما ذكرنا أيضاً- بما يناسبها من رعاية ومسؤولية بدرجة كافية.

ثم إن وضوح السلطة هكذا قد يكون مدعاة ومبرراً ودافعاً للثورة عليها، وهذا أفضل من الوالدية المائعة، أو مدعية الحرية، التي تمارس السلطة سراً بطريقة معيبة لحركية النمو لسائر أفراد الأسرة، وبالتالي تقل معها فرص المواجهة والثورة.

وبعد

إذا كانت هذه هي الموصفات التي تشير إلى ما ليست هي الأسرة، مع أنها تراجعتا عن النفي المطلق، فما هي إذن الأسرة القادرة على أن تحتوى أفرادها لصالحها وصالحهم ومن ثم لصالح الناس؟

وما علاقة هذا وذاك بالمرض النفسي والإدمان؟

لهذا حديث آخر!

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr

Mail To Forum Participate

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

FORUM INVITATION

www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf

الثـلـاثـاء 22-01-2008

144-الأسرة والثقافة والطب النفسي والإدمان (2)

طقوس "السبوّع"، وجذلية الانفصال/الاتصال

الأسرة الإنسانية هي المجتمع الصغير الذي محضن الناشئ فترة احتياجه لرحم اجتماعي ينمو فيه سنين طويلة، وظيفة هذا المجتمع ليس مجرد إضافة حسابية لوظيفة أفراده، مثل أي وسط، الأسرة هي كيان ضام له شخصيته الكلية التي تتجاوز مجرد مجموع أجزائه.

هل يمكن للفرد البشري أن ينشأ بدون أسرة؟

إذا كان يمكن للجنين أن ينمو تسعه أشهر ويولد بدون رحم لأم تحتويه فيصله من خلالها مشروعه مقومات الوجود ثم يولد ليكون، إذا كان هذا ممكنا فإنه يمكن للكائن البشري أن يوجد وينمو بدون أسرة.

هل كان لغرينوي" - بطل رواية العطر لزوشكند - أسرة أصلًا؟ أو في أي وقت؟ وحق النهاية؟ هل كان له رحم آصلاً تحمله أم لها أحشاء وعضو الله الرحم؟ أم أن الأم نجحت في حشو ما قامت به الفسيولوجيا والطبيعة رغم أنها، هذه القاتلة أبناءها، لم تُنْجِنْ لها فرصة قتل هذا الأبن الأخير قبل إعدامها، هي ساحت أن يتقنأ رحمها وسط بقايا السمك والعفن والقذارة.

لأن جرينوي لم يكن له أسرة هو لم "يكن" أصلًا، ثم هو لم يكن أبداً،

كل المهارات والنبوغ والعقيرية والتأله والقتل، لم تتحقق له وجود بشرياً أبداً،

قتل العذاري ليخلق من أرواحهن عطراً يؤلهه فيغنجيه عن أن يكون له أسرة ليكون بشراً، فلم يحقق إلا العدم الساحر الذاهل.

ففي النهاية استعادوه أكلة لحوم البشر إلى رحم الناس حين التهموه حيَا في مقبرة الأبراء، "ولأول مرة يشعرون أنهم فعلوا شيئاً عن حب"!!

ما زالت أسئلة عن مغزى هذه العبارة التي انتهت بها الرواية، وعندي لها عدة تفسيرات غير ما حضرني الآن، حضرني أنهم ربما بفعلهم هذا، قد أرجعوه قسراً إلى رحم البشر من جديد، لعله يجد البداية داخل الناس، بشراً يولد بسماح، ويُستقبل برؤبة، في أسرة (رحم اجتماعي) يتخلق فيها ومعها وبها، ليكون أحد أفرادها وليس إليه زائفاً معبوداً في فراغ الضياع والعدم.

الخلاصة :

أن من ليس له أسرة، من ليس له رحم اجتماعي من البشر، فهو لا يكون أبداً

الافتراضات الأساسية

الافتراضات الأساسية لتكون الأسرة أسرة (صحية) بالمعنى المتقدم أي "رحمًا اجتماعياً"، يمكن عرض بعضها فيما يلى:

- والدية مسئوله.
- مجال معرف
- تواصل ثماي
- حماية مرفأية (من مرفاً)
- ولادة سليمة (سماح بالاستقلال)
- علاقة متدة

أولاً: معلم الوالدية (الجزء الأول) :

يطلق لفظ الوالدية على الوالدة والوالد، وهذا أفضل من أن يطلق على الوالدة والوالدة، فالآباء ذات الرحم البيولوجي النفسي معاً، هي الأقدر على تحمل مسئولية النقلة إلى الرحم الاجتماعي (الأسرة)، وقد ركزت مدرسة العلاقة بالملوّض، وهي المدرسة التحليلية الإنجليزية (ميلان كلاين - جانتر - فيبرن) على دور الأم في القيام بهذه النقلة الصعبة والأساسية، وبرغم سلامتها لهذا التوجه من حيث المبدأ، إلا أن هذه المدرسة بالغت في تحديد دور الأم حتى كانت تتلفى دور الأب في السنين الأولى، وهذا يعتبر عندي من أول التشوهات التي يمكن أن تلحظ بالرحم الاجتماعي (الأسرة)، كما بالغت هذه المدرسة أيضاً في نفي أو التهوي من دور البعد البيولوجي (التطورى فيلوجينياً، ووراثياً) بما ذلك اعتبارها أن الفكر الغريدي هو بيولوجي أساساً.

الانتقال من رحم الأم إلى رحم الأسرة عملية ليست بهذه البساطة، فالطفل داخل رحم الأم يمثل لها دعماً، وتفوقاً، وتألها بشرياً طيباً،

ولنا أن نتوقع -أو نتصور- أنه بانفصال هذا الدعم الداخلي (السرى) عنها يحدث ما يلى:

(أ) إنها تقاوم الانفصال، في نفس الوقت الذي تفرج به وتنجزه ،

ولعل آلام الوضع هي إعلان عن هذه المقاومة، في حين أن نجاح الوضع هو إعلان السماح بهذا الانفصال.

(ب) إنها لا تصدق هذا الانفصال بسهولة، وتکاد لا توافق عليه، حتى بعد أن يتم، لكنها تدعنه، فھي تحتاج إلى شحن وعي الادراك، وإطلاق مزيد من قدرات السماح في حيطة من الأمان، حتى تصدق - جداً - أن هذا الانفصال هو حدث رائع آمن لصالحها، وصالح من انفصل عنها.

دللات طقوس (الولادة) وبعئدها

أولاً: أثناء الولادة وبعدها

قمت بقراءة طقوس "السبوع" والولادة في مصر من هذا المنطلق على الوجه التالي:

1- قبيل الولادة وأثناءها تحضر أم داعمة للأم الوالدة (سواء كانت الأم الحقيقية أو أى أم بديلة)، مما يتبيّح لها أثناء طلق الولادة أن "تتقطف" على صدر أمها، وهي مسندة ظهرها إليها في ثقة كافية، وقد قرأت ذلك باعتباره بثابة الدعم الخارجى وهو يطمئن الوالدة إلى أن خروج الدعم الداخلى منها لن يخل بتوازنها لأن هناك في الخارج من يسندها ويساندها.

2- أثناء الولادة يتواكب ويتناسب الأُم مع السماح حتى ينتصر إعلان الخلق، وللأسف فإن الاستسهال الطبيعى التوليدى الأحدث فالحدث مجرم أغلب الأمهات المعاصرات من هذه الخبرة الهامة، بإعطاء تخدير خفيف أو بالإكثار من عمليات القيصرية لأسباب ليست دائمًا موضوعية في هذه الفترة.

3- تعد الأم الكبيرة لابنتها الوالدة فرحة بأكمالها (لا يصح أن تُجزأ أو تقطع أو يشاركتها فيها أحد) لتأكلها "مجملها" وحدها، وكأنها رمز ملء الفراغ الذى تولى عن خروج الطفل (الداعم) كاملاً، برمز كيان كامل أعدته أم الوالدة.

4- يتم إعطاء فرصة سبع أيام كفترة انتقالية تتعرف فيها الأم على ما حدث لعلها تتأكد - بصعوبة وفرحة معاً - أن منْ كان يداخليها أصبح الآن منفصلاً عنها، وهنا تقوم الرضاعة الطبيعية بدور رائع، ليس مجرد تغذية الطفل بما هو حقه الطبيعي، ولكن أيضاً بالتدريج مع الأُم، لقبول الواقع الجديد، من خلال الحركة اقتزاباً وابتعاداً، الطفل متلقاً بثديها يصل إليها أنه مازال جزءاً منها، لكنه ليس كذلك طول الوقت، فهو سرعان ما يبتعد، أو يُبعد بعد الرضعة، ربما أدى إلى إقناع الأم أولاً أن الخروج ليس معناه الانفصال القاسى، وإنما هو يعني بداية رحلات حركية النمو ذهاباً وإياباً !

طقوس السبوع

يأتى بعد ذلك دور احتفالية السبوع الرائعة، وقد قرأتها على الوجة التالى:

بعد السماح للأم بهذه الأيام السبعة للتتعرف من خلالها على ما حدث، يقوم الوعي (الشعوى/الأسرى) بما يتبعى لدعم ذراع الانفصال، بما يسمح أن يكون ذراع الوالدة مازالت لا تتبين واقع نماء. يدرك الوعى الشعوى أن الوالدة مازالت لا تتبين وأنه يكفى، أو الأرجح أنها لا ت يريد أن تعرف به، (وقد تكون فى قراررة نفسها لا ت يريد أن تسمح به أن يتم جداً)، وفى نفس الوقت هي حريصة على أن يتمادى الانفصال إلى غايتها ليرتدى إليها وهكذا.

يمكن افتراض أنه فى الأحوال الأقل طبيعية أن بعض الأمهات، مع كل رضة، يتصورون إمكان استعاده الطفل إلى الداخل، ومع كل تغيير (غيار) ملابس الطفل هي تستعيد السماح له بالتواجد منفصلا عنها، ومن هنا - مرة أخرى، تتعمق حركية **السماح والاسترجاع**، التى سوف تستمر بعد ذلك طول العمر كما سيأتى ذكره في يوميات لاحقة.

اكتشفت أن طقوس السبوع قد صاغها الوعى الشعوى لمساعدة الأم على مزيد من الوعى الموضوعى بفعل الانفصال، كل طقوس السبوع تقريباً يمكن إيجازها في الفرض التالى:

"إنها لإبلاغ حواس (حركة) الأم، أن ما كان بداخليها أصبح الآن منفصلا عنها، وأن عليها أن تقبل، ذلك وأن تتأكد من ذلك، وأن تفرح بذلك، فتسمح به لأنه بداية حركية تعيد إليها ما أجزته على مستوى آخر في رحم الأسرة.

نقرأ تطبيقات الفرض على الوجه التالى

أ- إن وضع الرضيع في غربال تحمله الأم أثناء التجوال بالمنزل إنما يعلن للأم أن مكانه لم يعد بالداخل (بشهاده الشهدوه الهائلتين من حولها).

ب- إن دق المون - مع الزغاريد والفرحة - إنما يبلغ سمع الأم أن هذا الكيان (الذى قد يبكي لسماع الدق) أصبح خارجها (بشهادة الشهدوه أيضاً).

ج- إن اللف بالوليد في أرجاء المنزل حجرة حجرة، يبلغ الأم أنه بالتأكيد أصبح خارجها، ليس فقط في سيرره (أولفته) بجوارها، ولكنه أصبح خارجها في كل مكان في البيت.

د- ثم تأتى أهم خطوة حين يوضع الطفل على الأرض وخطيه الأم ذهاباً وجيئة سبع مرات، لعلها تتأكد المرة بعد المرة أنه أصبح، وبالرغم من أنه بين ساقيهما، إلا أنه أصبح خارجها وأن الحركة الدؤوب، ذهاباً وجئنه من جانبيها أولاً، ثم من جانبه لاحقاً، هي هي التي سوف تنظم العلاقة وتؤكد الانفصال الطبيعي بينهما ليتخلق نوع آخر من التواصل الحركى الإيقاعى.

هذه هي بعض معانٍ تلوك الطقوس الدالة، والتي حرم منها كثيرات من أمهات اليوم، بلا أى مبرر إلا التراجع عن عاداتنا سواء إهمالاً أو تقليداً لعادات غيرنا، أو نتيجة للافتقار إلى منطق نفعي جاهز واضح يبرهنها.

دلائل من أعراض مرضية مألوفة في فترة النفاس

كثير ما يصيب الأم، في فترة النفاس أساساً، بعض الأعراض النفسية التي تصل إلى درجة المرض النفسي أحياناً، مما يمكن إرجاعه إلى خلل في التعامل مع هذه الحركية النمائية دخولاً وخروجاً، أو من العجز عن استيعاب جدلية الانفصال/الاتصال، والعجز عن الإعداد لها، ومن ذلك:

A- تصاب حوالي 60% من الوالدات بما يسمى "كآبة النفاس"، وهو نوع من الاكتئاب الطفيف العابر الذي يزول وحده - دون علاج عادة - خلال حوالي أسبوعين، وقد يكون رمزاً لآلام الفراق قبل التأكد من هميّة العلاقة الجديدة وروعتها.

B- قد يظهر على الأم صعوبة في تقبيل الوليد (أحياناً حتى إعلان الكراهية أو رفض إرضاعه) مما يبدو كأنه نوع من الاحتياج على هذه الخطوة، وكأن الوليد هو الذي عملها دون استثنان أمه.

C- قد تصاب الوالدة بذهان النفاس بأنواعه مما قد يشير إلى نوع من اختلال التوازن، نتيجة للفراغ الذي نشأ من هذا الانفصال دون أن يعتلى بدعم تعويضي من الخارج، ودون استيعاب أنه ليس انفصالاً فسراً هجراً، بقدر ما هو إعادة تنظيم العلاقة من جديد.

D- حالات قتل (أو الشروع في قتل) الوليد تحدث مع الذهان المريض عادة، أو بدون ذلك ليكون هذا القتل (أو الشروع فيه) هو المظهر الوحيد للذهان، وهو أقسى مظاهر رفض الانفصال، (الأمر الذي نشاهده في دراما القتل من المجر في الحب عند الناضجين مع الموس الغرامي: (مثال: قتل المرحومة ذكري... وغيرها)).

دور الأب

يتجسد تهميش دور الأب في هذه الفترة تجسيداً واضحاً بشكل يحتاج إلى مراجعة، ففي الوقت الذي يمكن أن يُقرأً هنا التهميش على أن دور الأب ثانوي في هذه المرحلة، يمكن أن يقرأً على أنه تحميل للأم أعباء زائدة مما قد جرمتها من العناية بكيانها المستقل، ليس فقط عن الأب، ولكن أيضاً عن الوليد.

بالرجوع إلى المنطلق الأساسي، وأن الأسرة هي الرحم الاجتماعي كمحيط حيوي حقيقي، يمكن أن نتبين أن للأب دوراً إيجابياً لا غنى عنه في إسهامه في تكامل هذا المحيط الحيوي، وأن قيام الأب بدوره في دعم هذا الكيان الأسري (الرحم الاجتماعي) بدءاً بدعم الأم، يفسر كيف أن الأب الآن يتّصل

محضور عملية الولادة ، وأن يكون في المتناول طول الوقت ، خاصة قبيل وبعيد الولادة ، خاصة لو كانت الأم واعية - دون ألعاب التخدير والقيصرية - حتى تستوعب الأمان المحيط مهما بلغت الآلام الجسدية .

ويعد دور الأب بعد ذلك بتنظيم مشاركته في دعم حقيقى بالوقت والفعل والإسهام العملى في تهيئه مناخ طيب لهذا الرحم الاجتماعى (الأسرة) البديل عن والمكمل لرحم الأم إلى رحم الأسرة .

أما استمرار جدية الانفصال/الاتصال بعد ذلك مدى الحياة ، فهذا ما سنرجع إليه مادمنا نتواصل ونواصل .
ذلك سوف نواصل عرض معالم الوالدية وغيرها من الافتراضات الأساسية للأسرة من منطلق ثقافتنا خاصة .
- البيولوجى أيضا بالمعنى الأوسع .

The Man & Evolution FORUM Web Site
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription
TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroups.fr

Mail To Forum Participate
TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

FORUM INVITATION
www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf

الأـدـمـانـ 2008-03-02

184- عودة إلى ملف الإدمان: الإدمان، ومنظومة القيم

لا أعرف مدى أحقيتي في هذا التناقل السريع بين ما يحضرني لهذه النشرة من موضوعات ومسائل ومشاكل، هذه البدايات التي لا تكتمل أبداً، هل هي فرضت نفسها على هذه النشرة فأصبحت مما ييزها (أو يعييدها)؟ لو أنني ألمت نفسي بإكمال أي موضوع مما بدأت، إذن لوجدت نفسي أكتب كتاباً وليس نشرة يومية، خذ مثلاً موضوع "بعض وصف مصر" وهو الذي ظهر بعد أسبوعين من بداية النشرة (15- 9 - 2007) وتحمس حلقات، (بعض وصف مصر "1")، (بعض وصف مصر "2")، (بعض وصف مصر "3")، (من ملف القيم والأخلاق في مصر الآن "1")، (من ملف القيم والأخلاق في مصر مجـث علمي شعـي "2")، أعتقد أنه يحتاج ألف صفحة ليكتمل بعده، ثم خذ آخر ما نشرت هنا عن العلاج عامة والعلاج النفسي خاصة تمهيد للدخول تفصيلاً إلى "علاج المواجهة المعاكـدة المسـؤـلـيـة" مثلاً وقد شغل حوالى نصف نشرات الشهر الماضي.

ما العمل؟

ظهر هذا اليوم (3/1) كنت أسجل في الفضائية المصرية على الهواء عن إشكالية الإدمان (برنامج "ستدي" موجود على الموقع حالياً)، و موقف الألم من ابنها أو زوجها المدمن، ودار حوار وقلت كلاماً وردت على مداخلات هاتفية عادية ساذجة، ثم أثناء عودتي خيل إلى أن ما قلته يستأهل أن يكون مادة للنشرة التي أعدتها لتصدر غداً، وطلبت من سكرتاري تفريغ الحلقة، لكنني راجعت نفسي حيث أن الحلقة تنزل في نفس الوقت بالصوت والمصورة في الموقع، فلماذا أطلبها كتابة أيضاً؟ أني كنت بدأت فتح ملف الإدمان في نشرتني (سـعـجـ عنـ الإـدـمـانـ)، (الـأـسـرـةـ وـالـقـافـةـ وـالـطـبـ النـفـسـيـ وـالـإـدـمـانـ)، وأن هذه البداية شلت كثيراً ما قلته في حلقة اليوم.

دفعني هذا كله إلا أن أعود إلى ملف الإدمان هكذا، وللأيام القادمة

الجزء الثاني من الأسئلة الشائعة وإجاباتها المحددة:
٣، ج عن الإدمان (2)

س: هل لمنظومة القيم السائدة، علاقة بانتشار ظاهرة الإدمان مكذا؟

ج: طبعاً.

ولكن عندك، نلاحظ أن الإدمان أصبح - وربما كان هكذا عبر التاريخ - عالمي الانتشار لا يفرق بين مكان وآخر، ولا يفرق بين مستوى اجتماعي أو مادي وآخر، ولا يفرق بين نظام قيمي وأخر، الإدمان قد ينبع من فرط الحرية، كما أنه قد ينبع من فقر الحرية، الإدمان قد يرتبط بوفرة المال، كما قد يرتبط بالفقر "الذكر"، وكل مواهٍ وسموٍ، فإذاً من نبأنا إلى قيمة بذاتها، وربطنا بينها وبين الإدمان فعلينا أن ننتبه إلى ألا يكون هذا الرابط خطياً مسطحاً، وأيضاً أن نتجنب التعميم أو الثبات.

س: مثل ماذا في مصر على وجه المثال؟

ج: خذ مثلاً قيمة الاستهـال والـمـباـشرـة والـكلـامـيـة، إنـنا نـروـج - ربـما جـسـنـ نـيـة -لـقيـمـ وـمـفـاهـيمـ لـاتـقـنـ معـ مرـحـلـةـ تـحـضـرـنـاـ المـأـمـولـ، وـلـاـ هيـ تـنـاسـ إـمـكـانـيـاتـنـاـ المـادـيـةـ، ثـمـ هيـ تـعـثـلـ منـ وجـهـ نـظـريـ بـعـضـ الـأـرـضـيـةـ الـتـىـ تـقـرـعـ فـيـهاـ ظـاهـرـةـ الإـدـمـانـ.

كثير من تجليات هاتين القيمتين يقع في أكثر من مجال، بعضها في مجال التربية، وبعضها يقع في مجال السياسة، ومنها ما يقع في مجال الطب، وأحياناً الاقتصاد أو القانون.

ففي مجال التربية نحن نروج لهاتين القيمتين الأساسيةن الاستهـال والـمـباـشرـةـ:

أما عن الاستهـالـ، فـمـثـلاـ:

لقد عـوـدـنـاـ أـبـنـاءـنـاـ وـبـنـاتـنـاـ فـتـعـودـنـاـ مـعـهـمـ - أـنـ الـامـتحـانـاتـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـوـنـ سـهـلـةـ، حـقـ يـصـبـحـ تـقـدـيرـ 100%ـ هوـ منـ حـقـ الطـالـبـ النـجـيبـ (وـغـيرـ النـجـيبـ إـذـاـ أـمـكـنـ !!!)، وـهـذـاـ مـبـدـأـ خـاطـئـ تـرـبـويـاـ مـنـ أـسـاسـهـ، فـحـقـ أـنـبـغـ النـبـغـاءـ لـابـدـ أـنـ يـتـعـلـمـ مـاـهـوـ المـكـنـ، وـمـاـهـيـ نـسـبةـ الـخـطـأـ الـفـرـوـرـيـةـ فـإـيـ أـدـاءـ مـهـمـاـ بـلـغـتـ درـجـتـهـ، وـمـاـهـيـ الـخـطـأـ الـخـتـمـلـ، وـمـاـهـيـ الـخـطـأـ بـالـصـدـفـةـ، وـمـاـهـيـ الـخـطـأـ بـالـهـمـالـ، وـكـلـ هـذـاـ مـنـ قـوـانـينـ الـحـيـاةـ الـطـبـيعـيـةـ قـبـلـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـ مـبـادـئـ التـرـبـيـةـ السـلـيـمةـ.

هـذـاـ هـوـ الـوـاقـعـ، أـمـاـ غـيرـ ذـلـكـ فـهـوـ دـعـوـةـ ضـمـنـيـةـ لـتـنـشـئـةـ أـوـلـادـنـاـ عـلـىـ اـسـتـحـالـةـ الـخـطـأـ، وـعـلـىـ تـقـدـيسـ الـخـلـمـ، وـعـلـىـ لـوـمـ الـآـخـرـينـ، وـفـيـ كـلـ هـذـاـ مـاـ فـيـهـ مـنـ اـسـتـهـالـ ظـاهـرـ.

وـأـمـاـ عنـ الـمـباـشرـةـ:

فـقـدـ دـأـبـنـاـ عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ الـامـتحـانـ لـقـيـاـسـ كـمـ الـمـعـلـومـاتـ الـمـحـشـوـرـةـ فـخـزـنـ الـذـاـكـرـةـ، وـلـيـسـ لـقـيـاـسـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ التـصـرـفـ إـزـاءـ الـمـشـكـلـاتـ، يـجـدـ ذـلـكـ حـتـىـ فـيـ اـمـتحـانـ الـلـغـاتـ، فـأـصـبـحـتـ الـرـوـاـيـةـ الـمـقـرـرـةـ فـيـ الـثـانـيـةـ الـعـامـةـ مـثـلاـ - هـيـ بـيـثـابـةـ الـنـصـوصـ، تـحـفـظـ وـتـسـكـبـ عـلـىـ الـوـرـقـ، وـلـمـ تـعـدـ رـوـاـيـةـ تـقـرـأـ قـرـاءـةـ نـقـديـةـ، تـسـمـحـ بـالـتـلـقـيـ المـتـجـدـدـ، وـإـعـادـةـ الصـيـاغـةـ مـنـ وـاقـعـ الـحـوارـ،

فـلـمـاـذـاـ هـىـ روـاـيـةـ وـلـيـسـ تـارـيـخـاـ يـسـتـعـادـ،ـ أـوـ نـصـاـ يـحـفـظـ إـذـنـ؟ـ

وـهـىـ مـوـاضـيـعـ إـلـاـشـاءـ أـصـبـحـتـ بـعـضـهـاـ -ـ إـنـ لـمـ يـكـنـ أـغـلـبـهـاـ تـحـفـظـ عـنـ ظـهـرـ قـلـبـ،ـ وـكـمـ كـنـتـ أـعـجـبـ لـبـعـضـ الـطـلـبـةـ الـذـيـنـ التـحـقـواـ بـكـلـيـةـ الـطـبـ وـهـمـ لـاـ يـعـرـفـونـ نـطـقـ حـمـلـةـ وـاحـدـةـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـفـصـحـىـ،ـ نـاهـيـكـ عـنـ الـأـخـلـيـزـيـةـ،ـ وـهـمـ يـخـرـفـونـ أـنـهـمـ حـصـلـوـاـ عـلـىـ 40ـ عـلـىـ 40ـ فـيـ الـأـخـلـيـزـيـ!ـ!ـ تـقـدـيرـ أـشـكـ أـنـ مـسـرـ تـاتـشـرـ شـخـصـيـاـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـحـصـلـ عـلـيـهـ.

٣:ـ وـلـكـنـ مـاـ عـلـقـةـ هـذـاـ وـذـاكـ بـتـعـاطـيـ الـمـخـدـراتـ؟ـ

جـ:ـ إـذـاـ نـظـرـنـاـ فـيـ الـأـمـرـ بـأـمـانـةـ مـتـأـنـيـةـ فـلـابـدـ أـنـ نـلـاحـظـ أـنـ تـعـاطـىـ الـمـخـدـراتـ لـيـسـ إـلـاـ الـصـورـةـ الـمـبـالـغـةـ وـالـخـطـيـرـةـ لـهـاتـيـنـ الـقـيـمـيـنـ الـاسـتـسـهـالـ،ـ وـالـمـبـاـشـرـةـ

فـمـاـ أـسـهـلـ الـحـصـولـ عـلـىـ اللـذـةـ الـخـسـيـةـ مـنـ تـغـيـبـ الـوـعـىـ بـالـكـيـمـيـاءـ.

كـمـ لـاـ يـوـجـدـ طـرـيـقـ أـكـثـرـ مـبـاـشـرـةـ لـلـتـلـخـلـصـ مـنـ الـأـلـمـ وـالـوـحـدـةـ مـثـلـ طـرـيـقـ تـعـتـيمـ الـوـعـىـ وـتـنـوـيـمـ مـرـاـكـزـ الـمـوـاجـهـةـ وـالـيـقـظـةـ.

إـذـنـ فـتـعـاطـىـ الـمـخـدـراتـ لـيـسـ ظـاهـرـةـ مـنـ فـرـاغـ،ـ وـهـوـلـيـسـ جـرـدـ سـوـءـ خـلـقـ،ـ أـوـ وـفـرـةـ مـادـةـ،ـ إـنـماـ هـوـ تـجـسـيدـ مـرـضـ لـقـيـمـ سـائـدةـ نـذـيـهاـ دـوـنـ أـنـ نـدـرـىـ.

٤:ـ فـكـيـفـ تـتـجـلـيـ هـذـهـ الـقـيـمـ نـفـسـهـاـ فـ جـالـاتـ أـخـرىـ،ـ كـالـسـيـاسـةـ مـثـلاـ؟ـ

جـ:ـ عـنـدـكـ حـقـ،ـ هـىـ تـتـجـلـىـ فـيـ السـيـاسـةـ عـنـدـنـاـ وـجـهـ خـاصـ،ـ ثـمـ إـنـهـاـ تـصـبـحـ خـطـراـ أـكـبـرـ إـذـاـ صـدـرـتـ عـنـ مـسـتـوـيـنـ أـضـيـقـتـ إـلـيـهـاـ وـهـوـ مـاـ مـجـدـثـ عـادـةـ،ـ قـيـمـتـاـ:ـ الـمـبـالـغـةـ وـالـتـعـيمـ،ـ

فـالـسـيـاسـةـ،ـ عـودـنـاـ الـحـكـمـ الشـمـولـ،ـ كـمـ أـضـافـتـ الـأـخـلـاقـ الـقـبـلـيـةـ،ـ أـنـ نـعـلـىـ مـنـ قـيـمـةـ الـإـهـمـاـعـ،ـ وـأـنـ نـخـرـمـ النـسـبـ الـشـدـيـدـةـ الـاـرـتـفـاعـ فـيـ نـجـاحـ الـمـرـشـحـ الـفـائـزـ فـأـىـ مـنـ الـاـنـتـخـابـاتـ،ـ وـهـذـاـ يـمـثـلـ قـيـمـةـ الـمـبـالـغـةـ،ـ مـعـ أـنـ السـيـاسـيـ الـحـصـيفـ فـيـ الـبـلـدـ الـدـيـقـرـاطـيـ الـعـرـيقـ لـاـ يـدـ أـنـ مـجـلـ إـذـاـ حـصـلـ هـوـ أـوـ حـزـبـهـ عـلـىـ نـسـبـةـ تـفـوقـ الـسـتـيـنـ فـيـ الـمـائـةـ (ـمـثـلاـ)

وـيـرـتـبـطـ بـهـذـهـ الـمـبـالـغـةـ وـالـمـلـيـلـ إـلـىـ الـإـهـمـاـعـ وـالـفـرـحةـ بـهـ قـيـمـةـ الـتـعـيمـ،ـ فـنـحنـ لـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـتـحـمـلـ مـنـظـرـ الـكـسـوـرـ الـعـشـرـيـةـ،ـ أـوـ مـوـضـوعـيـةـ النـسـبـيـةـ،ـ وـمـنـ ثـمـ نـخـنـ غـيـرـ إـلـىـ الـتـعـامـلـ بـقـيـمـةـ "ـالـكـلـ أـوـ لـاـ شـئـ"ـ،ـ الـقـيـفـنـاـ عـادـةـ إـلـىـ "ـالـاسـتـقـطـابـ"ـ.

٥:ـ وـلـكـنـ مـاـ عـلـقـةـ ذـلـكـ بـالـإـدـمـانـ؟ـ

جـ:ـ عـلـقـةـ تـعـاطـىـ الـمـخـدـراتـ بـكـلـ هـذـاـ وـاضـحةـ،ـ فـتـعـاطـىـ الـمـخـدـراتـ يـؤـكـدـ أـنـ وـعـيـنـاـ قـدـ تـعـودـ -ـ صـغـارـاـ وـكـبـارـاـ -ـ عـلـىـ هـذـهـ الـصـورـةـ الـمـطـلـقـةـ مـنـ التـأـكـيدـ الـمـطـلـقـ،ـ وـالـحـسـمـ الـنـهـائـيـ،ـ تـعـودـ عـلـىـ مـنـطـقـ:ـ "ـإـمـاـ .ـأـوـ"ـ،ـ عـلـىـ رـؤـيـةـ الـأـسـوـدـ أـوـ الـأـبـيـفـ،ـ

بـلا ظـلـالـ وـسـطـىـ، وـلـاتـادـاخـلـ، فـوـقـ وـعـيـنـاـ فـمـأـزـقـ، فـإـمـاـ إـفـاقـةـ مـؤـلـةـ وـرـؤـيـةـ شـدـيـةـ الـوـضـوـحـ لـعـظـمـ الـأـمـورـ - أـوـ كـلـهـاـ - (وـهـوـ أـمـرـ مـسـتـحـيلـ لـلـوـعـيـ الـبـشـرـىـ الـيـقـظـ)ـ، إـلـاـ فـالـنـوـمـ الـزـوـامـ وـالـانـسـحـابـ التـامـ. (= غـيـبـوـةـ التـخـذـيرـ).

الـشـابـ (أـوـ غـيـرـهـ)ـ يـجـدـ نـفـسـهـ - خـاصـةـ عـنـدـ الضـيقـ غـيرـ المـفـسـرـ أـمـامـ وـسـيـلـةـ كـيـمـيـاـئـيـةـ تـحـقـقـ لـهـ مـثـلـ ذـلـكـ الـيـقـيـنـ عـلـىـ أـحـدـ الـجـانـبـينـ، فـتـعـاطـىـ خـدـرـ ماـ هـوـ إـلـاـ وـسـيـلـةـ سـرـيـعـةـ وـمـطـلـقـةـ أـحـيـانـاـ لـلـقـاءـ عـلـىـ اـخـلـافـ الـغـمـوـفـ أـوـ آـمـ الـمـواـجـهـ، وـلـيـتـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـاـ يـتـرـتـبـ بـعـدـ ذـلـكـ..

سـ: وـلـكـ الـأـطـبـاءـ يـتـعـاـمـلـونـ عـثـلـ ذـلـكـ حـنـ يـرـوجـونـ لـلـسـعـادـةـ فـدـ أـىـ اـكـثـرـابـ وـلـلـرـاحـةـ وـالـرـفـاهـيـةـ فـدـ أـىـ قـلـقـ، لـمـاـذـاـ إـذـنـ ذـلـكـ وـهـمـ الـذـينـ يـعـاـجـلـونـ إـلـدـمـانـ؟

جـ: شـكـراـ أـنـكـ قـلـتـ بـعـضـهـمـ، (مـعـ أـنـ هـذـاـ صـارـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ أـغـلـبـنـاـ)، هـذـاـ يـدـعـوـنـ إـلـىـ الـخـدـيـثـ عـنـ قـيـمـتـنـ مـسـاعـدـتـنـ فـهـذـاـ الـجـالـ، هـمـاـ قـيـمـتـاـ: الـمـيـكـنـةـ وـالـتـسـكـنـ فـمـ جـالـ الـطـبـ، وـالـطـبـ الـنـفـسـيـ خـاصـةـ، دـعـونـاـ نـيـنـظـرـ مـاـذـاـ جـرـىـ:

فـقـدـ حلـ الـطـبـ الـآـلـاتـيـ (وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـ)ـ وـالـتـسـكـنـيـ، حـلـ فـنـ الـتـعـصـيـبـ وـفـنـ الـتـطـبـيـبـ وـفـنـ الـلـأـمـ عـامـةـ، وـأـصـبـحـ الـمـرـيفـ يـائـىـ إـلـىـ الـطـبـبـ لـيـتـاحـ أـسـاسـاـ، لـاـ لـيـعـاـجـ، وـكـثـيـرـاـ مـاـ طـلـبـتـ مـنـ بـعـضـ مـرـضـاـيـ الـلـذـيـنـ يـصـرـوـنـ عـلـىـ أـنـ يـعـلـمـوـنـ مـهـنـيـ، حـنـ يـوـجـهـوـنـ إـلـىـ الـلـوـمـ وـالـتـقـرـيـعـ قـائـلـيـنـ: إـنـتـ مـفـروـضـ تـرـجـعـنـاـ يـادـكـتـورـ، كـثـيـرـاـ مـاـ أـطـلـبـ مـنـهـمـ أـنـ يـعـيـدـوـاـ قـرـاءـةـ الـلـافـتـةـ عـلـىـ الـبـابـ أـوـ عـلـىـ الـرـوـشـتـةـ لـيـتـأـكـدـوـاـ أـنـ الـلـقـبـ الـذـيـ يـسـبـقـ إـسـمـ هـوـ الـدـكـتـورـ (الـطـبـبـ)ـ فـلـانـ وـلـيـسـ "الـطـبـبـ"ـ فـلـانـ، وـبـالـتـالـيـ فـإـنـ وـظـيـفـتـ هـىـ الـعـلـاجـ وـلـيـسـ الـتـرـيـيـحـ فـحـسـبـ.

الـأـطـبـاءـ عـامـةـ، وـخـاصـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـمـتـقـدـمـ حـيـثـ الـقـانـونـ يـلـاـقـهـمـ، وـالـشـرـكـاتـ تـرـجـمـهـمـ، يـقـعـونـ فـرـيـسـةـ عـمـلـيـةـ غـسـيلـ مـخـ منـظـمـ بـفـضـلـ الدـعـاـيـةـ الـمـفـرـطـةـ مـنـ نـاحـيـةـ، وـأـخـوـفـ مـنـ الـخـطـأـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ. يـنـتـهـيـ الـحـالـ فـيـ الـتـبـيـبـ الـنـفـسـيـ، مـثـلـاـ: إـلـىـ أـنـ يـكـونـ غـايـةـ الـمـرـادـ هـوـ أـنـ تـنـطـلـ تـلـكـ الـاـبـتـسـامـةـ الـمـسـطـحـةـ الـخـامـفـةـ (الـأـقـرـبـ لـلـبـلـاـهـ)ـ عـلـىـ وـجـهـ الـمـرـيفـ، مـثـلـمـاـ بـدـتـ عـلـىـ وـجـهـ الـحـسـنـاءـ الـقـىـ تـعـاـطـتـ هـذـاـ الدـوـاءـ أـوـ ذـاكـ، تـلـكـ الـمـحـسـنـاءـ الـمـرـسـومـةـ عـلـىـ غـلـافـ إـحـدـىـ الـجـلـاتـ الـعـلـمـيـةـ الـعـالـمـيـةـ مـعـ اـسـمـ الـدـوـاءـ الـلـذـىـ!!..

بـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ أـصـبـحـتـ مـنـ أـولـويـاتـ مـارـسـةـ الـطـبـ هـنـاكـ - فـ الـبـلـادـ الـمـتـقـدـمـ - هـىـ أـنـ جـمـىـ الطـبـبـ نـفـسـهـ بـعـدـ أـكـبـرـ قـدـرـ مـنـ الـاـحـتـيـاطـاتـ، وـتـسـجـيلـ كـتـابـاتـ دـفـاعـيـةـ لـاـ لـزـومـ لـهـاـ، ثـمـ إـعـطـاءـ أـكـبـرـ قـدـرـ مـنـ السـعـادـةـ الـكـيـمـيـاـئـيـةـ حـتـىـ يـجـعـلـ الـاـبـتـسـامـ بـعـدـ الـعـبـوـسـ وـيـتـمـتـعـ هـوـ أـيـضاـ بـنـوـمـ عـمـيقـ .

نعمـ عـلـمـوـنـاـ وـعـلـمـوـاـ مـرـضـانـاـ (وـغـيـرـ مـرـضـانـاـ)ـ أـنـ هـذـاـ الـوـجـهـ الـبـاسـمـ هـوـ غـايـةـ الـمـرـادـ هـوـ رـبـ الـعـبـادـ، وـعـلـىـ ذـلـكـ فـالـغـرـضـ مـنـ الـتـداـوىـ لـاـ بـدـ وـأـنـ يـكـونـ هـوـ الـحـصـولـ عـلـىـ مـوـفـورـ الصـحـةـ الـبـاشـمـ بـأـنـ مـخـقـقـ لـلـمـرـيفـ "نـوـمـ فـيـ الـعـسلـ"ـ، وـعـسـلـ الـعـصـرـ الـخـدـيـثـ هـوـ حـبـوبـ كـذـاـ، وـكـيـمـيـاءـ كـيـتـ

فينقلب مفهوم الإنسان بفضل هذا الطب الحديث إلى ماكينة ينقصها زيت كذا، وشحم كيت، وبالتالي هي تحتاج للتلميع بالطريقة الفلانية، والتسكين بالعقار العلائق، وكلها كيمياً في كيمياً.

٣: ولكن ما علاقة ذلك بظاهرة الإدمان؟

ج: إن هذه الصورة للطب التسكييفي، الميكانيكي، ليست سوى الوجه الطني لظاهرة الكيمياويات الإدمانية، حتى أن كثيراً من الأدلة الأمينة أظهرت أن نسبة من المتعاطفين للمخدرات إنما يفعلون ذلك كوسيلة من وسائل العلاج الذاتي، حتى أن انتقاء المتعاطي لنوع بذاته من المخدر قد يرتبط بنوع الاضطراب النفسي الذي يعانيه المريض/المدمن بشكل أو باخر (إشعنا الطبيب، وهل يفعل الطبيب غير ذلك؟ واسأل جرب... إلخ).

٤: لكن جتمعات غير جمعتنا لها قيم مختلفة، هي تعانى من نفس الظاهرة؟

ج: هذه حقيقة وقد أشرنا إليها في رد سابق، فالمسألة ليس في هذه المقدمة أو تلك، ولكن في طبيعة الربط بين السبب والنتيجة، فال المجتمع الغربي الشمالي عامّة (بشقه السوفيتي وتوابعه قديماً وحديثاً، أو بنموذجه الياباني الحديث وما أشبه) لا يعاني من الاستسهال، بل يستغرق الواحد منهم في عمله وواجبه كما ينبغي طول الوقت، وهو مجتمع لا يعرف المباشرة بالمعنى المسطحي السهل الذي أشرنا إليه بالنسبة لمجتمعنا، فكل شيء بالحساب الممتد وحساب الجدوى، وهو أيضاً مجتمع تعلم كيف يتحمل الغموض، ولا يسر على مبدأ: الكل أو لا شيء كما تدعى أننا نفعل يعني عكس ما عندنا، كذلك هو يعتبر الفائز في الانتخابات عندهم بسبعين وخمسين في المائة (مثلاً قد انتصر انتصاراً ساحقاً، وكل هذا أيضاً خلاف ما ذكرت عندنا، صحيح أننا نتبعهم في تقديم قيم صدورها علينا مثل "مجتمع الرفاهية" وارتباطه واضح بقيمتي التسكون والميكنة، إلا أن الاختلافات الواسعة السالفة الذكر في القيم الأربع الأولى: الاستسهال، وال المباشرة، والمبالغة، والتعميم، تحتاج منا إلى تساؤل عن القيم التي تسود عندهم فتغدو ظاهرة الإدمان بشكل مختلف، مع أن النتيجة واحدة

إن هذا يجعلنا نكرر أن توادر الظاهرة بنفس النسبة لا يعني بالضرورة وحدة الأسباب، ولا وحدة المسار، ولا تشابه المفاعلات. وهذا ما يجعلنا نحذر ونحث نستورد التفسيرات مناهج البحث منهم كما هي حرفياً.

فإذاً كنا نتفق معهم في الخصوص للقيم الجديدة مثل التسكون، والميكنة، وإذاً كنا نتفق معهم في الخصوص لتأثير المافيا، والتعرض للتلوث الوعي بوسائل الإعلان والاغتراب، فإن كل هذا قد يفسر جانباً واحداً من الاتفاق معهم في توادر حدوث ظاهرة الإدمان، ثم يبقى علينا بعد ذلك البحث عن قيم سلبية أخرى عندهم مقابل القيم السلبية التي عندنا، مع التحذير لا يكون البحث فيما عندهم من سلبيات مختلفة، مررأ

لتصور أن سلبيتنا أقل، أو دمها أخف، علينا أن نركز بالضرورة على رصد وعلاج مصبتنا الخاصة، ومع ذلك فسوفأشير إلى بعض ما عندهم بالمقابل - مجرد إشارة لإظهار اختلاف المنبع رغم توحد المصب، خذ عندك مثلاً:

في مقابل الاستهـالـ، والـماـبـاشـرـةـ عندـنـاـ بـجـدـ قـيـمـةـ الغـرـورـ البـشـرـىـ عـنـدـهـمـ قدـ وـصـلـتـ إـلـىـ تـقـدـيسـ الإـنـسـانـ دونـ سـواـهـ، فـاـلـإـنـسـانـ لـدـيـهـمـ مـلـكـ نـفـسـهـ، قـادـرـ عـلـىـ كـلـ شـئـ، لـهـ الـحقـ فيـ إـنـهـ حـيـاتـهـ (بالـانـتـحـارـ مـثـلاـ) أوـ تـشـوـيهـهـاـ (بالـغـيـبـوـةـ الإـدـمـانـ). وليسـ عـنـدـنـاـ كـلـ هـذـاـ الفـخـرـ بـكـلـ هـذـاـ الدـمـارـ.

في مقابل المـبـالـغـةـ وـالـتـعـيمـ عـنـدـنـاـ، نـرـىـ الـواـحـدـ مـنـهـ يـفـرـطـ فـيـ حـسـابـ كـلـ شـئـ، حـتـىـ تـكـادـ تـخـتـفـيـ الصـدـفـةـ منـ حـيـاتـهـ، بـلـ آـنـهـ قـدـ يـفـطـرـ تـواـزـنـهـ قـلـيلـاـ أوـ كـثـيرـاـ إـذـاـ فـلـتـ مـنـهـ حـسـبةـ ماـ، إـذـاـ لـاـ يـسـعـفـهـ إـيـانـ بـغـيـبـ أوـ تـسـلـيمـ لـقـدـرـ، وـبـمـاـ أـنـ حـسـابـاتـ الـبـشـرـ هـىـ حـسـابـاتـ الـبـشـرـ، وـكـمـ تـفـلـتـ بـلـ مـبـرـ (ـكـارـثـةـ مـفـاعـلـ نـوـوـيـ أـوـ زـلـزاـلـ أـوـ عـصـارـاـ)!ـ، مـنـ خـلـالـ ذـلـكـ وـمـثـلـهـ قـدـ مـخـتـدـ حـاجـتـهـ، إـلـىـ مـاـ يـثـلـ بـهـ وـعـيـهـ خـشـيـةـ الـفـاجـأـةـ، وـهـاتـ يـاـ تـخـدـيرـ.

إـنـهـ يـنـبـغـيـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـعـلـنـ مـوـقـعـ مـسـؤـلـيـتـنـاـ أـنـنـاـ فـيـ جـالـ حـرـبـ الإـدـمـانـ هـذـهـ، قـدـ نـشـرـتـ مـعـهـمـ فـيـ مـيـادـيـنـ بـذـاقـهاـ (ـمـثـلـ عـارـبـةـ الـمـافـيـاـ، وـمـنـعـ التـهـريـبـ)، وـلـكـنـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ خـتـلـفـ مـعـهـمـ تـامـاـ فـيـ مـيـادـيـنـ أـخـرـىـ.

فـإـذـاـ قـيـلـ مـثـلاـ أـنـهـ بـالـإـلـامـ يـكـنـ أـنـ نـتـغلـبـ عـلـىـ الإـدـمـانـ، وـقـفـنـاـ عـنـدـ مـفـهـومـ الـإـلـامـ عـنـدـهـمـ وـمـفـهـومـهـ عـنـدـنـاـ فـقـدـ يـكـونـ مـنـ الـإـلـامـ عـنـدـنـاـ أـنـ نـسـهـلـ مـهـمـةـ الـمـتـعـاطـيـ وـنـتـسـتـرـ عـلـيـهـ (ـمـثـلـماـ أـصـبـحـ الشـهـامـةـ أـنـ نـسـهـلـ الغـشـ لـأـبـانـاـنـاـ فـيـ الـامـتحـانـاتـ/ـ مـنـ بـابـ الـجـدـعـةـ)

وـإـذـاـ قـيـلـ عـنـدـنـاـ أـنـهـ بـالـعـودـةـ لـلـدـينـ وـالـإـيمـانـ قـدـ يـسـتـغـيـ المـدـنـ عـنـ حـاجـتـهـ إـلـىـ تـغـيـبـ الـوـعـيـ بـالـلـوـادـ إـيـاهـاـ، فـإـنـهـ يـنـبـغـيـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـعـرـفـ أـيـنـ مـوـقـعـ الـإـيمـانـ عـنـ الـغـالـبـيـةـ لـدـيـهـمـ، حـيـثـ كـثـيرـ مـنـهـمـ يـسـتـغـيـ عنـ الـاـنـشـعـالـ بـهـدـهـ الـمـسـأـلـةـ الـفـامـضـةـ أـصـلـاـ، أـوـ هـوـ يـكـتـفـيـ بـعـمـارـسـاتـ خـفـيفـةـ كـنـوـعـ مـنـ نـشـاطـ نـهاـيـةـ الـأـسـبـوـعـيـ (ـوـيـكـ إـنـدـ)ـ وـدـعـوـاتـ قـبـلـ الـأـكـلـ، أـوـ تـسـكـينـ اـعـتـرـافـ طـيـبـ.

فـإـنـ حـيـنـ أـنـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـدـينـ وـالـإـيمـانـ عـنـدـنـاـ قـدـ تـرـاـوـحـ مـاـ بـيـنـ التـروـيجـ لـلـنـفـسـ الـمـطـمـئـنـةـ بـالـمـعـنـىـ السـكـوـنـ بـاـ يـشـدـ تـعـمـيقـ الـتـسـلـيمـ دـوـنـ جـهـادـ ذـاتـهـ، وـمـاـ بـيـنـ الـكـدـحـ إـلـىـ وـجـهـ الـلـهـ، وـتـعـمـيقـ الـإـيمـانـ بـالـغـيـبـ الـمـبـدـعـ الـخـلـاقـ، وـكـلـامـاـ لـهـ فـاعـلـيـةـ خـتـلـفـةـ،

الأـولـيـ تـحـقـقـ غـيـبـوـةـ الـتـسـلـيمـ، وـالـآخـرـيـ تـتـنـاغـمـ مـعـ هـارـمـونـيـةـ الـكـدـحـ، وـكـلـ الـوـظـيـفـتـيـنـ أـبـعـدـ عـنـ وـظـيـفـةـ الـدـينـ لـدـيـهـمـ، وـهـذـاـ لـاـ يـعـيـبـهـمـ فـيـ ذـاتـهـ، لـكـنـهـ تـوـضـيـحـ لـلـفـرـوقـ.

؟ـ إـذـنـ مـاـ هـىـ الـجـهـودـ الـقـيـبـ أـنـ تـبـذـلـ لـمـكـافـحةـ الإـدـمـانـ؟ـ

ج: هي الحرب والله العظيم ثلاثة، الحرب بكل معنى الكلمة، ليست جهوداً، ولا ماقلات، ولا ندوات، ولا أفلام، بل أتمادي فأقول: ولا أمجاد، ولا حتى قوانين، فأثناء الحرب تعلن الطوارئ وتتوقف بعض القوانين التي قد تكون إجراءاتها فيها شبهة تعريف المارب للهزيمة، من فرط متابعتي خطاب تحصيل الحاصل الذي نتناول به إشكالة الإدمان، خطر لي يوماً أن أوصي بإيقاف كل البرامج والأفلام، بما في ذلك هذا الحديث الذي أرد على استئنته الآن، أو البرنامج الذي شاركت فيه ظهر أمس! لنوقف كل ذلك أو أغلهبه ولتنزل إلى الميدان بالوعي والمحاجرة والعرق والغاس لمحارب، الآن وحالاً ودائماً.

خطة هذه الحرب هي مثل خطط كل الحروب: تحديد العدو، ومعرفة أسراره، واحتيازه، ومقابلة قوائمه، ودراسة نقاط ضعفه، ثم موجات الهجوم تلو الهجوم حتى الإبادة، والعدو هنا هو:

1- كل من أدخل، إلى بلدنا مما يسمى مخدراً، هو ومن عاونه في ذلك مسهلاً! أو مرؤجاً..

2- وكل من استسهل وتعاطى هذا السم تحت أي ظرف من الظروف،

3- وكل من دعى وادعى أن غايتنا - والعياذ بالله - هي مجتمع الرفاهية وحياة السكينة

عليينا أن نتسلح بذكاء المواجهة، مواجهة بضاعة ثقافة الإدمان ببضاعة أخرى وأنفع: فالذى يروج للطمانينة الساكنة ظنا منه أنها المثل الأعلى للإيمان الكامل، نذكرة بالكلدح إلى وجه الله، كما نذكره بثقل الأمانة التي تحملها وخفى ما حولنا بما لا نطيق، الأمانة التي حملناها وأشفقت منها الجبال والأرض، لكن حملها لذة الفخر أننا بشر أكرمنا الله، وهي لذة تقلل لذة الانسحاب والغيبة.

والذى يروج أن ندع القلق ونببدأ الحياة، ننتبه إلى مواجهته بأن جتمعنا بالذات قد يدع القلق ولا يبدأ الحياة ولا يحزنون، علينا أن نواجهه وخفى ذكره بشرف التقى النفسي، وكرامة الحزن، ومسئوليية الألم الجماعي. وهكذا وهكذا

س: ألا ترى فيما تقول نبرة خطابية أنت تنهى عنها عادة؟

ج: عندك حق، حتى أني مرة تصورت أنه لابد أن تكون الجهة المنوط بها هذه المهمة مهمة حرب الإدمان، هي وزارة الحرب!!!!، لا وزارة التعليم، ولا الصحة، ولا الأوقاف، ولا الإعلام.... إلخ،

س: ماهي انعكاسات هذه الظاهرة على الأمراض النفسية والعصبية؟

ج: السؤال غير واضح.

فإن كان المقصود هل تسبب هذه الظاهرة أمراضًا نفسية،

فالجواب هو أن ظاهرة الإدمان في حد ذاتها هي مرض نفسي، بل "طاعون نفسي"، وهي أيضاً سبب في أمراض نفسية متعددة، إن أفضل تسمية لظاهرة الإدمان هي أنها "سرطان الوعي"، وكما أن السرطان ينتشر فتأكل خلاياه الخبيثة الخلايا الصحيحة، فإن هذه الظاهرة تُغير على الوعي حتى يتثنوه، فيتحول الإنسان إلى خرقه منتهكة من اللحم، بلا غاية، ولا كرامة، ولا كيان.

س: تحديداً: هل ينبع الإدمان عن مرض نفسي؟ وأية أمراض مثل؟

نعم.

إن ما يسمى بالاكتئاب كثيراً ما يدفع صاحبه إلى الهرب من ألم المواجهة، وفرط الرؤية، فيلجأ إلى هذه المغيبات للوعي، بهذا القصد العلاجي الذاتي أولاً، ثم سرعان ما يقع فريسة الهرب المتكرر حتى لو زال الاكتئاب.

كذلك الحال - إلى درجة أقل - فيما يسمى القلق الناجم عن فرط الوعي،

أما في حالات الذهان الأخرى فإن مفهوم العلاج الكيميائي المنتشر حديثاً، مهما قيل عن عقاقيره أنها ليست مخدرة، فأغلبها خد كذلك بدرجة أو بأخرى، يعنى أنها مغibrات صناعية للوعي. وإن كان الفرق بين هذه العقاقير (الطببية !!!) وبين المخدرات هي أن المخدرات، تغييم أو تعتم الوعي، أما العقاقير الأخرى فإنها تضيق أو تقلص الوعي، فالأمر يكاد يكون واحداً في حالة الإدمان، فبدلاً من أن يكون هم الطب هو توجيه الوعي، أو تثوير الوعي، أو السعي إلى تكامل مستويات الوعي مع الواقع والإبداع، فإنهم معظم الأطباء أفسر في التهميد والتسكن والإطفاء.

وأخيراً فإن ما يسمى باضطراب الشخصية هو الأساس المرضي الخطير للإدمان في معظم الحالات. عندما بأن اضطراب الشخصية في كثير من الأحوال لا يعتبر مرضًا مثل الاكتئاب أو القلق بقدر ما يعتبره، أو نمطاً سلوكياً شاملًا ومتداً، مما يجعلنا أقل حساساً في اعتباره مرضًا وراء الإدمان.

س: لكن هل يعتبر الإدمان مرضًا في ذاته؟ أو نتيجة لمرض آخر؟

ج: لا أريد أن أقول أن هذه مسألة ثانوية، فسواء كان مريضاً أو نتيجة لمرض، فنحن لا نريد أن نصور للناس وللمدمن وللأهل أن كلمة مرض يمكن أن تكون تبريراً لما حدث ويحدث، المريض حتى الجنون، فيما عدا الحالات العضوية القلقة هو مشارك بشكل ما في حدوث مرضه.

ذلك أنتي أنتهى لمدرسة تعتبر أغلب المرض النفسي، بل والعقلى، نوعاً من الاختيار العميق، فصاحبـه - بشكل ما - مسئول عن إحداثـه في نهاية النهاية، ليس معنى ذلك أنه يتصرـع، ولكنه نوع من الانتقـاء الـوجودـي الأعمـى تحت ظروفـ أـتـاحـته وـسـجـحتـ به وهـياتـ لهـ، وبالـتـالـي فإنـ ماـ بـنـىـ علىـ اختـيـارـ فهوـ اختـيـارـ، فـالمـريـضـ بـعـجـردـ أنـ تـصـلـهـ رسـالـةـ العـلاـجـ يـصـبحـ

مسئولاً عن مصيره مع الطبيب، والمدمن - من باب أولى - هو أيضاً كذلك حتى لو كان إدمانه ناتجاً عن مرض آخر، كل الحكاية أن المسؤولية ستتوزع على مرحلتين.

٣: ما تأثير تفشي ظاهرة الإدمان على المجتمع؟

ج: إن المسألة لا تحتاج إلى مزيد من الشرح والإيضاح، إذا احتل تماسك المجتمع تحت أي تخريب للوعي، بما في ذلك الإدمان الكيميائي، فهو مجتمع بلا كيان، وبلا إنتاج، وبلا إبداع، بل إنني أرى أن هذه الظاهرة لو عمّت أكثر فأكثر قد تصبح علامة من علامات التهديد بانقراض الجنس البشري الذي أصبح الآن تحت رحمة إغارتين غير مسبوقتين تاريخياً:

الأولى: تلوث البيئة بالرذاد، وفضلات البلاستيك والإشعاع الذري والكيميائي، والمافيا، وإجرام الحكومات والشركات الداعمة لها ... إلخ،

والثانية: تلوث الوعي: بالمخدرات، والإفراط في العاقير النفسية.

وكأننا نتنافس في القضاء على الجنس البشري

ومع ذلك لا أريد أن أبدو من فرط تحذيري هذا متشائماً أو يائساً، فهذه الكلمات ليست في معجمي أصلاً، إنني أرى أنه بالرغم من كل ذلك فإن مواصلة النقد والمراجعة، فالثورة والتصحيح، فالإبداع والثابتة "معاً جداً" طول الوقت جدير بأن ينقذ الجنس البشري من الانقراض.

أليس كذلك

الإثنـيـنـ من ـ0ـ3ـ0ـ8ـ2ـ0ـ0ـ8

185 - ظاهرة الإدمان: خلـفـيـة وتسـاؤـلاتـا

احتـتـ كـيفـ أـوـاـصـلـ تـقـدـيمـ ظـاهـرـةـ الإـدـمـانـ فـيـ هـذـهـ النـشـرـةـ الـيـوـمـيـةـ، نـفـسـ حـيـرـتـيـ وـأـنـاـ أـتـسـاءـلـ، وـخـنـ فـيـ الشـهـرـ السـابـعـ لـمـدـورـ النـشـرـةـ وـهـذـاـ هوـ العـدـدـ 185ـ، أـتـسـاءـلـ عـنـ هـذـهـ النـشـرـةـ بـعـدـ هـذـهـ المـدـدـةـ: أـهـىـ لـلـزـائـرـ/ـ القـارـئـ العـادـيـ؟ـ أـهـىـ لـلـأـطـبـاءـ وـالـمـعـالـجـيـنـ؟ـ أـهـىـ لـلـمـتـقـنـيـنـ وـطـالـيـ الـعـرـفـةـ الـجـادـةـ؟ـ أـهـىـ لـلـمـرـضـيـ وـأـهـلـهـمـ؟ـ وـعـادـةـ لـأـنـتـهـىـ إـلـىـ الإـجـابـةـ الـقـيـمـ الـتـيـ تـسـمـحـ لـبـالـاسـتـمرـارـ،ـ لـكـنـهاـ تـسـتـمـرـ.

كـتـبـتـ فـيـ نـشـرـاتـ سـابـقـةـ عـنـ الإـدـمـانـ: قـدـمـتـ حـالـةـ (ـبعـضـ حـالـةـ)ـ ("ـأـدـمـغـةـ"ـ الـمـدـمـنـ وـمـسـتـوـيـاتـ الـوـعـيـ ـ23ـ10ـ2007ـ)ـ كـمـاـ مـهـدـتـ لـفـتـحـ الـمـلـفـ كـامـلـاـ بـأـسـتـلـةـ مـباـشـرـةـ أـجـبـتـ عـنـهـاـ (ـسـ،ـ جـ (ـ1ـ)ـ عـنـ الـإـدـمـانـ)ـ ثـمـ أـكـمـلـتـهـ أـمـسـ (ـالـإـدـمـانـ،ـ وـمـنـظـوـمـةـ الـقـيـمـ "ـسـ،ـ جـ (ـ2ـ)"ـ)،ـ كـانـتـ فـيـ الأـصـلـ إـجـابـاتـ عـنـ بـعـضـ أـسـتـلـةـ شـيـابـ الـاعـلـامـ.

الـيـوـمـ،ـ وـرـعـاـ لـأـيـامـ تـالـيـةـ مـتـلـاحـقـةـ سـوـفـ يـكـونـ الـخـاطـابـ أـكـثـرـ دـعـوـةـ لـإـعـادـةـ النـظـرـ فـيـ "ـمـعـنـيـ الـإـدـمـانـ وـدـلـالـتـهـ"ـ.

تـعـلـمـ وـأـتـعـلـمـ مـنـ الـمـدـمـنـيـنـ مـثـلـمـاـ تـعـلـمـ وـأـتـعـلـمـ مـنـ الـمـرـضـيـ.

وـهـلـ الـإـدـمـانـ إـلـاـ مـرـضـ بـشـكـلـ أـوـ بـآـخـرـ؟ـ.

أـخـتـ كـثـيرـاـ إـلـىـ مـاـ أـسـيـهـ ثـقـافـةـ الـإـدـمـانـ "ـهـنـاـ وـالـآنـ"ـ،ـ فـيـ مـصـرـ أـسـاسـاـ،ـ وـافـرـضـتـ أـنـهـاـ يـكـنـ أـنـ تـهـدـيـنـاـ إـلـىـ الـتـعـرـفـ عـلـىـ بـعـضـ جـوـانـبـ الـمـرـحـلـةـ الـتـيـ يـعـيـشـهـاـ جـمـعـتـنـاـ هـذـهـ الـأـيـامـ.

بـعـدـ فـحـصـ وـدـرـاسـةـ حـوـالـيـ مـائـةـ مـنـ حـالـاتـ الـإـدـمـانـ درـاسـةـ مـسـتـعـرـضـةـ وـتـارـيخـيـةـ،ـ وـبـعـدـ تـبـعـ بـعـضـهـاـ مـنـ فـشـلـ أـوـ بـخـجـ فـيـ الـعـلاـجـ تـبـعـاـ تـفـصـيلاـ،ـ وـصـلـتـنـيـ رـؤـىـ مـزـعـجـةـ رـائـعـةـ،ـ تـلـزـمـنـاـ بـمـراجـعـةـ كـلـ أوـ أـغـلـبـ،ـ مـاـ نـعـتـقـدـهـ عـنـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ.

الـإـدـمـانـ "ـلـغـةـ"ـ كـامـلـةـ،ـ وـثـقـافـةـ خـاصـةـ،ـ نـتـعـلـمـ مـنـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـغـةـ الـأـغـرـابـيـةـ الـفـاتـرـةـ الـتـيـ نـسـتـعـمـلـهـاـ خـنـ طـولـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ بـأـقـلـ قـدـرـ مـنـ التـوـاـصـلـ،ـ حـامـلـةـ مـعـانـ فـاتـرـةـ،ـ أـوـ بـلـاـ مـعـنـ أـصـلـاـ.

الـإـدـمـانـ ثـوـرـةـ مـُجـهـضـةـ (ـأـيـضاـ مـثـلـ الـمـرـضـ الـنـفـسـيـ خـاصـةـ الـذـهـانــ الـجـنـونـ)ـ.

الإدمان ثقافة خاصة ، بداخلها ثقافات فرعية.

الإدمان - في عمقة - يغرينا ، كما يفعل الجنون

خن نأي أن نرى أنفسنا من خلال تعري الجنون ، فنلخص عليه لافتات تشخيصية ، ونبعده ، ونخاف منه أو نشقق عليه ، ثم نطفئ ناره ليصبح رمادا بدلاً من أن تحتويها لتصبح طاقة لنا . وله .

خن أيضا نأي أن نرى أنفسنا من خلال محاولة فهم لغة الإدمان ودلاته ، أو فهم رحلاته واقتحاماته ، أو هربه ولذاته ، أو إبداعه وخيبته .

أى أسرة تفرز الإدمان؟

بدراسة الحالات السالفة الذكر لاحظنا أنه لا يوجد نموذج معين يمكن أن نصف به أسرة ما يخرج منها بوجه خاص من نسميه: "المدمن" (أكرر: وسنعرض في هذه النشرة تباعاً عينات ومقتضفات دالة في هذا الصدد) ، غيرنا كثيراً وحن نعاين مدمناً خرج من أسرة "مثالية" بالقياس التقليدية ، ومن أسرة مفككة "ضاربة" ، (استعارة من لغتهم) ومن أسرة متدينة ، ومن أسرة منحلة ، ومن أسرة ربها (قائددها: الوالد عادة) حاكم على نفس أفرادها ، ومن أسرة ربها (قائددها: الوالد عادة) غائب في الخارج ، أو حاضر غائب في الداخل .

أيضاً وصلنا معانٍ متعددة من ظاهرة الإدمان .

ماذا يريد المدمن أن يقول من خلال إدمانه؟

هذا الإدمان أى وظيفة يؤديها له؟

كسر الوحدة؟

خفيف الحزن؟

تجاوز الشعور بالدونية؟

ما هو الإدمان؟

• نداءً يطلب الرؤية والاعتراف؟

• موت بديل؟

ماذا يقول المدمن بإدمانه؟

• أنا جدع؟

• أنا قادر؟

• أنا غير محتاج لكم؟

• أنا موجود بسمومي غصباً عنكم؟

• أنا لن أذل نفسي إلا للمخدر الذي هو طوع أمري بقليل من التصب أو السرقة أو التحايل .

كل هذا نتمنى أن نعرض بعض جوانبه تباعاً من خلال مقتطفات من حالات حقيقة.

الإدمان إذن ليس كما يشاع عنه، لا من عامة الناس، ولا من المرضى ولا حتى من الأطباء والمعالجين.

الإدمان ليس ما يُعرف في الدراما، أغلب الدراما.

الإدمان ليس هو ما يوجه إليه الخطاب الوعظي في المساجد والكنائس بسطحة متمادية.

الإدمان لا يتجلّى بعمق أعمقه من خلال الأبحاث الوبائية Epidemiological تلك الأبحاث التي تحاول تعداد نسبة المدمنين في المجتمع بطرق مختلفة.

الإدمان لا تكفي الإحاطة به من خلال الأبحاث الإكلينيكية الوصفية، اللهم إلا في حالات دالة جداً، ومع ذلك لا يمكن تعميم نتائجها.

لغة الإدمان مختلفة، وكل مدمن له رسالته الخاصة جداً التي يعرف ببعضها دون باقيها، وهكذا الطبيب والمريض أيضاً، يعرف ببعضها وتظل تزايد معرفته بباقي جوانبها مع استبعاد أن يلم بها كلها كاملاً أبداً.

وهل أحدهم، أحدهنا، يلم برسمته، أية رسالة - سواء كان مدمناً أو غير مدمن، كاملة أبداً؟

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تتعرض هنا الآن من جديد لتقدير الظاهرة وبعثها وقد اعترفنا بكل هذه النقائص والمعوقات؟

ليس معنى أن ندرك الصعوبات، وأن نخترم تواضع النتائج، أن نكف عن تذليل هذه الصعوبات، أو نتوقف عن حaulة قراءة النتائج المرة تلو المرة، وإعادة تفسيرها وتأويلها معًا بكل طرق البحث والتفكير المتاحة.

وأيضاً من أهم المأمول هو أن نستخرج من نتائجنا المتواضعة ومخن نفحص ظاهرة بهذا التشعب، أن نستلهem فروضاً جديدة، تولد بدورها فروضاً أجد، وهكذا.

• المعرفة ليس لها نهاية.

• المهم أن لا ندرس الظاهرة ونحن على مسافة منها.

• لا ندرسها من أعلى، من فوق.

إذا كنا نريد أن نتعلم من الظاهرة، فلتكن مغامرتنا الحقيقة هي أن نعرف أنفسنا من خالها، وأن نعرفهم مروراً بأنفسنا.

نفس المنهج هو متاح ونحن نتعامل مع المرض النفسيين خاصة الذهانيين (الجانين).

وبعد

أكتفى بهذه المقدمة اليوم، وأنهيا جزء من مقدمة أطروحة قدية وهي المصدر الأساسي لما نقدمه الآن، قدمتها منذ أكثر من عشرين عاماً، وحين راجعتها الآن، وجدت أنها تحتاج إلى تحدث مهم جداً.

وإليكم الجزء الأول منها، وكان عنوانها:

معانى الإدمان ودلاته:

ظاهرة الإدمان تحتاج لأكثر من قراءة. وقراءة الظاهرة ليست بالضرورة مرادفة للبحث فيها بالمناهج العلمية التقليدية الشائعة، فالظواهر حقائق تاريخية قبل وبعد المنهج.

الممارس المتأخر، الذي يهتم بالتتابع والمعنى، مثل اهتمامه بالرقم المستعرض. وعديد نسب التواتر، قد يصل إلى حقائق وملحوظات، من خلال قراءة إكلينيكية مباشرة تكمل (ولكنها لا تغنى عن) الأرقام الكمية المستعرضة.

قبل أن أتقدم بهذه الانطباعات الصادرة مباشرة من الممارسة الإكلينيكية، والخبرة الذاتية الملتحمه (من خلال المنهج الفينومينولوجي)، أتساءل: إن كانت الأبحاث المتعددة والجادة، الكلمية والوصيفية، قد أعانت في مقاومة الظاهرة، أو هدت المسؤولين إلى طريق أفضل للحلولة دون مزيد من انتشارها، أم لا؟

وكما أن البحث العلمي محظى بالاحترام بعدي دقته، وأمانة أدائه، فإنه ينبغي أن يحظى بالاحترام أكثر وأبقى بعدي فاعليته وحقيقة جدواه. هذا ليس موقفنا نفعياً مسطحاً يلزم البحث العلمي بخدمات سريعة، ولا هو عودة إلى إثارة قضية ما إذا كان العلم للعلم أم العلم للمجتمع، وإنما هو إعادة نظر في أن من بعض وسائل التيقن من مصداقية الإجراء العلمي: هو أن نقيس مدى إمكانية إسهامه في دفع المسيرة البشرية إلى ما يحقق طبيعتها، ولست أعني بذلك تحقيق مطلب الرفاهية، أو القياس بعدي الإخراج المدى، وإنما أعني القياس بمقاييس الصحة الإيجابية لمجتمع الناس، ودفع عجلة التطور البشري.

ذلك الحال في الإعلام (وأيضا الدراما): لاحظت أنه كلما زادت جرعتهما زادت الظاهرة حضوراً.

ما هذا؟ لماذا؟

جائتنى الإجابة عن هذا التساؤل المبدئى بأنه مجتملاً أن تكون ثمة علاقة طردية بين هذا وذاك، علاقة طردية، ليست بالضرورة سببية. وأستطيع أن أصيغ ذلك على الوجه التالى: تزايد حركة الإعلام حول ظاهرة الإدمان، كما قد تزايد الأبحاث، مع تزايد حجم الظاهرة ومدى انتشارها. وعلى ذلك

فيما قد يثبت أن البحث في الإدمان، وكذلك الحماس للنهي عنه بالطرق السطحية السائدة، يزيدان مع زيادة كمية المتعاطي من المخدرات، وليس العكس، ويصعب الجزم - كما ذكرنا - على اتجاه السهم بين السبب والنتيجة.

التساؤلات حول هذه الملاحظة يمكن أن تعرف على الوجه التالي:

• هل تزيد هذه الأبحاث وتزيد حركة الإعلام لأن الظاهرة زادت واستشرت بما استدعي البحث فيها والحديث عنها بهذه الوفرة؟

• هل تزيد الأبحاث وحركة الإعلام زيادة موازية ليست لها علاقة مباشرة بزيادة انتشار الظاهرة، اللهم إلا باتخاذ الظاهرة كمثير- للبحث والحديث- مثله مثل غيره من المثيرات الجارية؟

• هل زيادة الأبحاث والإعلام تمثل سبباً ضمنياً لزيادة الظاهرة، أى أن دورها سلي، بمعنى أنها تزيد من انتشار الظاهرة بدلاً من أن تحد منها، بعكس الشائع والمأمول؟

(وبعد مرة أخرى)

وقد نقدم أهم الفروض التي استطعنا أن نستخلصها مؤقتاً من الممارسة الإكلينيكية أساساً.

- أشرفت لعدة سنوات في أوائل التسعينيات على البحث القومي للإدمان، وكان جثنا انتشارياً لمعرفة تواتر الإدمان في 16 محافظة، وكانت رئيساً للجنة العلمية، وتوقفت (وربما توقفت) بعد سنوات لأسباب لا أريد أن أذكرها.

الثـلـاثـاء ـ 04ـ03ـ2008

ـ 186 ـ فـتـمـ مـلـفـ الإـدـمانـ (3)

فـرـوـضـ خـتـمـلـةـ فـخـلـفـيـةـ الإـدـمانـ

الـفـرـفـ: لـيـسـ سـؤـالـ مـحـاجـجـ إـجـابـةـ، الفـرـفـ "إـجـابـةـ خـتـمـلـةـ". الفـرـفـ الجـيدـ هوـ الـذـي يـولـدـ فـرـوـضـ أـكـثـرـ إـفـادـةـ وـإـبـادـاعـ سـوـاءـ نـقـنـقـةـ حـاـوـلـاتـ تـحـقـيقـهـ أوـ أـثـبـتـتـهـ.

وـفـيـماـ يـلـىـ ماـ عـنـ لـنـاـ منـ خـلـالـ المـارـسـةـ الإـكـلـيـنـيـكـيـةـ منـ فـرـوـضـ منـ خـلـالـ قـرـاءـةـ ظـاهـرـةـ الإـدـمانـ:

1- إنـ ظـاهـرـةـ الإـدـمانـ ظـاهـرـةـ مـرـتـبـطـةـ جـرـكـيـةـ الـوعـىـ بـقـدـرـ اـرـتـبـاطـهـ بـالـأـوـضـاعـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

2- وهـىـ ظـاهـرـةـ نـفـسـيـةـ يـكـنـ أـنـ تـصـاغـ بـاسـتـعـمالـ أـبـجـيـدـ الصـحةـ وـالـمـرضـ.

3- وهـىـ ظـاهـرـةـ فـيـهاـ إـشـارـاتـ دـالـلـةـ تـتـعـلـقـ بـمـسـارـ حـضـارـةـ الجنسـ البـشـرـىـ وـقـدـيـدـاتـ اـنـقـراـضـهـ فـيـ الـوقـتـ الـحـالـىـ.

4- وهـىـ تـعـلـنـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ طـبـيـعـةـ جـمـتـعـ بـذـاتـهـ، بـقـدـرـ ماـ هـىـ نـذـيرـ صـرـيـحـ يـتـعـلـقـ بـمـسـارـ الجنسـ البـشـرـىـ عـامـةـ.

5- كـمـ أـنـهـاـ تـشـيرـ إـلـىـ مـاـهـيـةـ الـاحـتـيـاجـاتـ غـيرـ الـمـشـبـعـةـ وـيـعـضـ طـرـقـ إـشـبـاعـهـاـ السـلـبـيـةـ، مـعـ الـحـاجـةـ إـلـىـ إـشـبـاعـ إـيجـابـيـ بـدـيـلـ.

6- أـىـ أـنـهـاـ تـوـحـىـ بـضـرـورـةـ الـبـحـثـ عـنـ بـدـيـلـ لـهـاـ، بـقـدـرـ حـرـصـنـاـ عـلـىـ التـخلـصـ مـنـهـاـ.

مـلـاحـظـاتـ إـكـلـيـنـيـكـيـةـ

تـبـيـنـ لـنـاـ مـنـ خـلـالـ المـارـسـةـ عـلـىـ أـرـضـ وـاقـعـنـاـ وـنـيـضـ ثـقـافـتـنـاـ أـنـ الـلـامـحـ الـأـكـثـرـ شـيـوـعاـ الـتـيـ يـتـصـفـ بـهـاـ الـمـدـمـنـ إـنـماـ تـشـيرـ إـلـىـ شـمـاتـ أـكـثـرـ مـاـ تـشـيرـ إـلـىـ أـعـرـافـ، وـهـىـ لـيـسـ خـاصـةـ بـالـمـدـمـنـ (إـذـ هـوـ مـدـمـنـ) بـقـدـرـ مـاـهـيـةـ دـالـلـةـ عـلـىـ اـفـطـرـابـ نـمـطـ الـشـخـصـيـةـ الـذـيـ جـاءـ الإـدـمانـ يـعـلـلـهـ وـيـؤـكـدـهـ.

وـبـدـونـ الدـخـولـ فـيـ تـفـاصـيلـ حـاـوـلـةـ فـضـ الـاشـبـاكـ بـيـنـ السـبـبـ وـالـنـتـيـجـةـ، أـجـدـ مـنـ الـمـنـاسـبـ تـقـدـيمـ الـمـلـاحـظـاتـ الـتـيـ تـوـاتـرـتـ فـيـ

خلفيات الوعي العام، والوعي الخاص، المشتمل لظاهرة الإدمان والمسئول - عموماً - عن افرازها بما قد يترتب على هذه الملاحظات من تفسيرات محتملة، وذلك تمهد لقراءة إيجاءات الظاهرة من أكثر من بعد.

وفيما يلى بعض ما لاحظناه خلال الممارسة العلاجية المكثفة في وسط علاجي خاص

1 - اهتزاز السلطة (الوالدية، وما يقابلها).

إن اهتزاز السلطة، بما يعني تذبذب حضورها، وغموض أدائها، وتناقض رسائلها، هو أكثر خطراً من سؤلها أو حتى غيابها كما سيأتي في عرض الحالات.

2- الوحدة أو التهديد بالوحدة.

لا يعني بذلك فقط كلاً من الوحدة الفعلية، أو الانطوانية أو حتى الشيزيدية، وإنما يعني أساساً الوحدة الوجودية الغائرة، التي لا يعبر عنها المدمن عادة إلا بعد تعريتها بكشف المستور بالمخدر أو بالمرض.

3- ميوعة الهدف (الوجودي، وإلى درجة أقل: الأهداف الخيالية العاجلة).

تعني بالهدف الوجودي "معنى الحياة"، وغايتها، وليس الأهداف المتوسطة الهامة بين الميلاد والقبر، وعادة لا يظهر هذا الهدف على السطح الوعي، إلا في أزمات النمو، وفي بعض بدايات المرض، ومن خلال كثير من الإبداع، لكننا نستنتج افتقاد نفس هذا الهدف بعد التورط في الإدمان.

4- غموض المعلومات (والتعليمات).

لا يعني بذلك: القدرة على تحمل الغموض، ذلك أن هذا المفهوم هو خالف تماماً لما هو الافتقار إلى الحصول على معلومات ذات معلم محددة.

"تحمل الغموض" هو علامة من علامات النضج في محاولة الإحاطة بمعلومات واضحة محددة، وفي نفس الوقت هي هي معلومات متناقصة معًا، هذا موقف إيجابي رائع، حيث لا نصل إلى استيعابه إلا بعد مشوار طويل من محاولات استيعاب موضوعى الواقعنا داخلنا وخارجنا.

أما ما نقصد هنا من "غموض المعلومات والتعليمات" فهو يشير إلى حالة تكون فيها المعلومات مائعة مهزورة من البداية، بحيث لا تمثل أبجدية يمكن أن نعمل منها جملة مفيدة فإن هذا يسهم فيما أسمينا حالاً (بند 3) ميوعة الهدف، وبالتالي التخبط، فالانسحاب والطلاق والهرب، الذي أحد وسائله وأسهلهما: تناول مواد الإدمان لتساعد على الهرب بعيداً عن تناقض غير محتمل.

5- جمود حرکية النضج.

الطبيعة البشرية عبر التاريخ، والتي تأكـدت مـاـهـيتها مؤخـراـ من منطلق مـدارـس النـموـجـمـعـةـ، تـقـولـ: إنـ الـكـائـنـ الـبـشـرـىـ الفـردـ لاـ يـكـفـ عنـ النـمـوـ مـنـذـ الـولـادـةـ حقـ القـبرـ، وبـالتـالـىـ يـكـونـ التـوقـفـ النـهـائـىـ عـنـ أـىـ مرـاحـلـ مـنـ مـراـحلـ النـضـجـ هوـ ضـدـ الطـبـيـعـةـ الـبـشـرـىـ، هـذـاـ التـوقـفـ بـالـذـاتـ هوـ الذـىـ نـسـمـيـ عـادـةـ: اـضـطـرـابـ الشـخـصـيـةـ، وـأـحـيـانـاـ مـاـ يـكـونـ ذـلـكـ مـوـضـعـ فـخـرـ فـيـ الجـمـعـاتـ التـقـلـيدـيـةـ أوـ نـقـتـ تـأـثـيرـ سـلـطـةـ قـامـعـةـ جـداـ. (مـجـيـاـ الثـبـاتـ عـلـىـ الـمـبـدـأـ، مـجـيـاـ الثـبـاتـ عـلـىـ مـاـ خـنـ فـيـهـ).

المـدـمـنـ يـكـسـرـ هـذـاـ الجـمـودـ وـالـتـوقـفـ بـتـحـريـكـ كـيـمـيـائـيـ مـغـامـرـ (الـمـلـعـقـةـ الـكـيـمـائـيـةـ لـتـحـريـكـ الـوعـىـ السـاـكـنـ)ـ فـيـقـعـ فـيـ الـوـرـطـةـ لأنـهـ خـرـيقـ مـفـتـعـلـ زـائـفـ، خـرـيقـ لـمـ يـتـحـضـرـ لـهـ بـالـطـرـيقـةـ السـلـيـمـةـ خـلـالـ زـمـنـ كـافـ، وـيـصـاحـبـ ذـلـكـ آـلـيـاتـ مـسـاعـدـةـ لـهـذـاـ التـوقـفـ عـنـ النـمـوـ مـثـلـ:

أـ. ضـعـفـ فـرـصـ قـرـيقـ الإـبـدـاعـ الـيـومـيـ العـادـىـ، (الـإـبـدـاعـ الـيـومـيـ مـثـلـ مـعـاـيـشـ الـحـلـمـ وـاستـعـيـابـ آـثـارـهـ (ولـيـسـ تـفـسـيـرـهـ)ـ أوـ الـحـفـاظـ عـلـىـ الـدـهـشـةـ، وـالـتـدـرـيـبـ عـلـىـ الـمـبـادـأـ...ـالـخـ).

بـ- التـوقـفـ عـنـ حدـودـ الذـاتـ تمامـاـ (الـذـاتـوـيـةـ)ـ: وـيشـملـ عـادـةـ إـلـغـاءـ الـأـخـرـ، وـالـتـعـاـمـلـ مـعـ "ـالـمـوـضـعـ"ـ، الـأـخـرـينـ، بـإـسـقـاطـ مـلـاحـقـ، فـلـاـ يـرـىـ حـقـيقـتـهـ بـلـ يـقـلـبـهـ إـلـىـ تصـوـرـهـ عـنـهـ.

جـ- باختـفـاءـ الزـمـنـ كـبـعـدـ مـسـتـقـلـ وـاعـدـ فـاعـلـ مـطـمـنـ.

وـهـذـاـ أـمـرـ صـعـبـ رـصـدـهـ، لـكـنـهـ مـرـتـبـطـ بـمـاـ يـشـبـهـ "ـالـسـيرـ فـيـ الـخـلـ"ـ، أـىـ الـحـرـكـةـ الـخـادـعـةـ بـلـ تـقـدـمـ وـلـ تـغـيرـ، مـهـمـاـ تـغـيرـ الـزـمـنـ الـمـوـضـعـيـ دـاخـلـنـاـ وـخـارـجـنـاـ.

6- عدم كفاية الإدمانات البديلة.

الـانـسـانـ مـدـمـنـ بـطـبـعـهـ، بـعـنـيـ أـنـ مـنـ أـسـاسـيـاتـ طـبـيعـتـهـ أـنـ يـعـيـدـ أـدـاءـ أوـ مـارـسـ سـلـسلـةـ مـعـيـنـةـ مـنـ الـأـفـعـالـ أوـ الـمـشـاعـرـ أوـ الـرـؤـىـ بـشـكـلـ يـتـكـرـرـ جـيـبـ تـرـتـيـبـ حـيـاتـهـ وـاستـمـارـاـهـ بـهـذـاـ التـكـرارـ، وـتـسـمـيـ مـثـلـ "ـذـلـكـ إـدـمـانـ"ـ بـعـنـيـ "ـالـتـعـودـ السـلـيـمـ"ـ، الـذـىـ إـذـاـ اـنـقـطـعـ عـنـهـ صـاحـبـهـ ظـهـرـ مـاـ يـشـبـهـ "ـأـعـراضـ الـانـسـاحـ"ـ، يـجـدـثـ هـذـاـ وـيـسـمـيـ إـيجـابـياـ إـذـاـ كـانـ تـعـودـ نـافـعاـ فـيـ النـهاـيـةـ، مـثـلـ إـدـمـانـ الـصـلـادـةـ، وـإـدـمـانـ تـلاـوةـ "ـوـرـدـ"ـ مـاـ، وـإـدـمـانـ هـوـاـيـةـ مـاـ، وـبـعـضـ إـدـمـانـاتـ الـحـاسـوبـ (ـلـيـسـ كـلـهـاـ)...ـإـلـخـ.....ـكـلـهـاـ، فـإـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ، فـإـنـ عـدـمـ اـحـتـرـامـ هـذـهـ الـطـبـيـعـةـ وـالـعـجـزـ عـنـ اـسـتـيـعـابـهـ يـتـرـتبـ عـلـيـهـ الـبـحـثـ عـنـ تـعـويـضـهـ بـأـيـ أـسـلـوبـ، وـمـنـ ذـلـكـ الـتـعـودـ السـلـيـمـ عـلـىـ مـاـ يـضـرـ وـيـسـمـ، وـيـقـتـلـ أـحـيـانـاـ (=ـ إـدـمـانـ)ـ.

7- فـرـطـ الدـعـاـيـةـ لـمـاـ يـسـمـيـ مجـتمـعـ الرـفـاهـيـةـ، معـ العـجـزـ عـنـ تـقـيـقـهـ.

أشـرـنـاـ فـيـ نـشـراتـ سـابـقـةـ إـلـىـ النـمـوذـجـ الطـيـ الـيـكـنـيـ التـسـكـيـنـيـ وـعـلـاقـتـهـ بـمـاـ يـسـمـيـ "ـجـمـعـ الرـفـاهـيـةـ"ـ، وـالـنـفـسـ الـطـمـئـنـةـ سـلـبـاـ.

هـذـاـ الـأـمـرـ لـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ الـطـبـ، بلـ إـنـ التـروـيجـ لـنـوعـ الـحـيـاةـ

الاستهلاكية ، والهدف الترفيهي لذاته يمكن أن يساهم في تأكيد غاية الراحة والسكنينة الزائفة دون أن يتحققها أو يرسم الطريق الممكن لتحقيقها ، فإذا ما جرب منْ وصلته هذه المفاهيم ، ثم هو يفاجأ بصعوبة - أو استحالـة - تحقيقها ، ثم وجد - بالصادفة أو "بزورـة" سهلـة - أنه يمكن تحقيق هذا الوهم بـأسهل الطرق ، في ساعات أو دقائق ، فـما الذي يـعنـه أن يتـمسـكـ بها وكـأنـهاـ هيـ التيـ دـعـونـاهـ إـلـيـهاـ دونـ أنـ يـدرـىـ ، ولـسانـ حالـهـ يـقـولـ : "مشـ اـنـتـواـ اللـىـ قـلـتـواـ" !؟؟؟

8- ضعف الحوار (المـقـيقـيـ) على مستوياته المختلفة ، مع الفـيـقـيـ بالـاخـتـلـافـ

لا نعني هنا بالـحـوارـ النـقـاشـ أوـ تـبـادـلـ الـكـلامـ ، وإنـماـ نـشـيرـ إلىـ كلـ أـنـوـاعـ حـوارـ (أنـظـرـ يـوـمـيـةـ 25-2-2008)ـ وـخـاصـةـ حـوارـ المـواـكـبـةـ .

الـإـنـسـانـ لاـ يـكـونـ إـنـسـانـاـ ، وـلـاـ تـتـخلـقـ ذـاـنـهـ إـلـاـ بـالـحـرـكـةـ الإـيقـاعـيـةـ فـيـ رـحـابـ "آخـرـ"ـ يـفـعـلـ نـفـسـ الشـئـ ، وـأـوـلـ مـظـاـهـرـ الـافـتـقـارـ إـلـىـ هـذـهـ الـفـرـصـةـ قـدـ يـظـهـرـ فـيـ صـورـةـ الشـعـورـ بـالـوـحدـةـ ، أوـ العـجـزـ عنـ التـوـاصـلـ ، وـقـدـ يـزـيفـ بـإـسـقـاطـ ذـوـاتـ مـنـ ذـاـنـهـ كـمـاـ قـلـنـاـ فـيـ بـنـدـ (2)ـ بـدـيـلـاـ عـنـ الـآخـرـينـ كـمـوـضـوـعـ كـمـقـيقـيـ ، التـمـادـيـ فـيـ تـغـيـيـبـ الآـخـرـ أوـ إـلـغـائـهـ لـيـسـ مـطـلـبـاـ لـأـخـدـ ، لـكـنـهـ وـرـطـةـ تـرـبـوـيـةـ عـادـةـ ، وـجـنـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ مـنـ يـغـرـقـ فـيـهـ أـنـ يـصـحـحـهـ ، فـيـانـ الإـدـمـانـ يـوـهـمـ بـالـقـدـرـةـ عـلـىـ تـعـوـيـضـهـ : إـمـاـ جـوـارـ خـاصـ بـلـغـةـ خـاصـةـ مـعـ مـنـ يـنـتـمـيـنـ إـلـىـ ثـقـافـتـهـ الـجـديـدـةـ : ثـقـافـةـ الـإـدـمـانـ ، إـمـاـ جـوـارـ وـهـيـ مـعـ ذـوـاتـ دـاخـلـهـ .

9- تـضـاؤـلـ فـرـصـ النـكـوـمـ التـكـيـفـيـ الجـمـاعـيـ المـشـروـعـ .

الـحـرـكـةـ لـلـأـمـامـ وـالـخـلـفـ ، وـالـحـرـكـةـ بـالـطـولـ وـبـالـعـرـضـ ، وـالـحـرـكـةـ بـالـجـسـدـ وـبـالـوـعـيـ ، هـيـ جـزـءـ لـاـ يـتـجـزـأـ مـنـ الـحـيـاةـ عـامـةـ وـمـنـ الـطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ خـاصـةـ ، خـنـ بـالـذـاتـ (أـعـنـ فـمـ مصرـ وـمـنـ إـلـيـهاـ)ـ لـمـ نـعـدـ :

نـرـقـصـ مـعـ ،

- ولا نـغـنـيـ مـعـ ، ولاـ حـقـيـقـيـ الـعـملـ ،
- ولاـ "نـذـكـرـ"ـ فـيـ الـمـوـالـدـ مـعـ (إـلـاـ قـلـيلـاـ)ـ ،
- ولاـ نـلـعـبـ عـلـىـ الـبـحـرـ مـعـ ،
- ولاـ نـسـافـرـ إـلـىـ الصـحـراءـ مـعـ ، .. إـلـخـ .

الـمـوـادـ الـإـدـمـانـيـةـ تـعـرـضـ عـلـيـنـاـ بـدـيـلـاـ سـرـيعـاـ جـاهـزاـ ، فـهـيـ قـادـرـةـ أـنـ خـرـكـنـاـ حـرـكـةـ زـائـفـةـ مـنـ الـوـضـعـ "جـلوـساـ"ـ .

الـشـخـصـ الـذـيـ يـحـرـمـ مـنـ كـلـ هـذـهـ الـحـرـكـيـةـ الـطـبـيـعـيـةـ ، ثـمـ يـعـثـرـ عـلـيـهـ إـثـرـ حـقـنـةـ أـوـ بـرـشـامـةـ ، أـوـ نـفـسـ يـلـوـحـ لـهـ بـاسـتـعـادـةـ حـرـكـتـهـ الـطـبـيـعـيـةـ ، لـاـ يـعـلـكـ إـلـاـ أـنـ يـتـمـادـيـ فـيـهـ (أـفـتـعـالـاـ)ـ ثـمـ خـذـ عـنـكـ .

10- شيوخ المفاهيم الناقصة حول الحرية، وما شابه من مفاهيم فارغة من مضمونها:

مثل الديقراطية، والمساواة... الخ (مع الممارسة العكسيّة).

الإدمان يحقق الحرية (الزائفـة أـيـضاـ) حين يكسر الحدود ويسحب وعي صاحبه بعيداً عن الواقع، كما أنه يحقق نوعاً آخر من الحرية حين يلغى المدنـى جـدلـيـة ذـواـتـه لـخـاصـيـة الـوـعـىـ المنـفـصـلـ الجـدـيدـ، فـهـيـ حرـيـةـ بـالـافـصـالـ وـلـيـسـ بـالـسـعـىـ مـعـاـ.

ترتـبـطـ بـذـلـكـ مـفـاهـيمـ عـدـيدـ "تـسـتـعـمـلـ مـنـ الـظـاهـرـ" أوـ تـسـتـعـمـلـ بـالـإـبعـادـ لـغـيرـهـاـ إـنـ صـحـ التـعبـيرـ (ـمـاـ لـجـالـ لـتـفـصـيلـهـ الـآنـ)ـ.

وبعد

هذه ليست الأسباب المباشرة للإدمان بالذات، والنظـرـ فيهاـ بـتـأـمـلـ يـكـنـ أنـ يـدـركـ أـهـاـ يـكـنـ أنـ تـكـمـنـ وـرـاءـ أـيـ مـرـضـ نـفـسـيـ، أـوـ حـتـىـ وـرـاءـ اـغـتـرـابـ حـيـاتـىـ عـادـىـ، كـمـاـ أـهـاـ لـيـسـ كـلـ الـخـلـفـيـةـ، فـثـمـةـ عـوـامـلـ أـخـرىـ مـثـلـ التـهـدىـ بـبـدـايـاتـ التـفـسـخـ، أـوـ التـهـدىـ بـهـجـمةـ الرـؤـيـةـ الـمـؤـلـةـ (ـفـرـطـ الـوـعـىـ /ـ الـاـكتـنـابـ الـمـواـجـھـيـ)ـ أـوـ غـيرـ ذـلـكـ، مـاـ سـيـأـتـىـ ذـكـرـهـ مـعـ عـرـضـ الـحـالـاتـ.

خـنـ ماـزـلـنـاـ فـيـ الـمـقـدـمةـ الـنـظـرـيـةـ، وـبـعـدـ أـنـ اـسـتـوـفـيـنـاـ بـعـضـ مـاـ يـبـدـوـ أـنـهـ "ـمـاـذـاـ؟ـ"ـ يـكـنـ أـنـ نـنـتـقـلـ إـلـىـ:ـ "ـمـاـذـاـ؟ـ".ـ

وـغـدـأـ موـعـدـنـاـ مـعـ:

"ـمـاـذـاـ تـقـولـ ظـاهـرـةـ الإـدـمـانـ؟ـ"

الإـلـيـاء 2008-03-05

مـلـفـ الإـدـمـانـ (4)ـ فـتـ مـلـفـ الإـدـمـانـ

ما الذي "تقوله" ظاهرة الإدمان؟

ومن خاول الإنصات لما تقوله هذه الظاهرة أثناء العلاج الممتد، والتتابع الطويل حاولنا أن نقوم بترجمة مبدئية لبعض المعانى التى بدا لنا أن هذه الظاهرة تعانها من خلال انتشارها بهذا التواتر، وأها تؤكدها من خلال إظهارها لكل هذه المقاومة لعظام أنواع العلاج:

1- إن الإدمان يعلن الحاجة إلى "المعف"

ففى الوقت الذى يبدو فيه المدمن "هاربا من" ... نتبين أنه "هارب إلى" ...

هارب من آلام الوحدة إلى صحبة متخيلة، أو سلبية هارب من غياب المعنى فى أى شئ إلى معان تلوح له أنها جديدة، بلغة جديدة، تصلح للوء الوعي، باللاشئ (فـ النهاية) إلخ

ومع حسابات البدايات والمآل، من واقع الاستجابات العلاجية الأولية فالتابع، لاحظنا أن المدمن إنما يتوجه لنوع من التماسک بتكون منتظمة وعي بديل، لكنه في نفس الوقت يحتاج إلى تعظيم مستوى الوعي السائد.

2- الإدمان يعلن الافتقار إلى الفكرة المخورية الغائية التي جمع تركيبات الذات إلى مسار التجمع في واحديّة واحدة جدلاً

ومع أن هذه القضية ليست خاصة بالمدمن، بل هي متضمنة في نوع سائد من الحياة المعاصرة، المجزأة والمغتربة، إلا أن المدمن:

ـ يكاد يدرك هذا النقص ويرفضه ،

ـ ثم هو يكاد يهم بالبحث عنه لكنه في النهاية - وربما من البداية - يجهض، أو يُرفض.

ـ فيرتد أكثر خواص وأبعد عن الغائية المخورية الضامة ، في وجود متصلب بارد

ـ فيلجأ إلى ملة خواص بهذه الكيمياء السامة الطبيعية أو المصنعة.

هـ- وفي نفس الوقت هو يحرك جموده بهذه النقلة الكيميائية المباشرة.

وـ وهو يلجمونه إلى هذا الماء الزائف، وإلى التعريـك المـفـتـعلـ يـجـقـقـ نـوـعاـ منـ التـقـارـبـ بـيـنـ بـعـضـهـ وـبـعـضـهـ، وبالـتـالـيـ يـجـقـقـ نـوـعاـ منـ التـقـارـبـ بـيـنـ بـعـضـ ذـواـتـهـ، لـكـنـهـ يـفـشـلـ عـادـةـ، فـيـسـتـبعـدـ أـىـ ذـواـتـ تـحـولـ دـوـنـ تـحـقـيقـ غـائـيـةـ الإـدـمـانـ، فـكـانـهـ يـجـقـقـ "ـوـاحـديـةـ"ـ زـائـفـةـ مـؤـقـتـةـ، لـكـنـهاـ مـرـجـعـةـ تـكـفـيـ لـتـعـقـيـقـ مـتـطـلـبـاتـ الـمـوـقـفـ الـمـتـعـلـقـ بـالـتـعـاطـيـ خـدـاعـ النـفـسـ، وـالـخـرـكـةـ فـيـ الـأـخـلـ.

المـدـمـنـ يـعـلـنـ الـافـتـقـارـ إـلـىـ الـفـكـرـةـ الـأـخـوـرـيـةـ، وـفـيـ نـفـسـ الـوقـتـ هـوـ يـهـمـ بـتـعـوـيـضـ ذـلـكـ بـالـمـوـادـ الإـدـمـانـيـةـ، فـيـنـخـدـعـ دـوـنـ أـنـ يـدـرـيـ

3- الإـدـمـانـ يـلـوـحـ بـإـبـدـاعـ يـعـدـ بـالـكـشـفـ، حـيـثـ يـسـهـمـ بـشـكـلـ مـاـ فـيـ تـغـيـيرـ الـوـعـيـ نـوـعـيـاـ، إـذـ يـتـغـيـرـ إـدـرـاكـهـ، لـنـفـسـهـ وـلـنـحـوـهـ.

لـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ يـجـدـثـ التـورـطـ:

مـعـ الـوـعـيـ الـغـامـقـ بـالـافـتـقـارـ إـلـىـ الـمعـنـ، وـالـشـعـورـ الـمـؤـلمـ بـالـخـوـاءـ فـيـ الـوـحـدـةـ، يـبـدـأـ التـحـرـكـ فـيـ اـجـاهـ الـبـحـثـ عنـ الـفـكـرـ الـخـوـرـيـةـ، الـقـيـمـ يـكـنـ أـنـ تـعـدـ بـأـنـ تـضـمـهـ فـيـ "ـوـاحـدـ"ـ، فـتـلـوـحـ لـهـ فـيـ مـسـاحـةـ مـاـ مـنـ وـعـيـ غـائـرـ أـنـهـ: "ـبـالـلـعـبـ الـكـيـمـيـائـيـ"ـ فـيـ مـسـاحـاتـ الـوـعـيـ الـمـتـبـادـلـةـ، يـكـنـ أـنـ تـجـرـىـ حـاـوـلـةـ إـعـادـةـ تـنـظـيمـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ أـعـلـىـ (ـإـبـدـاعـ)ـ حـوـلـ حـوـرـ مـاـ.

إـلـاـ أـنـ هـذـاـ يـتـكـفـفـ عـمـومـاـ عـنـ وـعـدـ كـاذـبـ.

(ـوـ إـنـ كـانـ فـيـ قـلـيلـ مـنـ الـأـخـيـانـ قـدـ يـصـدرـ عـنـ إـبـدـاعـ حـقـيقـيـ فـيـ ظـرـوفـ خـاصـةـ كـمـاـ يـشـاعـ عـنـ بـعـضـ الـمـبـدـعـينـ، الـأـمـرـ الـذـىـ يـنـبـغـىـ مـرـاجـعـتـهـ، فـإـلـاـبـدـاعـ لـاـ يـتـمـ فـيـ مـسـتـوـيـ وـعـيـ آـخـرـ بـدـيـلـ مـنـفـصـلـ، وـلـكـنـهـ يـتـخـلـقـ مـنـ وـعـيـ فـائـقـ مـشـتمـلـ، وـفـيـ النـادـرـ، قـدـ تـقـومـ الـمـوـادـ الـإـدـمـانـيـةـ بـتـحـرـيـكـ مـسـتـوـيـاتـ الـوـعـيـ الـكـامـنـةـ مـعـاـ، وـهـذـاـ لـيـسـ إـبـدـاعـاـ فـيـ ذـاتـهـ، إـنـ لـمـ يـلـحـقـهـ تـشـكـيلـ لـهـذـهـ مـسـتـوـيـاتـ فـيـ وـعـيـ فـائـقـ قـادـرـ عـلـىـ تـخـلـيقـ الـجـدـيدـ،

4- بـعـضـ الـإـدـمـانـ قـدـ يـفـمدـ الـحـاجـةـ (ـالـحـقـيقـيـةـ)ـ إـلـىـ الـآـخـرـ، مـعـ إـحـيـاءـ تـوـاصـلـ سـطـحـيـ بـدـيـلـ.

فـفـيـ الـوـقـتـ الـذـىـ لـاحـظـنـاـ فـيـهـ دـفـءـ التـوـاـصـلـ بـيـنـ أـفـرـادـ هـذـهـ الـفـئـةـ بـعـضـهـمـ بـبـعـضـ، وـبـيـنـهـمـ وـبـيـنـ غـيرـهـمـ مـنـ الـمـرـضـيـ، تـبـيـنـ قـصـرـ عمرـ هـذـاـ الدـفـءـ، وـلـاـ جـدـواـهـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـنـهـاـيـةـ، اللـهـمـ إـلـاـ فـيـ تـسـهـيلـ التـقـصـ وـالـعـتـمـادـ عـلـىـ مـنـطـقـ جـمـاعـيـ يـبـرـ هـذـاـ الـخـلـ مـؤـقـتاـ (ـإـدـمـانـ)ـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ مـاـ مـنـ مـسـتـوـيـاتـ الـشـعـورـ، لـهـ عـمـرـ اـفـتـراضـيـ قـصـيرـ الأـجلـ.

فـالـحـاجـةـ لـلـآـخـرـ عـنـ الـمـدـمـنـ تـتـحـرـكـ فـيـ إـلـحـاجـ (ـرـبـاـ أـكـثـرـ مـنـ الـشـخـصـ الـعـادـيـ)، لـكـنـهـ حـرـكـةـ بـذـئـيـةـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ غـيرـ ظـاهـرـ، وـهـيـ حـاجـةـ حـقـيقـيـةـ عـارـيـةـ مـلـحـةـ عـادـةـ، وـإـنـ كـانـ مـهـتـزـةـ مـجـهـضـةـ فـيـ الـنـهـاـيـةـ (!!!).

ورغم ظاهر الصدق الفطري في بدء هذا الإعلان الذي نلمحه كثيراً وراء الظاهرة، إلا أنه يكون مصاحبًا عادة بما يشكك في حقيقته وأصالته، فالمدمن - مع ذلك - لا يتحمل دفع متطلبات هذا النوع من التواصل، وكأنه يريده **"من الخارج الله أكثر ما يسعى هو إلى ذلك في نفس الوقت"** لكنه لا يتراجع أمام الوعي بالمسؤولية، فيظل الإلحاد يتمادي فتلوح بعض الحلول الوعادة كما يلي (كما مثلة):

* **التغافل عن شروط التواصل**، عن طريق التسهيل الكيميائي الذي يبدو أنه يعد بالاندفاع نحو الآخر، وبذلك فهو يكسر الوحدة (ظاهرياً) في نفس الوقت الذي يخفف من ثقل الحقيقة، ومسئولييتها. لكن ذلك كله أو أغلبه سرعان ما ينكشف خواصه باختبار الواقع، ومخديات المثابرة. يعني أن هذه العلاقات قد تورى انتماء سهلًا غير مكلف، ولكنها تساقط بسرعة هائلة تحت اختبارات الواقع وامتداد المدة وتصاعد المسؤولية.

* ثم إن نوعاً آخر من الخل يطرحه المدمر على من تلح عليه حاجة التواصل هذه، وهو حل الاستغناء، وهو يشير إلى أنه بعد تعتعة ذوات الداخل، تناح فرصة الري "منه فيه" (كله يدلع نفسه !!!) دون حاجة إلى آخر خارجي أصلًا !!!

5- الإدمان يلوح بتدين كيميائي، ويعد جنة أقرب:

لاحظنا أن المدمن قد يظهر من الطقوس والولاء العقائدي ل موقفه من الإدمان (وثلة الإدمان) ما أثار عندنا فكرة أن الإدمان قد يقوم بدور المكافئ لما هو تدين سلي بشكل أو بأخر، وهذا ما أسميناه **بالتدين الكيميائي**، وتكميله لهذا الفرض وجدنا أن الجنة التي يدع بها هذا التدين الكيميائي - إن صح التعبير - هي جنة أقرب، تحقق له فوراً وعيانياً ما تعد به، والمدمن لا يستطيع الانتظار إذ هو عاجز عن التأجيل وبعد النظر عادة، وبالتالي فجنته الآن جاهزة عنده حالاً، وهي وبالتالي أقرب للتمديد فوراً.

6- بعض الإدمان يبدو نوعاً من العلاج الذاتي:

العلاج هنا لا يعني علاجاً حقيقياً، ولكنه يعني أساساً تخفيف أو إزالة الألم، بما يشمل تخویر الأعراض، أو تأجيل التدهور. والأحداث التي أجريت لتحقيق هذا الفرض بوجه خاص، أقر بعضها احتمال إسهام المواد الإدمانية في التخفيف عن مظاهر بعض الأمراض، وإن كانت خبرتنا لا تؤكّد الأمر بهذه الصورة، فلقد وجدنا أن هذه المواد تعمل كعلاج (بالمعنى السابق) في المراحل الإرهاصية المبكرة لمرض بذاته، مثل الوعي بالألم النفسي قبيل الاكتئاب، أو إدراك التهديد بالتأثير قبيل الفضام، فهذه المواد الإدمانية قد تؤجل ظهور المرض القادم، بل وقد تقول مساره من مشكلة مواجهة مرضية صرعة إلى مشكلة سلوكية سماتية (وأحياناً مشكلة قانونية وأخلاقية)، وينتسب لهذا الزعم بدراسة التاريخ الأسرى، حين يمكن أن نرجح أن مدمناً ما، له أقارب من درجة قريبة، مصابون باضطرابات وجدانية

متواترة ، أو بالفصام أو غير ذلك، يمكن أن نرجح صحة هذا الفرض (التداوی الذاتی) ، حتى لو لم تظهر على المدمن أية أعراض لأى من هذه الأمراض، إن الاعتراف ببعض صحة هذا الفرض ليساعدنا إلى ضرورة الانتباه إلى علاج المرضي التحق وراء الإدمان، كما أنه قد يفيد أيضاً في الإسهام في تحديد الاستهداف للإدمان في بعض الأحيان، وأخيراً فإنه قد يفيد في كيفية تفسير بعض أعراض الانسحاب وطبيعة التعامل معها.

7- الإدمان يبدو أحياناً مكافئاً للثورة (وبديلها):

وهو في ذلك لا يختلف إلا قليلاً عن كثير من غائبية بعض الذهانات في بداياتها ، إلا أن الحال هنا يبدو أكثر دلالة ، وأخطر قياساً :

ذلك لأن الثورة الزائفـة التي تمثل في الإدمان تتحقق المرة تلو المرة ، ويعلن فشلها المرة تلو المرة ، فهى قد تتحقق بشفـة واحدة ، أو شـكة واحدة ، يعلن المدمن من خلالها الرفض والاحتـجاج والرغبة في التغيـير والـوعـد بالتطـوير إلى آخر أبـجدية كل الثورـات... ، لكن المدمن للأـسف - من واقع ما لاحظناه - لا يتعلـم من فشـله بعد كل شـكة أو شـفة أنها ثـورة زـائفـة ، وخدعـة كـبـيرـة ، فهو يتصـور - في مستـوى ما من شـعورـه أن الثـورة فـشـلت لأـسبـاب خـارـجة عنه ، وأنـها -فـقط- تحتاج إلى جـرـعة أـكـبرـ ، أو مـحاـولة مـتـكرـرة أـكـثرـ ، وهـكـذا ، إلى غـيرـ نهاـيةـ.

وبالمقارنة نجد أن المريض النفـسي -غير المـدـمنـ - (الـذهـانـ) إذ يـهمـ هو أـيـضاـ بـثـورـتهـ الـزـاـئـفـةـ ، يـتـمـادـيـ - بـالـأـعـراـضـ - فـي طـرـيقـهاـ ، وـيـدـفعـ مـنـهـاـ: عـزـلـةـ وـأـلـماـ وـقـزـقـاـ وـنـفـيـاـ ، وـهـوـ إـذـ يـتـبـينـ زـيـفـهاـ ، بـعـدـ حـينـ يـكـونـ الـظـلـامـ قـدـ عـمـ حـتـىـ لاـ يـعـودـ يـيـزـ المـرـيـضـ بـيـنـ مـاـ هـوـ ثـورـةـ وـمـاـ هـوـ انـقلـابـ إـلـىـ أـدـنـىـ .

8- الإدمان يحقق توقـifa للـزـمـنـ ، وـتـعمـيقـاـ لـلـحـظـةـ ، بـقـدـرـ ماـ يـكـونـ إـلـغـاءـ لهاـ:

بـقـدـرـ ماـ لـاحـظـناـ مـوـقـفـ المـدـمنـ العـدـمـيـ منـ الـزـمـنـ حـينـ أـنـهـ لاـ يـتـعـلـمـ مـنـ اـخـيـرـةـ السـابـقـةـ ، لـاحـظـناـ أـيـضاـ سـهـولـةـ مـعـاـيشـتـهـ "لـهـنـاـ وـالـآنـ" فـيـ العـلـاجـ الجـمـعـيـ بـكـلـ وـعـدـ إـيجـابـيـ الـوـعـدـ بـالـزـمـنـ "الـآنـ".

وقد أـبـلـغـناـ هـذـاـ وـذـاكـ أـنـ مـعـاـيشـهـ الـهـنـاـ وـالـآنـ عـنـ المـدـمنـ فـيـ بـدـاـيـةـ رـحـلـتـهـ لـيـسـ مـبـادـرـةـ لـاخـتـرـاقـ الـاـغـرـابـ العـادـيـ (فـيـ المـاضـيـ وـالـمـسـتـقـبـلـ) بـقـدـرـ ماـ هـوـ إـلـغـاءـ لـلـخـيـرـةـ السـابـقـةـ مـنـ نـاحـيـةـ ، وـتـقـرـبـ مـنـ رـؤـيـةـ الـعـوـاقـبـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ. وـهـذـاـ مـنـاقـضـ (لـدـرـجـةـ الـعـكـسـ) لـاحـتمـالـ مـمارـسـةـ المـدـمنـ - فـيـ مـرـحلـةـ لـاحـقةـ - لـلـمعـنىـ إـيجـابـيـ الـمـؤـكـدـ لـمـبـدـأـ "هـنـاـ وـالـآنـ" ، وـالـذـىـ يـؤـكـدـ ضـرـورـةـ مـواـجـهـةـ الـوـاقـعـ الـآنـ كـمـاـ هـوـ ، وـضـرـورـةـ الـبـدـءـ فـيـ الـحـرـكـةـ مـنـ هـنـاـ حـالـاـ ، شـرـيطـةـ أـنـ تـكـوـنـ الـلـحـظـةـ الـرـاهـنـةـ هـيـ حـلـقـةـ وـاضـحةـ فـيـ التـوـاصـلـ الـتـابـعـيـ الـذـىـ يـدـخـلـهـاـ فـيـ كـلـيـةـ الـمـسـارـ الـزـمـنـيـ ، دـونـ أـنـ تـنـسـلـخـ عـنـ نـفـسـهـاـ (اجـتـارـاـ أوـ تـأـجيـلاـ)

وبالفاظ آخر: ففى حين أن المدمن يبدأ بأن يعمق الهاـنـاـ وـالـآنـ "هـرـبـاـ مـنـ الـوـعـىـ بـبـعـدـ الـزـمـنـ"ـ،ـ فإـنـهـ حينـ يـلـتـحـقـ بـالـعـلاـجـ الجـمـعـيـ الإـيجـائـيـ عـادـةـ ماـ يـسـعـىـ إـلـىـ تـولـيدـ المـاضـيـ وـالـمـسـتـقـبـلـ مـعـاـ لـيـتـخـلـقـ مـنـهـمـاـ عـقـمـاـ الـمـواـجـهـةـ الـآـنـيـةـ.

9- المدمن يختصر - بإدمانه- خطى النمو بأيسر السبل (= بأخطر وأفشل السبل!!):

ذلك أنتـاـ لاـ حـطـنـاـ أـنـ المـدـمـنـ لاـ يـسـتـسـلـمـ بـسـهـولةـ لـتـحـمـدـ النـمـوـ (ـكـمـاـ قـدـ يـحـدـثـ حـتـىـ فـيـ الـحـيـاةـ الـرـاتـبـةـ الـعـادـيـةـ)ـ،ـ لـكـنـهـ بـدـلـاـ مـنـ أـنـ يـعـضـيـ قـدـمـاـ فـيـ جـدـلـ الـاسـتـمـرـارـ،ـ يـرـوحـ يـخـتـصـرـ الطـرـيـقـ بـتـحـرـيـكـ زـائـفـ خـوـ مـطـلـقـ جـاهـزـ،ـ فـيـشـعـرـ -ـ مـنـ خـلـالـ هـذـاـ التـحـوـيـرـ الـكـيـمـيـائـيـ،ـ وـمـعـ إـلـغـاءـ الـزـمـنـ -ـ أـنـهـ حـقـ التـكـامـلـ فـيـ الـلـانـهـائـيـ (ـغـاـيـةـ غـايـاتـ النـمـوـ)ـ بـهـذـهـ الـقـفـزةـ الـعـلـمـاقـةـ الـخـادـعـةـ.

وبعد

آنـ الـأـوـانـ أـنـ نـغلـقـ مـؤـقـتاـ مـلـفـ الـادـمـانـ،ـ فـغـدـأـ مـعـ خـيـبـ حـفـوظـ،ـ ثـمـ بـرـيدـ الـجـمـعـةـ،ـ ثـمـ تـعـتـعـةـ السـبـتـ،ـ لـنـعـودـ إـلـىـ فـتـحـ مـلـفـ الـادـمـانـ فـيـ وـقـتـ لـاحـقـ.

الأـدـمـان 09-03-2008

191- خلاصة مقدمة ملخص الأدمان (5)

مراجعات ومواقف، وملامح المخرج

مقدمة

أود أن أؤكد من جديد أنني لم أستوح رؤيتي لهذه الظاهرة بالصورة التي أقدمها بها، إلا من خلال انبطاعاتي طوال بضعة عقود من الممارسة الإكلينيكية، وقد ترتب على ذلك أنني أعددت النظر بشكل شامل في معظم المواقف التي تتناول الظاهرة من الزوايا المختلفة وفيما يلي بعض ذلك:

أولاً: الموقف الطبي

تبدو ظاهرة الإدمان من وجهة نظر أغلب الأطباء، وكأنها ظاهرة طبية في المقام الأول، وبالتالي فهي تحتاج إلى علاج بواسطة طبيب، في مستشفى عادة، يا حبدالو كان مغلقاً، وبواسطة عقاقير بديلة، أو شافية... إلخ.

وللأسف - فقد تبين بالمارسة - أن كل ذلك يحتاج إلى وقفة مراجعة في أكثر من اتجاه، ومن بعض ذلك:

1- إن المدمن ربما يقبل على الإدمان - كما ذكرنا - **(يومية الإدمان، ومنظومة القيم 3-2-2008)** توقيعاً للمرض النفسي القائم، أو المهدد، أو المتردّب يعني: إن الإدمان قد يكون إجهاضاً للمرض في البداية، قبل أن يكون إعلاناً للمرض في ذاته، فكان الإدمان من هذا المنطلق يبدأ كبديل للمرض النفسي القائم أو البادئ أو المهدد، قبل أن يصبح مرضًا مستقلًا في ذاته، بذاته، وعلى ذلك ينبغي أن يقل الحماس للمبادرة باعتباره مشكلة طبية منفصلة؟

2- إن الاضطراب **الغالب مع، وخلف**، الإدمان، هو من نوع اضطراب **الشخصية** (دون العصاب أو الذهان)، وهذا النوع، في عمقه، يعتبر مشكلة اجتماعية (قانونية أحياناً) أكثر منه مشكلة طبية. ولا يوجد - إذن - ما يبرر غلبة التطبيب على غيره من سبل المعالجة.

3- إن الإدمان قد يأخذ شكل ما هو بديل **التطبيب** مما سمي "التداوي الذاتي"، وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا **(يومية ما الذي "تقوله" ظاهرة الإدمان؟ 5-3-2008)**، ربما وصل الأمر

إلى اكتشاف عملية انتقائية يمكن رصدها بالنسبة لاختيارات المدمنين على اختلاف أمراضهم النفسية الكامنة أو الظاهرة على سبيل التداوى الذاتى الانتقائي بهذه المادة دون تلك، لذلك المرض دون غيره، (مثل المهووبين للإكتئاب مثلاً)، إذا بالغنا في قيول هذا الاحتمال على علاته فإنه قد يحدـر بـنا - منطـقاً - أن نقـيل فـكرة أن الإدمـان أحيـاناً يكون طـبا بـديلـاً قـبـيلـاً أن يـصبحـ مـرـضا بـديـلاً، لكنـه طـبـ له أـعـراـفـ جـانـبـيـة تـصلـ أـحـيـاناً إـلـىـ أنـ تكونـ أـلـعنـ منـ المـرـضـ المـرـادـ شـفـاؤـهـ.

4- إن اندفاعات الطـبـ النفـسيـ المـعاـصرـ غـوـ ماـ يـسمـيـ بالـنـمـوذـجـ الطـبـيـ (وـهـوـ فـيـ الحـقـيقـةـ: النـمـوذـجـ الكـيـميـائـيـ المـيـكـنـيـ الـكـمـيـ)ـ هوـ مـوقـفـ كـمـاـ أـخـنـاـ سـابـقاــ قدـ يـسـاـمـهـ فـيـ نـشـرـ ظـاهـرـةـ الإـدـمـانـ، لاـ فـيـ التـقـليلـ مـنـهــ. ذـلـكـ لـأـنـ هـذـاـ النـمـوذـجـ الطـبـيـ المـزـعـومـ يـؤـكـدـ بـشـكـلـ مـباـشـرـ وـغـيرـ مـباـشـرـ عـلـىـ ضـرـورـةـ الإـدـمـانـ الكـيـميـائـيـ (الـطـبـيـ)ـ بـوـجـهـ خـاصـ، وـإـنـ اختـلـفـ المـسـمـيـاتـ، وـتـفـاوـتـ المـضـاعـفـاتـ، يـفـعـلـ ذـلـكـ تـحـتـ عـنـاوـيـنـ العـلـاجـاتـ الطـوـلـيـةـ المـدـىـ، أـوـ حـقـ العـلـاجـ مـدـىـ الـحـيـاةـ، وـمـاـ شـابـهــ.

5- إن استغلال ضـعـفـ الثـقـافـةـ الطـبـيـةـ عمـومـاـ بـإـيـاهـاـمـ النـاسـ وـالمـدـمـنـيـ بـجـلـولـ طـبـيـةـ سـحـرـيـةـ تـقـوـمـ بـغـسـيلـ الدـمـ تـحـتـ تـخـدـيرـ عـامـ لـبـعـضـ سـاعـاتـ (أـحـيـاناً تـسـمـيـ عـلـاجـ الإـدـمـانـ بـاجـراـحةـ حـيـثـ تـزـرـعـ "كـبـسـولةـ مـاـ"ـ تـحـتـ الـجـلدـ)، ثـمـ يـبـلـغـ الـمـعـالـجـ (اجـراـحـ !!)ـ المـدـمـنـ بـعـدـ أـيـامـ أـنـهـ رـجـعـ "نـظـيفـاـ"ـ كـمـاـ وـلـدـتـهـ أـمـهـ، كـلـ هـذـاـ يـارـسـ تـحـتـ اـسـمـ الطـبـ، وـمـعـ أـنـهـ لـهـ أـصـوـلـ تـحـتـ مـاـ يـسـمـيـ "إـزـالـةـ التـسـمـ السـرـيعـ"ـ، فـيـانـ جـمـعـنـاـ الـذـيـ يـنـبـهـرـ لـأـيـ حلـ سـرـيعـ، يـعـتـرـفـ أـنـ هـذـاـ هـوـ "غاـيةـ المـرـادـ"ـ، وـنـهاـيـةـ الـمـطـافـ، وـخـنـ نـدـرـجـ هـذـاـ تـحـتـ بـنـدـ الـمـوـقـفـ الطـبـيـ لـأـنـ الـذـيـ يـقـوـمـ بـهـ "أـطـيـاءـ"ـ، وـهـوـ أـمـرـ بـحـاجـ وـقـفـةـ حـاسـمةـ وـتـقـيـيفـ مـتـدـ، وـضـمـائـرـ حـيـةــ.

إـذـنـ مـاـذـاـ؟

خـنـ خـتـاجـ إـلـىـ تـعـدـيلـ جـذـرـىـ لـهـذـاـ المـوـقـفـ الطـبـيـ، وـمـنـ ذـلـكـ:

1- يـنـبـغـىـ تـحـدـيدـ وـضـعـ مشـكـلـةـ الإـدـمـانـ بـالـنـسـبـةـ لـلـمـعـارـسـةـ الطـبـيـةـ، باـعـتـيـارـ أـنـ الطـبـ الدـوـائـيـ يـتـنـاـوـلـ بـعـضـ مـضـاعـفـاتـ الإـدـمـانـ العـاجـلـةـ دـوـنـ جـوـهـرـهـاـ الرـاسـخــ.

2- يـنـبـغـىـ أـنـ نـقـفـ مـوـقـفـاـ نـقـدـياـ شـامـلاـ فـيـ مـوـاجـهـةـ هـذـهـ الشـائـعـاتـ شـبـهـ الـعـلـمـيـةـ الـتـيـ تـقـوـلـ بـأـنـ الـحـيـاةـ الـعـصـرـيـةـ، خـتـاجـ أـوـلـاـ مـاـ خـتـاجـ إـلـىـ مـهـدـيـاتـ كـيـميـائـيـةـ عـصـرـيـةـ!!!!!!

3- (حتـىـ قـالـ لـنـاـ بـعـضـ الـزـمـلـاءـ فـيـ أـحـدـ الـاجـتمـاعـاتـ وـهـوـ يـخلـطـ الـجـدـ بـالـهـزـلـ، أـنـهـ بـعـدـ غـلـاءـ الـلـحـومـ يـكـنـ لـنـ مـلـ لاـ يـجـدـ الـكـيـلـوـ بـكـذاـ أـنـ يـسـتـبـدـلـهـ بـقـرـصـ "أـتـيـفـانـ"ـ بـعـشـرـةـ قـرـوـشـ مـثـلـ، أـوـ أـنـ عـلـىـ الـحـكـوـمـةـ أـنـ تـفـعـلـ الـمـهـدـيـاتـ مـعـ مـاءـ الـشـرـبـ مـثـلـ الـكـلـورـ أـخـ).

4- على الطبيب - بما يثله - أن يضع نصب عينيه المقاييس الإيجابية التي يقيس بها نتائج مهمته العلاجية، ولا يقتصر على مواصلة تخليل البول والتجسس على الدم !!.

قبل التعاطي وبعد الانقطاع لعدد طويلة، فلا يكتفى بقياساته وتقديراته أثناء التعاطي ثم حول فترة الانقطاع .

5-على الطبيب ألا يستدرج إلى مهرجانات الترهيب والتغريب الإعلامية والدينية، وأن يحذر الأطمننان لما تقوم به من تقويف فاشل لمن وقع في مستنقع الإدمان فلم يعد غيفه شئ.

أى أنه على الطبيب أن يقود الإعلام ما استطاع إلى الوجهة السليمة وهو يؤكد على ضرورة تناول الموقف من ذوره بالبحث عن ما تعنيه الظاهرة عامة، ثم ما تقوم به لكل فرد على حدة، وكيف تستفيد من كل ذلك.

6- بالنسبة لإزالة التسمم السريع، ينبغي أن يوضح الأمر لمن اختاره أن المسألة ليست غسيل دم، ولا علاج جراحي، وأنها - لمن اختارها - ينبغي ألا تكون إلا الخطوة الأولى في برنامج مtent.

7- وأخيراً، فعلى الطبيب ألا يكتفى مشاهداته الإكلينيكية منتظراً تقييمها كمياً بمنهج علمي محدد، منهاج قد يخترقها أو يشوهها، بل إن واجبه الأول أن يقدمها إلى الباحثين المنهجيين - في صورة فروض عاملة، كما يقدمها إلى التربويين والسياسيين في صورة شهادة من جوف المعمقة، ليس له حق كتمانها، ولو في صورتها الفجة.

ثانياً: الموقف"البحث علمي"

تكاد ظاهرة الإدمان - مثل الكثير من الظواهر النفسية - أن تكون غير قابلة للبحث بالطرق التقليدية، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت نتائج الأبحاث عاجزة عن الإسهام الحقيقي في مواجهة الظاهرة، لدرجة أننى أختى إلى احتمال أنها قد تخدع المهتمين بالظاهرة إذا ركزت الأبحاث على جوانب ثانوية، أو أجريت من خلال القياس مقاييس ظاهرة، لا تسبر غور الظاهرة كلها، ولا تهتم بلغتها أو معانيها أو مراميها ..

ومن أهم ما يوقتنا فيه المنهج العلمي التقليدي السائد ما يلى:

1- إننا نعتمد في الحصول على المعلومات على تقييم لفظي في أغلب الأحوال

2- إننا نهتم بالنتائج العاجلة، وأحياناً ما نرضى بها

3- إننا نهتم بالتغييرات والآثار الكمية (دون، أو لدرجة أقل من، النتائج الكيفية)

4- إننا نركز على اختفاء ظاهرة ما (أو أعراض ما) دون أن نبحث - في نفس اللحظة - عن مواكبة هذا الاختفاء تحريك أعراض وسات قد تكون أخفى وأخطر.

5- إننا نركز تركيزاً مبالغـاً فيه ونـخـنـ نـبـحـثـ عنـ أـسـبـابـ الـظـاهـرـةـ ، (الـسـبـبـيـةـ الـخـتـمـيـةـ) وـهـوـ أـمـرـ لـيـسـ هـيـنـاـ مـهـمـاـ بـداـ التـرـابـطـ ظـاهـرـاـ وـمـؤـكـداـ بـيـنـ مـتـغـيرـ وـآخـرـ ، لـأـنـهـ مـعـ التـعـقـيدـ التـكـثـيفـيـ لـلـظـاهـرـةـ الـبـشـرـيـةـ يـكـادـ يـسـتـجـيلـ فـيـ جـالـ الشـخـصـيـةـ وـاـضـطـراـبـاـ تـحـديـدـ السـبـبـ أـوـالـأـسـبـابـ الـتـيـ أـدـتـ إـلـىـ هـذـاـ الـأـخـرـافـ أوـذـاكـ السـلـوكـ ، وـكـلـ مـاـ يـعـكـسـ الإـشـارـةـ إـلـيـهـ دـوـنـ يـقـيـنـ فـيـ أـلـغـلـبـ الـأـخـيـانـ - هوـ تـزـامـنـ أـوـ تـتـابـعـ أـوـ تـرـابـطـ مـتـغـيرـينـ لـدـرـجـةـ أـوـلـأـخـرىـ .

وـحتـىـ يـقـومـ نـشـاطـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ ، فـيـ بـلـدـنـاـ هـذـاـ ، فـوقـتـنـاـ هـذـاـ ، بـعـاـ نـتـوـعـ مـنـهـ فـيـ الإـسـهـامـ فـيـ تـوـجـيهـ مـسـارـنـاـ وـمـعـالـجـةـ مـعـوبـاتـنـاـ بـالـنـسـبـةـ لـظـاهـرـةـ الإـدـمـانـ خـاصـةـ ، لـاـ بـدـ وـأـنـ نـرـاعـيـ الـاـخـتـلـافـ الـجـوـهـرـيـ بـيـنـ ظـهـورـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ فـيـ جـمـعـاتـنـاـ وـبـيـنـ ظـهـورـهـاـ فـيـ جـمـعـاتـ أـخـرىـ خـتـلـفـةـ .

وـأـشـيرـ هـنـاـ إـلـىـ بـعـضـ الـتـنـبـيـهـاتـ الـوـاجـبـ الـالـتـفـاتـ إـلـيـهاـ بـشـكـلـ أـوـ بـآخـرـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ .

1) لاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـقـتـصـرـ النـشـاطـ الـبـحـثـيـ عـلـىـ نـسـخـ الـمـنهـجـ الشـائـعـ وـالـمـتـاحـ ، بـجـرـدـ أـنـهـ عـكـمـ أـوـ مـكـنـ أـوـ مـسـتـورـدـ .

2) لاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـقـرـأـ النـتـائـجـ قـرـاءـةـ تـلـعـنـ تـرـابـطـاـ مـاـ بـيـنـ مـتـغـيرـ وـاحـدـ ، وـنـتـيـجـةـ مـدـودـةـ ، إـذـ لـابـدـ لـيـكـونـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ مـوـضـوعـيـاـ وـنـافـعاـ ، أـنـ خـسـنـ مـيـاغـةـ "جـمـلـةـ مـفـيـدـةـ" مـنـ هـذـهـ الـأـجـدـيـةـ ، وـهـذـهـ الـجـمـلـةـ الـمـفـيـدـةـ لـاـ يـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـ وـعـيـ بـشـرـىـ مـوـضـوعـيـ أـمـيـنـ مـبـدـعـ مـهـمـ .

3) إنـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ عـامـةـ ، وـفـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ خـاصـةـ يـحـتـاجـ إـلـىـ بـاحـثـيـنـ أـخـلـقـيـنـ سـيـاسـيـنـ فـيـ الـمـقـامـ الـأـوـلـ ، وـهـذـاـ لـاـ يـتـقـفـ مـعـ إـلـاشـاعـةـ شـبـهـ الـنـهـجـيـةـ الـتـيـ تـصـرـ بـشـكـلـ نـظـريـ مـثـلـىـ ضـرـورةـ حـيـادـ الـبـاحـثـ ، وـانـفـصـالـ ذـاتـهـ وـتـقـيـزـاتـهـ عـنـ مـوـضـوعـ الـبـحـثـ ، فـاـلـمـطـلـوبـ مـنـ الـبـاحـثـ هـوـ أـنـ يـكـوـنـ صـاحـبـ مـوـقـفـ يـرـصـدـ بـهـ تـقـيـزـاتـهـ وـيـجـفـفـ مـنـهـاـ ، لـاـ يـنـكـرـهـاـ أـوـ يـتـنـكـرـ لـهـاـ ، وـمـادـاـمـ هـوـ صـاحـبـ مـوـقـفـ مـعـلـنـ أـوـ خـفـيـ ، فـلـابـدـ مـنـ إـعـادـهـ لـيـكـونـ مـوـقـفـهـ فـيـ اـجـاهـ بـنـاءـ الـإـنـسـانـ وـالـتـأـكـيدـ عـلـىـ الـمـوـضـوعـيـةـ .

4) لـابـدـ إـذـنـ مـنـ تـنـشـئـةـ بـاحـثـيـنـ عـلـىـ وـعـيـ سـيـاسـيـ (بـالـمـعـنىـ الـأـشـمـلـ) ، وـبـالـتـزـامـ أـخـلـقـيـ مـجـعـلـهـمـ مـؤـرـقـيـنـ شـخـصـيـاـ إـذـ يـوـاجـهـونـ الـظـاهـرـةـ - تـقـشـفـاـ حـضـارـيـاـ - ، وـبـانـتـماءـ إـيـانـ يـسـمـحـ بـالـإـبـداـعـ وـيـجـدـدـ أـولـويـاتـ وـمـسـتـوـيـاتـ الـتـوـافـقـ جـرـكـيـةـ دـائـيـةـ .

5) مـنـ خـلـالـ مـثـلـ هـؤـلـاءـ الـبـاحـثـيـنـ يـكـنـ أـنـ تـتـلـخـقـ مـنـاهـجـ جـدـيـدةـ لـلـبـحـثـ الـعـلـمـيـ ، لـاـ تـسـتـبـعـ الـأـنـطـبـاعـاتـ الـذـائـيـةـ (أـمـهـاـ إـلـكـلـيـنيـكـيـةـ) وـلـكـنـهاـ تـضـعـهـاـ فـيـ مـوـضـعـهاـ الـمـنـاسـبـ فـيـ سـيـاقـ الـجـهـادـ الـعـرـفـ الـأـكـبـرـ ، وـيـتـمـ تـقـيـيمـ الـمـصـدـاقـيـةـ مـنـ خـلـالـ مـصـدـاقـيـةـ الـبـاحـثـ وـالـأـدـاـةـ لـيـسـ فـقـطـ فـيـ جـالـ الـبـحـثـ وـدـاخـلـ خـدـودـهـ ، وـإـنـماـ فـيـ خـتـلـ أـنـوـاعـ وـجـودـهـ الـإـنـسـانـ .

6) كـلـ ذـلـكـ سـوـفـ يـسـمـحـ لـنـاـ بـاستـلـهـاـمـ الـفـرـوـضـ الـنـابـعـةـ مـنـ الـمـارـاسـةـ إـلـكـلـيـنيـكـيـةـ ، وـمـنـ الـظـواـهرـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ ، فـرـوـضاـ تـشـكـلـ مـنـ عـقـمـ

ظروفنا شديدة الخصوصية، فلا يقتصر البحث العلمي على مجرد حاولة إعادة تقييم فروض وأردة من مجتمع آخر، له ظروف أخرى، في مرحلة تطور مختلفة.

7) كما ينبغي تقييم النتائج الجردة للأحداث بفائدها الحقيقية متى وضعت توصياتها موضع التنفيذ، مع التتبع والتتعديل من واقع الممارسة.

وإلا فما جدوى البحث العلمي أصلا؟

ثالثاً: الموقف السياسي

لا تستعمل كلمة السياسة هنا بالمعنى الشائع المتعلق بنظام حكم معين أو بنوع إدارة سلطة بداخلها، وإنما تستعمل بالمعنى الأعمق والأدق الذي يؤكّد على أن كل وجود إنسان يندرج في نظام عام له حقوق وعليه واجبات يتم تنفيذها من خلال حركة جماعيّة الناس وحوارهم، هو وجود سياسي في المقام الأول مهمًا كانت تسميتها الشائعة.

من هذا المنطلق، وبكل المسؤولية، فإن مشكلة الإدمان هي مشكلة سياسية أساساً، ولن يكون لهذه المشكلة حل حقيقي إلا بتغيير جوهري -على مستوى الوطن، وعلى مستوى العالم، تغيير يقع بشكل أو باخر تحت ما هو مسؤولية سياسية، تصب -إن آجلاً أو عاجلاً - في مسيرة تطور الإنسان مهما اختلفت التسميات.

معنى ذلك أن مهمة التصدي لمشكلة الإدمان هي مشكلة الدولة والناس كافة، قبل أن تكون مشكلة طبية أو اجتماعية، وإحالتها إلى رجال الطب، أو حتى النفس، أو متحمسي الوعظ، كل ذلك هو اختزال للمشكلة وتغافل عن حقيقة معناها.

وعلى ذلك فإن كفاءة نظام سياسي معين، قد تقاس ضمناً بمدى كفاءته في القضاء على مثل هذه الظاهرة، سواء كدليل على قوته وإحكام قبضته، أو كدليل على نجاحه في تحريك الانتفاء وتنمية المسؤولية الجماعية (والفردية ضمناً) فعلاً يومياً وناتجاً حضارياً.

أكتفي - بعد ذلك- بالتنبيه على ما أوحته لي انطباعاتي الإكلينيكية السالفة الذكر في هذا الموقف الأشمل على الوجه التالي:

1- على الموقف السياسي أن يقود، مستلهما كل المواقف الأخرى (الطبية، والبحث علمية، والدينية... إلخ آخر).

2- تتوقف تفاصيل مهمة القيادة السياسية في هذه الحرب الحضارية والتطورية على متغيرات كثيرة، ليس هذا مجال شرحها هنا، ولكنها تأخذ في الاعتبار سلطة الحكم، ودرجة النضج، وقبضة القانون، مما مختلف من بلد لبلد، ومن مرحلة إلى مرحلة.

3- لا أترك هذه النقطة دون أن أذكر أن العمل السياسي، إذا كان له أن يكون مسؤولية حضارية - هو ليس من

اختصاص السلطة دون الناس، وكل نظام له شكل خاص في التأكيد على وسائل وأشكال تنظيم هذه الحركة بين السلطة والناس، وطبيعة التمثيل بينهما، وكل ذلك هو الذي يعطي معنى لما أسميته العمل السياسي في هذا المقام.

رابعاً: الموقف الديني

لابد أن نفرق ابتداء بين الاستخدام السطحي للدين وبين الدين الحقيقي الذي يعشى على أرجل عبادات، وخلقاً، ومعاملات، وجهاداً داخلياً وخارجياً في حوار متصل، في ظل ممارسة طبيعية ليس لها سقف، وجهاد أكبر ليس له نهاية، يعنى أنه لابد أن نفرق بين استعمال اللغة الدينية، وبين اتباع التعليمات الدينية، ثم سلوك سبيل الإيمانية، ففى الحالة الأولى تكثر الأصوات وتقل الممارسة، وفي الحالة الثانية تزيد الممارسة وتتصبح خيراً طيباً فاعلاً نافعاً ومحركاً، وفي الحالة الثالثة يتواصل الإبداع "إليه" دون توقف.

على أن هذه التفرقة ليست تفضيلاً لأحد الجوانب، لكنها دعوة لتكامل الصورة السلوكية والتنظيمية العباداتية، مع الموقف الإيماني الحيوي الأعمق في دوره الإبداعي الخلاق.

أهمية هذا التوضيح هو التأكيد على الاستفادة مما هو دين وتدين وإيمان على مستويات متعددة، حرصاً على النفع الحقيقي من كل ما هو دين حقيقي، وإيمان حركي متصل.

ذلك يحسن التنبيه على أن المدن بوجه خاص لا يستجيب للإفراط في الحديث باللغة الدينية المباشرة، بقدر ما يمكن أن يقتدى بسلوك ظاهر يُحثّن بشكل غير مباشر.

ذلك فقد تشيع صورة تسكينية للدين رعاً تأتي بنتيجة عاجلة حسنة الشكل، ولكن ينبغي النظر فيحقيقة مدى فاعليتها، وطول بقائهما، إذا ما تذكرنا مستويات حاجات من يلتجأ إلى الإدمان وهو يبحث عن تغيير في الوعي وتحريك له وليس مجرد تسكين، كما أنه أيضاً يبحث عن المعنى، وعن الامتداد، وعن الحق بما يشبه الثورة في البداية، وكل هذه القيم يمكن أن يحصل عليها من جهاد إيمان حقيقي يقلب وجوده الجاف المنقطع (كجسم الغريب في الكون) إلى وجود نام متداً في التناسق الكوني والمعنى الحقيقي.

إن تنمية الجانب الإبداعي فيما هو إيمان، هو أمر جوهري وأساسي، ليس في مقاومة ظاهرة الإدمان فحسب، وإنما في المسار الحضاري والتطورى بشكل عام.

وفي حدود ممارستي الإكلينيكية السالفتين الذكر أشير إلى أن حضور معالج نشط (في العلاج النفسي مثلاً) بشكل حركي قادر، يجعل أن يصل الحاضر بالتوجه الآني إلى ما بعد حدود الإنسان الفرد، فيما يتعلق بالإيمان بالغيب بوجه خاص، هذا الحضور له أثر لا يمكن التقليل منه في عرض بدائل صحبة حقيقة تملأ وعلى الآخر بالمعنى والامتداد والتناسق معاً، إذ لا يكتفى بالتسكين والتحميس والوعود فحسب.

هذه الممارسة الأعمق للجهاد هي متصلة بالخرج المقترن لهذا المأزق التطورى، الذى أحد مظاهره مشكلة الإدمان.

إذن ماذا؟

1- ينبغي أن نتذكر حكاية أن الدين خدر للشعوب، وأن لها أملًا ناتجًا من سوء استعمالنا للدين بمعنى التسكين والتطمين السطحي من جهة، ثم القمع والخد دون الإبداع ودون حرکية الوعي من جهة أخرى، ومع ذلك يمكن أن يكون لها معنى آخر بمعنى أنه يمكن أن يجعل الدين بشكل أو بأخر محل المخدرات كمرحلة بادئة، شرط أن يبدأ يبدأ التحرك منه: جهاداً وسعياً إلى الوعي الفائق المرادف لحرکية الإيمان "عوداً إلى الأصل".

2- إن كثيراً من القيم الدينية الإيجابية يمكن أن تجد ما يقابلها في برامج التأهيل المتمدن.

3- إن تحرير الوعي بالسعى الإيمان قد يعـد بتغير إبداعي يحقق نقلات وجدل بين مستويات الوعي نحو الوعي الفائق بما يغنى عن الحاجة إلى هذه التشكيـلات الكيـماـوية الخـطـرة.

4- إن ممارسة التأهيل مع مدمـنـين من أديـانـ مختلفـةـ يتوجهـونـ إلىـ نفسـ الـوـجهـ يـعـنـىـ أنـ يـكـونـ جـمـالـاـ -ـ وـلـوـ لـاشـعـورـيـاـ لـمارـسـةـ الجـدـلـ الحـقـيقـىـ بـيـنـ النـاسـ المـخـلـفـينـ،ـ بـدـيـلاـ عـنـ مـزـاعـ المـحـارـ السـطـحـيـ المـزـعـومـ بـيـنـ الـأـدـيـانـ.

الخلاصة والخرج والنمو والإيقاع الحيوي

فيما يلى أعرض نتيجة ماوصلنا إليه، وقد تخلق منه نوع من التصور الفرضي النابع من الواقع الإكلينيكي للخروج من هذا المأزق على الوجه التالي:

إما أن نستسلم وحن نعلن أن ظاهرة الإدمان بما وصلت إليه من هذا العنف التدميري تعلن نهاية مرحلة بيولوجية في تاريخ الجنس كأحد مظاهر التمادي في الاستغراق في مقومات انتحار البشرية، مع تذكر أن ثمة ظواهر أخرى أخطر وأقدر على فناء الجنس (مثل الحروب، وتغير المناخ، وتلوث البيئة)، ومع ذلك، فهي مازالت في متناول إيجابيات الإنسان وفي حدود سيطرة قدراته حتى اللحظة الراهنة.

وإما أن نعتبر أنها نذير يعلن خطأ في المسار يطلق صيحته بهدف التنبيه إلى ضرورة احترام حاجات الإنسان غير المشبعة (السابق الإشارة إلى بعضها مما ظهر في الممارسة الإكلينيكية) وبالتالي فإن هذا النذير يدعونا إلى محاولة إشاعتها بوسائل أكثر إيجابية وأقدر استمراراً.

وهذا هو الأرجح، وهو ما أفضله وأقرأه على الوجه التالي:

1- إن الإنسان في مرحلته الحالية - أكثر من أى وقت مضى - قد ملك أدوات معرفة أكثر فأكثر: معرفة نفسه وخارجه على حد سواء، فأصبح مهدداً مجرعة من الوعي لم يتهم لها بقدرات تستطيع استيعابها في حركة إبداعية مناسبة.

2- فإذا أضفنا إلى مساحة الرؤية ومداها أن تحتوى الرؤية أصبح زاخرا بكل ما هو باهر وخطير، من حيث القدرة على التنبيه بمصائب قادمة، وتدورات محتملة، وعلاقات مضروبة، وحيوات مهدرة.

3- ثم بعد ذلك أضفنا عجز الميكانيزمات النفسية العادبة (الحيل النفسية) عن إغلاق نوافذ هذا الوعي المنتشر للتحفيظ من واقعية موضوعية (ورغم حتمية) تلك الأخطار الزاحفة،

4- إذا أضفنا كل هذا إلى بعضه البعض لأمكن إدراك معنى لجوء الإنسان المعاصر إلى هذا التماذى في الإفراط في استعمال التخدير الكيميائى، سواء تخت عنوان ظاهرة فرط التطبيب النفسي، أو تخت عنوان ظاهرة الإدمان.

وكان هذا المدخل يلزمـنا بإعادة النظر في أصل الظاهرتين معا، رغم اختلاف درجة المخاطر، ومدى التدمير:

أ) ثمة محاولة طبيعـية خـطـرة تـروـج للـتـماـذـى فـي الإـفـراـطـ فى التـداـوى بالـعـقـاقـيرـ، مـعـظمـ الـوقـتـ أوـ طـولـ الـوقـتـ، توـاكـبـهاـ وتـواـزـيهـاـ مـحاـولـةـ تـخـدـيرـ ذاتـىـ متـزاـيدـ حقـىـ يـصـلـ إـلـىـ نـهاـيـةـ إـدـمـانـيـةـ مـدـمـرـةـ. وكـلاـ منـ اـخـاـولـتـينـ تـسـعـىـ إـلـىـ التـقـليلـ مـنـ حـدـةـ الـوعـىـ الـمـلـاـحـقـ بـالـرـؤـيـةـ المتـزاـيدـةـ:ـ فـيـ مـدـاـهاـ وـعـتوـاـهـ جـيـعاـ.

ب) إذا خـنـ سـلـمـناـ بـذـكـرـ، كـانـ لـزـاماـ عـلـيـنـاـ - اـبـتـاءـ - أـنـ نـسـعـىـ إـلـىـ القـيـوـلـ بـالـأـمـرـ الـوـاقـعـ فـيـ مـحـاـولـةـ الـاعـتـارـافـ الـبـيـئـىـ بـفـرـورـةـ ضـيـبـ جـرـعـةـ بـالـتـخـدـيرـ وـلـوـ بـلـغـ الإـدـمـانـ بـشـكـلـ أـوـ بـآـخـرـ. بماـ أـنـ هـذـاـ الـاعـتـارـافـ يـبـدـوـ فـدـ طـبـيـعـةـ الـأـشـيـاءـ، وـضـدـ حـلـمـ الـإـنـسـانـ بـاـضـطـرـادـ النـمـوـ وـالـتـماـذـىـ فـيـ تـعـمـيقـ الـوعـىـ، فـلـاـ بـدـ مـنـ التـسـلـيمـ بـأـنـ هـذـاـ الـاعـتـارـافـ هـوـ مـرـحلـىـ بـالـفـرـورـةـ.

جـ) ذـلـكـ أـنـ هـذـاـ الـاعـتـارـافـ لـيـسـ سـوـيـ خطـوةـ تـكـتـيـكـيـةـ فـيـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ مـتـدـةـ، حـيـثـ أـنـ التـسـلـيمـ بـفـرـورـةـ الـخـدـ منـ الرـؤـيـةـ بـمـاـ يـعـنـيـ فـرـورـةـ التـخـدـيرـ لـاـ يـعـنـيـ الـاعـتـارـافـ بـاسـتـعـمالـ موـادـ كـيـمـيـائـيـةـ بـقـدرـ ماـ يـدـعـوـ إـلـىـ الـبـحـثـ عـنـ وـسـائـلـ تـسـمـحـ بـتـنـاسـبـ الـقـدـرـةـ مـعـ الـرـؤـيـةـ فـيـ مـرـاحـلـ النـمـوـ الـمـخـلـفـةـ.

دـ) إنـ هـذـاـ يـسـتـلزمـ أـنـ نـنـظـرـ إـلـىـ نـمـوـ الـإـنـسـانـ مـنـ مـنـظـورـ الإـيقـاعـ الـحـيـويـ، لـنـدـرـكـ أـنـ نـمـوـ الـإـنـسـانـ لـاـ يـسـرـ فـيـ شـكـلـ خـطـىـ مـسـلـسـلـ، وـإـنـاـ يـتـمـ تـطـورـهـ فـيـ جـدـلـ إـبـقـاعـيـ مـتـنـاوـبـ تـنـاوـبـ الـلـيلـ وـالـنـهـارـ، تـنـاوـبـ النـوـمـ وـالـبـيـقـظـةـ، وـتـنـاوـبـ الـحـلـمـ وـالـنـوـمـ غـيرـ الـحـلـمـ، وـضـيـبـ جـرـعـةـ الرـؤـيـةـ مـعـ كـفـاءـةـ الـقـدـرـةـ لـاـ بـدـ أـنـ يـسـرـ بـنـفـسـ الإـيقـاعـ. فـيـذـاـ كـانـ الـإـنـسـانـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ تـخـدـيرـ مـؤـقتـ مـنـاسـبـ، بـالـطـرـقـ الـطـبـيـعـيـ، فـيـ مـرـحلـةـ بـذـاهـنـهاـ (ـمـرـحلـةـ تـحـصـيلـ الـمـعـلـومـاتـ وـتـرـتـيبـهـاـ)، فـهـوـ فـيـ حـاجـةـ فـيـ مـرـحلـةـ أـخـرىـ إـلـىـ تـحرـيـكـ مـوـجـهـ مـنـ خـلـالـ إـطـلـاقـ قـدـرـتـهـ الـإـبـدـاعـيـةـ لـاستـيعـابـ جـرـعـاتـ مـتـزاـيدـةـ مـنـ الرـؤـيـةـ وـالـبـعـثـ (ـوـهـذـهـ هـىـ مـرـحلـةـ الـبـسـطـ الـمـتـنـاوـبـةـ مـعـ مـرـحلـةـ التـحـصـيلـ)، بـتـمـثـلـ الـبـسـطـ الـإـبـدـاعـيـ فـيـ تـحرـيـكـ الـوعـىـ فـيـ تـوـجـهـ هـادـفـ مـسـئـولـ، بـحاـولـ تـنـظـيمـ الـمـعـلـومـاتـ الـتـىـ حـصـلـ عـلـيـهـاـ

الوجود البشري أثناء ما أسميناه بالتخدير الجيد المهدئ، وهذا ما يقابل تحريك الوعي الذي قد يلجم إلـيـه المـدـمـنـ بشـكـلـ أو بـآخـرـ رـقـحـاماـ وـافـتـعـالـ، فـيـذـاـ هوـ تـحـقـقـ بـانـتـظـامـ الإـيقـاعـ الـبـيـوـيـ، معـ الـاسـتـعـداـدـ لـهـ بـتـنـمـيـةـ قـدـرـاتـ الإـبـدـاعـ حتـىـ يـكـنـ أنـ تـسـتـوـعـ الـجـرـعـاتـ الـمـتـزـايـدـةـ مـنـ نـارـؤـيـةـ وـالـمـواـجهـةـ، إـذـاـ تمـ هـذـاـ وـذـاكـ فـيـانـ الـإـنـسـانـ لـاـجـتـاجـ إـلـىـ أـىـ تـعـيـمـ أـوـ تـحـرـيكـ بـوسـائـلـ صـنـاعـيـةـ (ـطـبـيـةـ أـوـ عـشـوـائـيـةـ)ـ خـطـرـةـ.

وقفة وعود:

بعد هذه المقدمة التي طالت إلى خمس نشرات، نرجو أن تناج لنا فرصة تقديم معلومات وتوصيات وتوجيهات وقائية عملية، بقدر ما سوف نعرض لها من حالات محددة، كل ذلك مرتبط بثقافتنا أكثر فأكثر.

الأـدـمـانـ 2008-04-20

233- عن القيـمـ المـسـؤـلـةـ عن تـروـيجـ الإـدـمـانـ

قبل مـوـضـوـعـ الـيـومـ

بعد أن وصلتني احتجاجات غير قليلة تعترض على احتمال توقف هذه النشرة اليومية لحساب أولوية إتمام ما يجب على إتمامه، وكانت فعلاً أعد العدة لإصدار ثلاثة كتب عن الإدمان (ثقافة الإدمان، والوقاية منه، وعلاجه) فبدأت في مراجعة مسوداتي، ناوياً أن أوظف النشرة - باختصار شديد - للإشارة إلى ما أقوم بتحديثه حالاً، وأغلبه في الموقع فعلاً يمكن أن يلغاً إليه من يهمه الأمر.

أثناء مراجعتي مسودة كتاب الإدمان الأول، وجدت ما يصلح لنشرة اليوم لمبادئ التجربة، قلت: هل يمكن أن يتم ذلك، شريطة أن تقتصر النشرة بطبعتها، وتكون وظيفتها الأهم هي أن تفتح أبواب الحوار كما تعودنا؟

هل يكون في ذلك حل جزئي لأغلب الأيام فيما عدا "يوم حفظ"، "حوار الجمعة"، و"التدريب عن بعد"؟

ليس أمامنا إلا أن نخرج

القيم الجديدة في عصر الإدمان

فيما يلى عرض محدود، لقيم من عندنا، ومن عند غيرنا، يمكن أن تساهم في بدء أو دعم أو تكريس ظاهرة الإدمان بكل سلبياتها ومفاسعاتها.

اختلاف القيم المسئولة من ثقافة إلى ثقافة برغم توحد الظاهرة ، يبدو لي من أهم ما أريده توصيله عبر هذه النشرة : اليوم :

أولاً: من عندنا !!

(1) مثال من التربية والتعليم

قيمتا: الاستسهـالـ والمـباـشرـةـ

أتبع عادة ما يجري كل عام، قبيل وأثناء امتحانات الشهادات العامة، مما يثار -مثلاً- حول صعوبة أسئلة

الثانوية العامة في هذه المادة أو تلك، وأروج أتابع عناوين الصحف المختلفة، مثل "عذاب الثانوية العامة"، أو "اللامعقول في مسألة الثانوية العامة"، ثم "هدوء ما بعد الثانوية العامة" إلى آخر هذه العناوين الدالة الخطيرة، هذا فضلاً عن صور البيانات المتشنجات، والأمهات النائجات، والوزير المعترض (أو يكاد) وغير ذلك كثير وهو مزعج يغطيظ، فأباع للغيب أن يغمق خاصة وأننا لاحظ مباراة حامية بين صحف المعارضة وصحف الحكومة في التباكي بالوقوف جوار الطلبة المساكين والأشفاق على الأهالي "الغلابة"!!.

نعم امتلى غيظاً مما يدفعني للربط بين هذه الظاهرة (المراخ من صعوبة الامتحانات، ومن أي صعوبة) وبين ظاهرة الإدمان التي استشرت وتزايد كل يوم.

قيل وكيف كان ذلك؟

فأقول:

إننا نردد - ربما محسن نية - لقيم ومفاهيم لا تتفق مع مرحلة تحضرنا الحال، ولا هي تناسب إمكانياتنا المادية، ثم هي تمثل من وجهة نظرى بعض الأرضية التي تترعرع فيها ظاهرة الإدمان.

كثير من هذه القيم والمفاهيم يقع في مجال التربية، وبعضها يقع في مجال السياسة، ومنها ما يقع في مجال الطب وأحياناً الاقتصاد أو القانون.

فمن مجال التربية دعونا ننظر في قيمتين في تزايد مستمر وهما بعض ما تذكرنا به حكايات موسم امتحانات الثانوية العامة إن ما يحدث هكذا، إنما هو إعلان أننا إنما نردد لهاتين القيمتين الأساسيتين:

(1) الاستسهال

(2) وال مباشرة

أما عن الاستسهال، فمثلاً:

لقد عودنا أبناءنا - فتعودنا معهم - أن الامتحانات ينبغي أن تكون سهلة، حتى يصبح تقدير 100% هو من حق الطالب النجيب (وغير النجيب إذا أمكن !!!)، وهذا مبدأ خاطئ تربويًا من أساسه، فحق أبلغ النباء لابد أن يتعلم ما هو الممكن، وما هي نسبة الخطأ الفضولية في أي أداء مهما بلغت درجته، وما هو الخطأ الختم، وما هو الخطأ بالصدفة، وما هو الخطأ بالإهمال، وكل هذا من قوانين الحياة الطبيعية قبل أن تكون من مبادئ التربية السليمة.

أما غير ذلك فهو دعوة ضمنية للنشئة أولادنا على استهالة الخطأ، وعلى تقديس الحلم، وعلى لوم الآخرين، وفي كل هذا ما فيه من استسهال ظاهر

وأما عن المباشرة:

فقد دأبنا على أن يكون الامتحان لقياس كم المعلومات الخشورة في خزن الذاكرة، وليس لقياس القدرة على التصرف إزاء المشكلات، يحدث ذلك حتى في امتحان اللغات، فأصبحت الرواية المقررة - في الثانوية العامة مثلاً - هي بثابة النصوص، تحفظ وتسكب على الورق، ولم تعد رواية تقرأ قراءة نقديّة، تسمح بالتلقي المتعدد، وإعادة الصياغة من واقع الموارد.

فلماذا هي رواية وليس تاريخاً يستعاد، أو نصاً يحفظ إذن؟

وحتى مواضيع الإنشاء أصبحت (في الفرنسيّة مثلاً) تحفظ عن ظهر قلب، وكم كنت أعجب لبعض الطلبة الذين التحقوا بكلية الطب وهم لا يعرفون نطق جملة واحدة بفرنسيّة سليمة - ناهيك عن الإنجليزية بل والعربية - وهم يخربون أنفسهم حصلوا على 30 على 30 في الفرنسيّة (تقدير أشك أن مسيو ساركوزي شخصياً يمكن أن يجعل عليه)

ولكن ما علاقة هذا وذاك بتعاطي المخدرات؟

إذا نظرنا في الأمر بأمانة متأنية ولعلنا نلاحظ أن تعاطي المخدرات يمكن أن يكون أحياناً تجسيداً لصورة مبالغة لهاتين القيميتين الاستسهـالـةـ، والمباشرـةـ

فما أسهل الحصول على اللذة الحسية من تغييب الوعي بالكيمياـءـ.

كما لا يوجد طريق أكثر مباشرة للتخلص من الألم والوحدة مثل طريق تعطيم الوعي وتتنوّع مراكز المواجهة واليقظة.

إذن فتعاطي المخدرات ليس ظاهرة من فراغ، وهو ليس مجرد سوء خلق، أو وفرة مادة، وإنما هو - أيضاً - تجسيد مرضي لقيم سائدة نغذيها دون أن ندري.

(2) مثال من السياسة

قيمتـاـ: الإـهـمـاعـ وـالـتـعـمـيمـ

في السياسة، عودنا الحكم الشمول المتمدد بتشكيّاته المختلفة، كما أضافت الأخلاق القبلية، أن نعلى من قيمة الإهـمـاعـ، وأن نخـرـمـ النـسـبـ الشـدـيدـ الـاـرـتـفـاعـ فـيـ نـجـاحـ المرـشـحـ الفائزـ فـيـ أيـ مـنـ الـاـنـتـخـابـاتـ، وهذا يـثـلـ قـيـمةـ المـبـالـغـةـ،

مع أن السياسي الخصيف في البلد الديقراطي العريق لا بد أن يتجه إذا حصل هو أو حزبه على نسبة تفوق الستين في المائة (مثلاً)

والمجامعة العربية نفسها راحت تتبين مؤخراً أنها لا ينبغي أن تفخر بمسألة الإهـمـاعـ تلك التي ظلت تصر عليها منذ أكثر أربعين سنة.

يرتبط بهذه المبالغة قيمة التعميم، فنحن لا نستطيع أن نتحمل منظر الكسور، أو موضوعية النسبية، ومن ثم يتعاطم مبدأ: الكل أو لا شيء

علاقة تعاطي المخدرات يمكن أن تكون كما يلى:

يؤكد تعاطي المخدرات أن وعيينا قد تعود - صغاراً وكباراً - على هذه الصورة المطلقة من التأكيد المطلق، والجسم النهائي، تعود على منطق: إما ... أو، على رؤية الأسود أو الأبيض، بلا ظلال وسطي، ولاتداخل، فنشاً وعيينا في مأزق، فإما إفادة مؤللة تفرض علينا رؤية مزعجة لكل الأمور كما هي - تقريباً - وهي رؤية شديدة الإيلام لأنها شديدة الوضوح، (إلا - إذا لم يختتم، وفن لا يختتم)، فهو فالنوم الزوام (= غيبوبة التخدير).

الشاب يجد نفسه - خاصة عند الضيق غير المفترس - يجد نفسه أمام وسيلة كيميائية تحقق له مثل ذلك اليقين على أحد الجانبين، فتعاطي خدر ما هو إلا وسيلة سريعة ومطلقة أحياناً:

للقضاء على اختلافات الغموض أو لتجنب ألم المواجهة، وليرتتب على ذلك ما يتربى بعد ذلك..

(3) مثال من الطب

قيمتا: المكنة والتسكن

في مجال الطب، والطب النفسي خاصة، دعونا ننظر ماذا جرى: حل الطب الآلاتي، والتكنولوجى، والتسكيني، محل فن التعصيب وفن التطبيب وفن الألم عامه، وأصبح المريض يأتى إلى الطبيب ليتاج، لا لي تعالج، وكثيراً ما طلب من بعض مرضى الذين يصررون على أن يعلمونه مهنته، حين يوجهون إلى اللوم والتقرير قائلين: إنت مفروض ترجينا يا دكتور، كثيراً ما أطلب منهم أن يعيدوا قراءة اللافتة على الباب أو على الروشتة ليتأكدوا أن اللقب الذي يسبق إسمى هو الطبيب فلان وليس "المريجاتى"، وبالتالي فإن وظيفتى هي العلاج وليس الترييج فحسب.

والأطباء عامه، وخاصة في العالم المتقدم حيث القانون يلأحهم - يقعنون فريسة عملية غسيل مخ منتظم من قبل شركات الأدوية، وشركات أدوات الفحص المعقده، بفضل الدعاية المفرطة من ناحية، والخوف من الخطأ من ناحية أخرى. حتى ينتهي الحال في التطبيق النفسي - مثلاً - إلى أن يكون غاية المراد هو أن تظل تلك الإشراقة الغامضة (الأقرب للبلهة) على وجه المريض مثلاً بدت على وجه المسناء التي تعاطت هذا الدواء أوذاك والمرسومة على غلاف إحدى المجلات "العلمية".

وعلى ذلك أصبحت ممارسة الطب هي أن يجمى الطبيب نفسه بعمل أكبر قدر من الأجراث التي لا لزوم لها، ثم إعطاء أكبر قدر من السعادة الكيميائية حتى يتحقق الابتسام بعد العبوس ودمتم.

نعم علمونا وعلموا مرضانا (وغير مرضانا) أن هذا الوجه الباسم هو غاية المراد من رب العباد، وعلى ذلك فالغرض من التداوى لا بد وأن يكون هو الحصول على موفور الصحة بأن حقق للمربيض "نوما في العسل"، وعسل العصر الحديث هو حبوب كذا، وكيمياً كيت.

هكذا ينقلب مفهوم الإنسان، بفضل الطب الحديث، إلى ماكينة ينقمها زيت كذا، وشحم كيت، وتلميع بالطريقة الفلانية، وتوجيهه بالعقار العلّان، وكلها كيمياً في كيمياً.

فما علاقة ذلك بظاهرة الإدمان؟

إن هذه الصورة للطلب التسكياني، الميكي، ليست سوى الوجه الطلي لظاهرة المخدرات، حتى أن كثيراً من الأجياث الأمينة أظهرت أن نسبة من المتعاطين للمخدرات إنما يفعلون ذلك كوسيلة من وسائل العلاج الذاتي، حتى أن انتقاء المتعاطي لنوع بذاته من المخدر قد يرتبط بنوع الاضطراب النفسي الذي يعانيه بشكل أو باخر، إشعاعي الطبيب؟ وهل يفعل الطبيب غير ذلك؟ وأسأله مجرّب، (وهذا بعض ما يسمى بـ فرض "التداوى الذاتي")

ثانياً: أمثلة من "هناك"

لكن ثمة رد على كل هذه الأمثلة الخلية يقول:

عندك، إن مجتمعات ليست فيها هذه الصفات أصلاً تعاني من نفس الظاهرة: الإدمان،

فالمجتمع الغربي (الأمريكي . . . الخ) أو الشرق أقصى (اليابان . . . الخ) عامة أو الشمالي السوفييتي وتوابعه قد يعا وحديث، وما ينافسه حالاً ومستقبلاً لا تعاني من الاستهان، بل يستغرق الواحد منهم في عمله وواجبه كما ينبغي طول الوقت، وهي مجتمعات لا تعرف المباشرة بالمعنى السطحي السهل، فكل شيء بالحساب الممتد وحساب الجدوى، وهي أيضاً مجتمعات تعلم كيف تحمل الغموض، ولا تسير على مبدأ: الكل أو لا شيء كما هو الحال لدينا غالباً، وهي تعتبر الفائز في الانتخابات عندهم بسبعين وخمسين في المائة (مثلاً) قد انتصر انتصاراً ساحقاً، وكل هذا خلاف ما ذكرت عندنا، صحيح أننا نتبعهم في تقدير قيم صاروها إلينا مثل قيمة "مجتمع الرفاهية" وارتباطه واضح بقيمة التسكيين والميكنة . . . مثلاً، إلا أن الاختلافات الواسعة السالفة الذكر خاصة في القيم الأربع الأولى: الاستهان، وال المباشرة، الاهتمام، والتعظيم، تحتاج منها إلى تساءل عن القيم التي تسود عندهم، فتتجذر ظاهرة الإدمان بشكل مختلف، مع أن النتيجة واحدة

وفي ذلك نقول:

إن توادر الظاهرة هنا وهناك بنسب متزايدة معاً لا يعني بالضرورة توحد الأسباب، ولا وحدة المسار، ولا تشابه المضاعفات. وهذا ما يجعلنا نحذر ونخن نستورد التفسيرات ومناهج البحث.

فإذا كنا نتفق معهم في الخضوع للقيم الجديدة مثل التسكين، والملائكة، وإذا كنا نتفق معهم في الخضوع لتأثير المافيا، والتعرض للتلوث الوعي بوسائل الإعلان والاغتراب، فإن كل هذا قد يفسر جانباً واحداً من الاتفاق معهم في توادر حدوث ظاهرة الإدمان، ثم يبقى علينا بعد ذلك البحث عن قيم سلبية مسؤولة عن ظهور الظاهرة عندهم مقابل القيم السلبية التي عندنا.

هذه المحاولة الآن ليست وظيفتها البحث فيما عندهم من سلبيات، بل هي تتركز بالضرورة على مصيبتنا الخاصة، ومع ذلك فسوف أعدد بعض ما عندهم مقابل - مجرد تعداد لإظهار اختلاف المنبع رغم توحد المصب.

1- قيمة الغرور البشري وتقدير الإنسان:

في مقابل الاستهانة، وال مباشرة عندنا...نجد قيمة الغرور البشري عندهم قد وصلت إلى تقدير الإنسان دون سواه، فالإنسان لديهم ملك نفسه قادر على كل شيء، له الحق في إنهاء حياته (بالانتحار) أو تشويهها (بالغيبوبة). وليس عندنا كل هذا الفخر بكل هذا الدمار.

2- قيمة فرط التأمين وفرط الحسابات:

في مقابل المبالغة والتعظيم عندنا، نرى الواحد منهم يفترط في حساب كل شيء حتى تقاد تختفي الصدفة من حياته، كما تجده يكاد يفقد توازنه حتى يصبح بلاحدود ولا كيان إذا فلت منه حسبة ما، إذ لا يسعه -بسهولة- إيمان بغير أو تسليم للقدر، وبما أن حسابات البشر هي حسابات البشر، وكم تفلت بلا ميرر (كارثة مفعال نووي أو زلزال أو إعصار)، فإنه يشعر أنه يحتاج إلى ما يعلم به وعيه خشية المفاجأة، وهات يا تحذير.

3- قيمة سعار الاستهلاك:

لا تقتصر قيمة الاستهلاك على هذه المجتمعات إلا باعتبارها قادرة على الاستهلاك لارتفاع مستوى المعيشة، بل إن هذه المجتمعات الأكثر ثراء وإنتاجاً تصدر إلينا هذه القيمة ضمن ما تصدر ما نستهلكه، لأنها تستعملنا كأسواق وأدوات من مصلحتها زيادة قدرة أفرادها على الاستهلاك

علاقة هذه القيمة بالإدمان علاقة غير مباشرة، لأن كلاً من الاستهلاك للإدمان، وتغيير الوعي (الإدمان)، يعلنان حركة زائفه للحياة بشكل أو بآخر، وكما أن الاستهلاك يزيد من الرغبة في الاستهلاك، كذلك الإدمان يغذي سعار الحاجة إليه مزيداً من السعي لتعاطيه.

وهكذا نرى أنه: تعدد الأسباب والذر واحد

ولا أتمادي في تعداد الفروق ولكنني أكرر ضرورة التأكيد عليها، لأنه يتربّى على ذلك تحذير لا حق يقول:

إنه يتبع علينا أن نعلن من موقع مسؤوليتنا أننا في جال حرب الإدمان هذه، قد نشرك معهم في ميادين بذاتها (مثل محاربة المافيا، ومنع التهريب)، ولكننا يتبع أن ننتبه إلى ضرورة أن تختلف معهم تماماً في ميادين أخرى مثل الوعي بالقيم السلبية وراء الظاهرة، وحاولة تطويرها أو إبداليها ... أخ، ولا تتوقف ضرورة الوعي بالقيم على القيم السلبية دون غيرها، وإنما يمتد إلى كل القيم. فإذا قيل مثلاً أنه بـالأخلاق يمكن أن تغلب على الإدمان، وقفنا عند مفهوم الإخلاص عندهم ومفهومه عندنا فقد يكون من الإخلاص عندنا أن نسهل مهمة المتعاطي ونستتر عليه (مثلاً أصبحت الشهامة أن نسهل الغش لأبنائنا في الامتحانات/ من باب الجدعة)

وإذا قيل عندنا أنه بالعودة للدين والإيمان قد يستغنى المدمن عن حاجته إلى تغييب الوعي، فإنه يتبع علينا أن نفرق بين الدين عند من يتدين منهم من قد يهمه الأمر أحياناً، حيث تغلب على قيمة الدين عندهم منظومات اجتماعية اختيارية بعض الوقت، وبعض نشاط نهاية الأسبوع، ودعوات صالحة على الطعام ... أخ، (وذلك قبل بزوغ دور الدين الأصولي في السياسة)، هذا مختلف تماماً عن أغلب أشكال الدعوة للدين عندنا، وهي التي تزاوج ما بين الترويج للنفس المطمئنة بالمعنى السكونى بما يشمل تعزيق التسلیم دون جهاد ذاتي متصل حلاً للأمانة، وما بين الكذب إلى وجه الله، وتعزيق الإيمان بالغيب المبدع الخلاق.

المهم أن الدين قيمة لدينا ليس هو هو مفهوم الدين كما يعرفه الغرب.
وقس على ذلك.

تعددت القيم وتجلياتها، والسلبيات المحتملة قائمة على امتداد اغتراب البشر.

من هنا وجب التحذير في مواجهتنا للمشكلة وعلاجها، حتى لا نقتصر على مجرد الترجمة، أو نقل الخبرة كما هي، أو الاكتفاء بالعناوين دون النظر فيما تحتها، أو الأخذ بالأرقام إذا تشبهت.

ولهذا كله حديث آخر.

ملحق النشرة

حتى لا تكون المسألة مجرد مقتطف من كتاب، ولتظل النشرة محفوظة بطبعها، فكرت في آخر لحظة أن أخلق بنشرة اليوم هذا الملحق بأقل قدر من التعليق، حتى تظل محفوظة بغلبة الفكر الإكلينيكي من واقع مارستنا الثقافية الخاصة

ولنعتبر ذلك ضمن ما جرب في مرحلة الانتقال هذه

مقططفات من "نص" بشري مدنـ:

بعض ما ي قوله الإدمان

هو شاب في الخامسة والعشرين، مازال طالباً بجامعة،
يتعاطى كل شيء من مدة طويلة،
 مجرد عينات من نص طويل جداً
من كلام الأم:

هو ما عندوش أى نشاط في حياته،
مالوش أصحاب وما يخرجش غير علشان جيب حدرات وبس إخ
من كلام الأم:

- كنت أقعد أقول له "عشان خاطري" - يقول لي إذا كنت
مش قادر أبطل "عشان نفسى" ها أبطل عشان خاطرك؟ سيبنى أنا
ما أعرفش أعمل حاجه غير وأنا ضارب
القراءة :

نتعامل مع مشكلة المخدرات، كمصدر للمعرفة، ليس فقط عن
المخدرات، لنسرر غورها، ونتعرف على أسبابها، ونتقي شرها،
ونعالج ضحاياها، كل هذا وارد بشكل ما، وهو إثراء
للتعرف على الإنسان ، ندعوك لقراءة المقتطف السابق لتقوم
أنت بالتعليق.

من كلام الشاب

- دلوقت النشاط الوحيد اللي بأعمله في حياته إن
أخذ مخدرات،
- أنا مشكلتي الكبيرة هي مشكلة كل المدنين شخصية
اعتمادية ، دايماً مستنسن حاجة من بره
- حاسس إن التغيير هاجي من بره مش من جوه ،
..... وده مش هاجصل ،
- عارف إن مافيش حاجه تخليق أبطل من بره ، تفكيري
سلبي.
- الواحد كان بيغوض العلاقات الإنسانية بالمخدرات،
المخدرات مش ها ترفضني أنا المتحكم في الموضوع، مش حمل بقى
أروح لواحد مثلًا يرفضني ،
- الواحد مش مستحمل ها يروح يدور على ناس تجرح
فيه، الواحد مجرور لوحده، المخدرات عمرها ما تقول لأ،
- على قد ما بأكراه وحدتى باحس إنها أحسن من قعدتى
مع ناس تخنق في.
- المخدرات الواحد يضرها ما يقولش (ها) ها تعمل
إيه يا واد ،

- خلام مافيش حاجة بعد كده ، أى حاجة الواحد يعملها تخلص ويدور على بعدها ،
- البويرة ماكانتش تخلى فيه (ها) كانت تريح أى مشاعر
- كنت بأحس إن مشحتاج بني آدمين في الدنيا ، مش عايز حاجة بعدها غير بويرة ثان ، هي دخلت من هنا والدنيا سكتت من هنا
- أنا مش بتاع مبادرات - لازم تتحدف لي الكورة وبعدين أرميها .
- وأحسب أن في كلام هذا الشاب - أيضاً ما - يدعوا للتأمل دون تعليق أيضاً ،
البركة في سيادتكم .

الـاثـنـيـن 12-05-2008

255- سلسلة مقتدة عن الإدمان والإيمان (١ من ٣٣)

الله: في الأثنى عشرة خطوة
ليس موضوعا في الدين والإيمان
إلا بمقدار علاقتها بالإدمان
غدر الزمان يا قلى ما لهوش أمان
واحابيجى يوم تحتاج خبطة إيهان
قللى ارجف وسألنى .. أأمن بإيه؟
أأمن بإيهه حتار بقال زمان
صلاح جاهين

* * *

* ملحوظة بادئة:

لست متحمسا لبرنامج الأثنى عشر خطوة لعلاج المدمنين وغيرهم، بل إنني أغمار منه، وأحقد عليه أحيانا حقدا مفیدا، لأنّ اعتبره أقلّ مما في ديني أو أى دين، كما أنزله الله.

كما أنني لست مارسا فعليا لهذه الخطوات،

وعلى كل من يتبع هذه السلسلة أن يذكر هذه الملحوظة
البادئة طول الوقت قبل أن يترجم ما سوف أقدمه إلى ما شاء.

استهلال

بطيبة شديدة، حتى لو بدا في ذلك بعض التجاوز، كنت أسع بعضاً أولاد البلد، وأحياناً بعضاً أصدقائي الفلاحين يدعون الله أو يخاطبونه بأنه - سبحانه - ربهم وحدهم، وذلك من خلال قولهم مثلاً "يا رب يا بتاع المسلمين بس"، وأحياناً "يا رب يا بتاع المسلمين والكفرة لا" وأحياناً يجلّ اسم جماعة أخرى بدلاً من "الكفرة"، وكانت أناقش بعضهم مداعباً أو مصححاً أن الله سبحانه "بتاع كل الناس" حتى الكفرة ولم يكن يعترض أحدهم عادة - بل إن أغلبهم يقول "ما احنا عارفين، وقال لي ظريف منهم ذات مزة حين سأله عن سبب هذا التخصيص فقال: "عشان يركز معانا"، وهو أيضاً لم يعترض حين ناقشه أن الله سبحانه لا يحتاج أن يركز مع هؤلاء دون أولئك، فهو مع كل واحد كل الوقت.

خن - من كل ملة ودين - نستعمل كلمة "الله" ، "وربنا" بسهولة وتواتر بغض النظر عن نوع ديننا، حق أولئك الذين تصوروا أنهم لا دين لهم ، أو أنهم استغنووا عن الدين بشكله السائد على الأقل، هم يستعملون لفظ الجلالة بطيبة وعشم وصدق حقيقين، يحدث ذلك مثلاً حين يقول أحد الملحدين (أو من يتصور أنه كذلك) "ربنا يسهل" ، كله على الله، "الله كرم" ، "ربنا معاك" ... الخ.

كدت أعنون هذه السلسلة بعنوان مستلهم من هذه العادة الشعبية، عنوان يقول "الله، بتاع المدمنن" وذلك حين لاحظت تكرار تواتر ذكره سبحانه في الخطوات الائتين عشر، كما سرد ذكره، لكنني عدلت، مع أن الفكرة الأساسية هي أن فاعلية استعمال هذا التناول العام لاستعمال القدرة الإلهية علينا في العلاج يكشف بعض الفروض والتساؤلات حول الإدمان وعلاجه.

الفروض :

- ثقافة الادمان دين زائف، لكنه مثل كثير ما أدى إليه سوء فهم واستعمال بعض الأديان.
- ثقافة الروحانية العلاجية هي دين يديل له عمومية أرحب، وعليه تحفظات لو أنه حل محل الإيمان كله ، أو الأديان النقية.
- ثقافة التأهيل والتعافي (خاصة الائتين عشر خطوة) هي دين تصححى له طقوسه ورجاله وإنجذباته وأيضاً قصوره وما خذه .

فما العمل؟

التساؤلات

- هل نتجنب تناول كل ذلك بوضوح وصرامة خوفاً من الحديث بلغة دينية محوطها احتمال سوء الفهم أو سوء التأويل؟
- هل نترجم بعض ذلك إلى أصوله التاريخية والآنية للدين والإيمان ، مغامرين بتلقي هجوم الفهم الناقص والتعصب الأعمى؟
- هل نغمض أعيننا عن حقيقة العلاقة بين ما يجري وبين جذوره فنحرم أنفسنا من الاستفادة من التجارب العملية في حقل معرفة طبيعة الإدمان وعلاجه في تصحيح موقفنا من الدين والإيمان؟

هذه هي إشكالات هذه المداخلة الممتدة ، فانتبهوا .

الخطوات الائتين عشر

في برنامج علاج المدمنين الأشهر (الائتين عشر خطوة) وقد انتشر عبر العالم بما في ذلك مصر يأتي ذكر الله 4 مرات باللفظ "الله" (الخطوة 3، 5، 6، 11)، كما يأتي ذكره بالضمير أو بالحالة في الخطوة (2): "قوة أعظم" ، والخطوة (7) : سألناه أن يخلصنا من (.....).

في التقاليـد الاـثـنـيـ عشر (لا الخطـوـات) لـزـمـالـة المـدـمـنـينـ المـجـهـولـينـ وـرـدـ فيـ التـقـلـيدـ الثـالـثـ . . . "لا تـوجـدـ سـوىـ سـلـطـةـ مـطـلـقـةـ وـاحـدـةـ ، إـلـهـ عـطـوـفـ" ، عـلـيـنـاـ أـنـ نـسـعـيـ لـيـكـونـ ضـمـيرـ جـمـعـوـتـنـاـ "موـافـقاـ لـشـيـئـتـهـ"

هـذـاـ هـوـ مـاـ يـقـولـهـ كـلـ مـنـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ نـظـامـ هـذـهـ الجـمـاعـةـ وـيـمـارـسـ هـذـهـ الخطـوـاتـ مـهـمـاـ كـانـ دـيـنـ الشـخـصـيـ الرـسـيـ، أوـ دـيـنـ أـهـلـهـ، أوـ حـتـىـ لـوـ كـانـ بـغـيرـ دـيـنـ.

ثقـافـةـ الإـدـمـانـ

أـشـرـتـ مـرـارـاـ وـتـكـرـارـاـ إـلـىـ أـنـ هـنـاكـ مـاـ يـسـمـىـ ثـقـافـةـ الإـدـمـانـ، وـأـنـهـ ثـقـافـةـ لـهـ مـعـالـمـاـ الـحـدـدـةـ، وـهـيـ بـكـلـ سـبـيـاتـهـ تـكـشـفـ لـنـاـ عـنـ مـسـاحـةـ أـوـسـعـ مـنـ ثـقـافـةـ الـجـمـعـمـ الـتـظـهـرـ فـيـهـ مـنـ نـاحـيـةـ، ثـمـ إـنـهـ فـيـ تـطـورـهـاـ - بـالـعـلـاجـ وـالـتـأـهـيلـ - مـنـ جـانـبـهـاـ السـلـىـ (الـمـرـضـيـ التـدـمـرـيـ) إـلـىـ جـانـبـهـاـ الـإـيجـابـيـ (الـتـعـاـفـيـ إـلـيـدـاعـيـ)، قـدـ تـهـيـنـاـ إـلـىـ مـاـ يـكـنـ أـنـ نـسـتـلـهـمـهـ مـنـهـاـ، لـصـالـخـ مـسـيـرـةـ الـبـشـرـ.

تنـوـيـعـاتـ ثـقـافـيةـ

نـعـنـ بـثـقـافـةـ الإـدـمـانـ مـنـظـومةـ الـوـعـىـ الـجـمـعـىـ الـذـىـ يـشـمـلـ المـدـمـنـينـ فـيـصـفـهـمـ، وـهـمـ يـشـكـلـونـهـ، فـآنـ، هـذـهـ الـمـنـظـومـةـ تـخـتـلـفـ مـرـحلـةـ إـلـىـ مـرـحلـةـ، وـمـنـ جـمـوعـةـ إـلـىـ جـمـوعـةـ، فـثـمـ ثـقـافـةـ مـهـيـئـهـ لـلـادـمـانـ، وـثـمـ ثـقـافـةـ الـغـوـصـ فـيـ الإـدـمـانـ، وـثـمـ ثـقـافـةـ التـعـاـفـيـ مـنـ الإـدـمـانـ.

مـنـ هـنـاـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـتـأـنـ وـغـعـنـ النـظـرـ فـيـ الـلـفـاظـ وـالـمـفـاهـيمـ الشـارـحةـ لـهـذـهـ الثـقـافـةـ أـوـ تـلـكـ حـتـىـ تـتـحدـدـ كـلـ مـضـمـونـهـ وـنـيـضـهـاـ وـغـائـيـتـهـاـ وـلـاـ تـسـتـعـمـلـ عـشـوـائـيـاـ أـوـ تـعـمـيـمـاـ كـمـاـ نـسـتـعـمـلـهـاـ فـيـ سـيـاقـ ثـقـافـاتـ أـخـرـىـ، أـوـ مـؤـسـسـاتـ أـخـرـىـ، وـمـنـ ذـلـكـ دـوـنـ أـىـ حـرـجـ: اـسـتـعـمـالـ لـفـظـ الـجـلـلـةـ، هـذـاـ عـلـمـ وـدـيـنـ وـمـسـئـولـيـةـ.

نظـرـةـ بـادـئـةـ فـيـ خطـوـاتـ الـاثـنـيـ عشرـ

بعـدـ الـاعـتـراـفـ فـيـ خطـوـةـ الـأـولـىـ بـأـنـ "قوـةـ الفـرـدـ المـدـمـنـ وـحـدـهـ" أـصـبـحـ عـاجـزـ عـنـ إنـقـاذـهـ، وـأـنـهـ قدـ اـصـبـحـ "غـيرـ قـادـرـ عـلـىـ إـدـارـةـ حـيـاتـهـ وـحـدـهـ" تـبـدـأـ خطـوـةـ الـثـانـيـةـ بـأـنـ تـؤـكـدـ" . . . أـنـاـ توـصـلـنـاـ إـلـىـ الـإـيـانـ بـأـنـ قـوـةـ أـعـظـمـ مـنـ أـنـفـسـنـاـ باـسـطـاعـهـاـ أـنـ تعـيـدـنـاـ إـلـىـ الصـوابـ".

نـلاحظـ هـنـاـ أـمـرـيـنـ:

الأـولـ أـنـهـ بـعـكـسـ الشـائـعـ مـنـ أـنـ المـدـمـنـ عـلاـجـهـ بـشـرـطـ اـسـتـعـمـالـ إـلـرـادـةـ الذـاتـيـةـ بـشـكـلـ مـحـدـدـ، وـهـذـاـ هوـ مـاـ يـتوـاـتـرـ كـثـيرـاـ فـيـ وـسـائـلـ الـأـعـلـامـ وـالـدـرـاماـ وـهـوـ الشـائـعـ عـادـةـ بـيـنـ الـأـهـلـ، نـلـاحـظـ أـنـ مـاـ جـاءـ فـيـ خطـوـةـ الـأـولـىـ مـنـ الـاثـنـيـ عشرـ خطـوـةـ يـكـسـرـ كـلـ هـذـاـ الـوـهـمـ، وـهـوـ يـهـزـ ضـمـنـاـ، الـغـرـورـ الـإـنـسـانـيـ الـفـرـديـ، وـهـوـ مـاـ سـادـ طـوـيـلاـ مـعـ غـلـبـةـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـتـيـ اـزـدـهـرـتـ فـيـ الـقـرـنـ التـاسـعـ وـالـعـشـرـ وـالـعـشـرـينـ فـيـ موـاجـهـهـ سـلـطـةـ الـكـنـيـسـهـ قـبـلـ ذـلـكـ.

بعجرد أن تقول مثل هذه الجمل "أنت بلا قوة وإن حياتنا غير قابلة للإدارة"، تقفز إليك قوتين رافضتين جاهزتين للعمل في اتجاهين متضادين:

الأولى السلطة الدينية الجاهزة تقول: "ما دمت غير قادر على إدارة حياتك فسوف نديركا من لك بالنيابة"،

الثانية السلطة المعقّلة الحديثة: تقفز إليك تنكر عليك قوله وتنهيك إلى أنه، هكذا، تستسلم للخرافة، وللميتافيزيقا، إذ تتخلّى عن مسؤولية إنسانيتك إلخ.. إلخ.

ومع ذلك فهذه هي الخطوة الأولى في الخطوات الإثني عشر، وهي ناجحة من واقع الحال.

أرجوك لا تتعجل الحكم.

تأتي الخطوة الثانية لتقول "إن ثمة قوة أعظم باستطاعتها أن تعيينا إلى الصواب"، يلاحظ أنها لم تقل "تقوم عنا بكل العمل"، ولم تحدد ابتداء "ما هو الصواب"، ولكن تركت الباب مفتوحاً لللعون والاستعانة، وترك الصواب يحمل كل الاحتمالات.

ثم تأتي الخطوات بعد ذلك حيث تذكر اسم الله صراحة في بعضها.

وبالرغم مما يبدو في هذه الخطوات من شبه "الاعتراف" المسيحي إلى درجة ما، إلا أنها ليست بعيدة عن التوبيه الإسلامية، ولا عن أية بصيرة بالواقع الداخلي والخارجي في أية منظومة أخلاقية ممتهنة.

هذا الاعتراف لا ينهي الحكاية بل يبدأها ،

وهو ليس اعترافاً آخر كوسطط إلى الله، ولكنه اعتراف لله ولأنفسنا "بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره".

وهو إعتراف أقرب إلى البصيرة منه إلى إعلان ذلك بالألفاظ، وهو ليس اعترافاً بالأخطاء، ولكن بطبعية هذه الأخطاء ،

كل ذلك يحرك الوعي إلى مساحة من الرحابة والعمق تسمح بمعاودة الحياة الإنسانية بما هي أهل له، لا أكثر ولا أقل.

ثم تأتي الخطوة السادسة والسابعة لتعلن الإستعداد ودرجة التسليم لهذه القوة المعينة:

فمن ناحية تدعو "لأن يزيل الله كل هذه العيوب الشخصية (وليس فقط يغفر الأخطاء: الخطوة السادسة)، ومن ناحية ثانية أن يسهم في التخلص من النعائص (وليس من الذنب: الخطوة السابعة).

ثم نجد أنفسنا قرب النهاية في الخطوة الحادية عشر، وقد شحد الوعي (بالدعاء والتأمل.. وغيرها)، لتحسين صلتنا الواعية بالله، مع تذكر أن تحسين الصلة، غير التسليم السلي، ولكن تحسين الصلة يشمل اليقين بأن الأصل هو الخير، وأن مشيئة هذه القوة لنا هي الصحة، فإذا عرفنا ذلك يقيناً، بفضل ما

نفعل لننعرف على فضله، فإن الأمر يحتاج إلى إستكمال الدعاء
بأن يعيتنا على تنفيذ هذه المشيئة، من الذين ننفذها.

ما الحكایة بالضیط؟

هل من في مقام علاج؟ أم في كنيسة؟ أم مسجد؟ أم مستشفى؟
أم مركز تأهيل؟، لكن هذا هو الحال.

وقفة ضرورية:

بعيداً عن حكاية الأثنى عشر خطوة، وأيضاً عن أوهام ما يسمى الميتافيزيقا التقليدية كان لابد من التوقف للتحسس
الطريق إلى التعرف على بعض معلم أو آثار هذه القوة
الواقعية، الضامة غير المفتربة (البيولوجية): بمعنى الحياة
(Bio) التي تجمع بين البشر في وحدة أكبر من مجرد اتها لينطلقوا
أحادي وجماعات إلى وحدة أكبر مما يعرفون .

كل الختائق العلمية (التي يذكرها معظم العلماء
التقليديون عادة) تقول أن الإنسان (مثل الكون) كان متقد
في الزمان والمكان، وأن تميزه - على قمة الهرم الحيوي في حدود
علمنا - جعله واع نسبياً بهذا الامتداد، وأن هذا الامتداد
هو حقيقة، يقدر ما هو مشروع، وهو طبيعة تلقائية يقدر ما
هو قرار ومسؤولية.

وقد أنتاب العامل التعرف على هذا العامل الإيجابي الذي يظهر في
الممارسة الأكلينيكية، وربما نرى من خلال ماذا آل إليه سوء
فهم، أو سوء استعمال الدين الرسبي بعد تسكينه.

- البرنامج تطوعي تلقائي جان لايهدف للربح.
- عدد المتعافين المتبعدن لبرنامج الإثنى عشر خطوة (20 مليون) في العالم.
- في مصر (19 مجموعة) و(60) اجتماع أسبوعياً.
- برنامج 12 خطوة يطبق في كثير من بلدان العالم.
- الخطوة (1) اعترفنا أننا بلا قوة بجهة إدماننا، وأن
حياتنا أصبحت غير قابلة للإدارة.
- الخطوة (2) توصلنا إلى الإيمان بأن قوة أعظم من أنفسنا
باستطاعتها أن تعيدنا إلى الصواب
- الخطوة (3) إنخدنا قراراً بتوكيل إرادتنا وحياتنا
لعنایة الله على قدر فهمنا
- الخطوة (5) اعترفنا لله ولأنفسنا ولشخص آخر بالطبيعة
الحقيقة لأخطائنا
- الخطوة (6) كنا مستعدين تماماً لأن يزيل الله كل هذه
العيوب الشخصية
- الخطوة (11) سعينا من خلال الدعاء والتأمل إلى تحسين
صلتنا الواقعية بالله على قدر فهمنا، داعين فقط لمعرفة
مشيئته لنا والقوة على تنفيذها.
- الخطوة (7) سألناه بتواضع أن يخلصنا من نقائصنا الشخصية

الإـلـيـعـاء 2008-05-14

257- من الإيمان والإيمان (3 من 3)

توضيـح لازم وإجابات موجـزة

فـنـشـرـةـ الـيـوـمـ سـوـفـ نـخـاـولـ أـنـ نـقـومـ يـتـقـدـمـ إـجـابـاتـ مـوجـزـةـ لـلـأـسـلـلـةـ الـخـمـسـةـ الـتـىـ طـرـحـنـاـ هـاـ أـمـسـ،ـ أـمـلـيـنـ أـنـ يـكـونـ بـعـضـ الـزـائـرـيـنـ قـدـ حـاـوـلـ الـاجـابـةـ عـلـيـهـاـ مـسـبـقاـ أـمـسـ،ـ فـيـقـارـنـ إـجـابـاتـهـ بـاـمـاـ سـوـفـ تـعـرـفـهـ حـالـهـ:

الـسـؤـالـ الـأـوـلـ:

هل هناك فروق جوهـرـيةـ (ـتـفضـيلـيـةـ)ـ بـيـنـ الـأـدـيـانـ؟

الـإـجـابـةـ الـظـاهـرـةـ التـقـليـدـيـةـ الـعـلـنـيـةـ أـنـهـ لـاـ تـوـجـدـ فـرـوقـ جـوـهـرـيـةـ،ـ وـهـىـ إـجـابـةـ نـاعـمـةـ هـرـوبـيـةـ،ـ لـاـ نـعـنـيـهاـ عـادـةـ فـعـقـ ضـمـائـرـنـاـ،ـ ذـلـكـ لـأـنـ الـوـاقـعـ الـمـعـلـنـ،ـ وـالـوـاقـعـ الـخـفـيـ،ـ يـؤـكـدـانـ وـجـودـ هـذـهـ فـرـوقـ بـشـكـلـ صـارـخـ لـاـ يـكـنـ إـنـكـارـهـ.ـ صـحـيـحـ أـنـ إـلـاعـانـاتـ الـاجـتمـاعـاتـ،ـ وـالـفـاظـ الـخـواـراتـ،ـ تـعـلـنـ غـيرـ ذـلـكـ،ـ لـكـنـ صـحـيـحـ أـيـضاـ أـنـ فـتاـوىـ الـمـفـتـينـ الـمـعـلـنـةـ وـالـمـغـلـقـةـ تـؤـكـدـ أـنـ الـفـرـوقـ الـخـالـيـةـ فـيـ وـاقـعـ الـمـارـسـةـ،ـ أـكـبـرـ مـنـ كـلـ مـاـ يـعـلـنـ عـلـىـ الـفـرـقـاءـ.

أـبـسـطـ وـأـطـيـبـ الـإـجـابـاتـ هـىـ الـاعـتـذـارـ عنـ الـإـجـابـةـ ثـمـ إـنـ الـأـمـرـ مـتـرـوـكـ لـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ،ـ وـأـيـضاـ يـقـولـ كـلـ صـاحـبـ دـيـنـ أـنـهـ لـوـ أـتـيـحـ الـفـرـصـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـلـآـخـرـ أـنـ يـعـرـفـ طـبـيـعـةـ كـلـ دـيـنـ إـذـ لـاعـتـنـقـ دـيـنهـ!!ـ (ـدـيـنـ النـاصـحـ الـأـمـيـنـ!!ـ).

أـمـاـ الـإـجـابـاتـ الـخـاصـةـ وـالـدـامـغـةـ فـهـىـ لـاـ تـعـلـنـ إـلـاـ فـ دـوـافـرـ ضـيـقـةـ،ـ أـوـ حـجـرـاتـ مـغـلـقـهـ وـلـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـلـىـ الـعـظـيمـ.

الـسـؤـالـ الثـانـيـ:

هل ثـمـ فـرـقـ بـيـنـ الـدـيـنـ وـالـإـيمـانـ؟

الـفـرـقـ مـوـجـودـ،ـ وـمـعـتـرـفـ بـهـ،ـ وـهـامـ.ـ فـمـنـ نـاحـيـةـ هـمـ لـيـساـ مـتـرـادـفـيـنـ،ـ "ـقـالـتـ الـأـعـرـابـ آـمـنـاـ،ـ قـلـ لـمـ تـؤـمـنـواـ،ـ وـلـكـنـ قـوـلـوـاـ أـسـلـمـنـاـ،ـ وـمـاـ يـدـخـلـ الـإـيـانـ فـقـلـوـبـكـمـ.ـ وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ هـمـ لـيـساـ مـتـلـازـمـيـنـ:ـ فـلـمـ مـنـ يـتـصـورـ أـنـهـ مـتـديـنـ وـهـوـ لـيـسـ فـيـ عـقـ أـعـماـقـهـ مـؤـمـنـ (ـالـآـيـةـ الـكـرـيـعـةـ السـابـقـةـ)،ـ وـثـمـ مـؤـمـنـ فـيـ أـعـماـقـهـ

حتى لو كان يمر بفترة شك يسحبه منطقه أثناءها إلى غير ذلك، وبرغم هذه التفرقة الواضحة فإن العلاقة وثيقة بين الدين والإيمان، المفترض أن الإيمان هو العمق الفطري وراء النزوع الديني في معظم الأديان،

كما ان الدين هو التجسيد السلوكي للإيمان، يدعمه ويؤكده كما يحافظ على دفعه.

إن الالتزام بالسلوك والعبادات هو طريق إلى ملء الوعي بالإيمان، شريطة ألا يكون بدلياً اغترابياً أو تسطيحاً شكلياً، عن جوهر الدين = الإيمان.

السؤال الثالث: 3- ما علاقة ما يسمى الروحانية بالدين؟

لعل تناول مسألة الروح (التي هي من أمر رب) ليست واردة في هذه المداخلة بالمعنى الشائع عن كلمة "الروحانية"، ومع ذلك يبدو أن المشتغلين بمحاولة التوفيق بين الأديان قد جعلوا ما أسموه الروحانية، نسبة إلى الروح كما صوروها أو تصوروها، هي القاسم المشترك الذي جمع بين المتدينين.

إن مفهوم الروحانية، هو مفهوم كامن في غور كل من الدين والإيمان، لكن لا ينبغي أن يكون استعمال هذا المصطلح (الروحانية) بدلياً عن الدين والإيمان، أو ضد احترام الجسد ولغته ودوره في التعريف إلى الحق تعالى.

أجبت استعمال كلمة الروح والروحانية احتجاجاً بأنها "من أمر رب" من ناحية، وإنتما من دور الجسد (الذى هو في نظرى أحد تجليات الروح/الوعي وبالعكس) في المعرفة والإبداع والتواصل والدين والإيمان.

في مؤتمر عن الصحة النفسية والروحانية عقد في "سانت كاترين أكتوبر 2003" (الأسس البيولوجية للدين والإيمان)، قدمت في ورقة عن الأسس البيولوجية للفريزة التوازنية التي تهدى للدين والإيمان، وقد رفضت بشدة اقتراحها قائم في هذا المؤتمر أن يضاف إلى تعريف الصحة العامة الذي تتبناه منظمة الصحة العالمية، يضاف تعريف "صحة الروح"، وذلك ليقيئي بالاختلاف الجذرى المحتمل حول تعريف ذلك.

السؤال الرابع:

4- ما هي علاقة السلطة الدينية بالدين والإيمان؟

من أهم أسباب عزوف بعض الناس والشباب خاصة عن الدين هو أنهم يتصورون أن في ذلك نوعاً من مقاومة ما يسمى السلطة الدينية التي استولت حتى احتكرت حق تفسير الأديان باعتبارها من الملكية الخاصة لهذه المؤسسة الفوقية. النتيجة أن معظم الشباب ابتعدوا بغير قصد غالباً، عن حقيقة وظيفة الدين وحقيقة عطاء الإيمان. لا يرجع ذلك الابتعاد إلى رفض للدين أو عدم تقدير عطائه وإنما هو عثابة تنبيه إلى أن بعض السلطات الدينية - بقصد أو بدون قصد - قد ثارت عن

التاريخ في تصوير نفسها أنها المصدر الأوحد لكل التفاسير.

ولكن يلاحظ أيضاً أنه في بعض الأحيان يتقمص بعض الناس، بما في ذلك الشباب السلطة الدينية حتى تصبح قهراً من داخلهم مجرّمهم من معايشة خيرة الإيمان إلا بالمقاييس التي توضع لهم، كما قد يصل الأمر إلى امتناعهم تلقائياً عن التفكير الآخر وكذا رعيتهم من محاولة النقد أصلاً، وهذا وذاك له حدود سرعان ما تنهار تلقائياً، أو باستعمال خدر يقوّضها، أو منبه يكسرها.

السؤال الخامس:

5- هل ثمة علاقة بين الدين والبيولوجيا (بالمعنى الأشمل)؟

الشائع في ظاهر الأمر، مع التعجل في الحكم، أن الدين والدين والإيمان يقف على طرف نقيف من الغرائز والجسد، وذلك باعتبار أن الغرائز بدائية حسية فجة، وأن الدين التزام منضبط، أو أن الغرائز دوافع دونية في حين أن الإيمان هو روحانية راقية.

هنا نقدم الأمر بطريقة أخرى، طريقة تؤكد أن الفطرة هي البيولوجيا في أرقى تجلياتها في العقل والجسم معاً، إن المؤمن الحق إنما يخلط الإيمان بلحمه ودمه وليس بروحه فقط، إن نشاط اللحم والدم، لما خلقا له كجزء من الفطرة السليمة، هو من أعظم تجليات الوجود الإبداعي هو الحال سبحانه.

هذا النشاط النابق في حركية جدلية خلقة هو الذي يسمح باضطراد إبداع الذات للتناسق مع ذوات بشرية أخرى ثم معاً إلى تناسب أعلى فأعلى، كما أشرنا في بداية يومية أمس.

وبعد

في برنامج للوقاية من الإدمان للنشء من سن 6 - 12 طلبوا مني أن أقترح كيف يقدم أساسيات مفهوم الدين والإيمان إلى هذه السن.

كيف بالله عليكم؟

هذا ما قد نراه في حلقة قادمة.

- نأسف فقد أضيفت هذه الكلمة على سؤال أمس

الثـلـاثـاء 2008-11-11

438 - عودة إلى ملف الإدمان الحق في الألم: ضد الرقاقة (1)

بعد أن فوجئنا من خلال عرض استجابات المشاركين في لعبة الفرح " حقيقي " أن الأغلبية أدركت ، وأقرت أننا لا نفرح حقيقي ، قررنا أن نؤجل مناقشة الاستجابات حتى يجري بعض الاحصاءات ولو بطريقة تقريبية .

وإذا كنا اكتشفنا أننا لا نفرح " حقيقي " ، فنحن أيضا " لا نحزن " حقيقي (وسوف نقدم الاستجابات على هذه اللعبة أيضا لاحقا)

أما اليوم فالسؤال - من خلال حالة إدمان - يقول :
هل نحن نتألم حقيقي ؟

وهل يوجد شيء اسمه الألم الخلق ، الذي هو " لزوم النمو " ؟

منذ نشرنا مقتطفات من حالة مدمى في نشرتي 2007/10/23 & 2007/10/24 ، عن " أدمة المدمن ومستويات الوعي " وأننا أحياوا أن أنظم نفسى لأقدم حالات حية من واقعنا الحالى ، وقد قمنا بجمع حالات الإدمان التي درست بالتفصيل وقدمت في لقاء علمى تدريى خلال الثلاث سنوات السابقة ، وقد زادت حتى الآن عن خمسين حالة ، وقد كلفت بعض زملائى الأصغر بمراجعتها ، فقاموا ، ويقومون ، بذلك مشكورين .

وحيث قررت أن أعود إلى فتح ملف الإدمان من جديد طلبت من السكرتارية أن تحضر لي أية حالة (عشوانينا) ، رحت أقلب الصفحات وأعدها وفوجئت أن هذه الحالة تشغلى لا يقل عن 40 صفحة ، وهى عبارة عن :

- (1) جموع ورقة المشاهدة Sheet
- (2) عرض موجز الحالة ،
- (3) ثم المناقشة ،
- (4) ثم تعقيب الأستاذ
- (5) ثم مقابلة المريض (المدمن)
- ثم أخيراً (6) تعقيب نهائى

أثناء اللقاء العلمي - وبالرجوع إلى عينة أخرى من الحالات وجدت أن أغلبها يزيد صفحاتها عن هذا العدد حتى يصل إلى الخمسين صفحة .

ما العمل ؟

بديهي أنه يستحيل تقديم الحالة كما هي، خاصة وأنه سيضاف إليها ما تيسر من تعليقات تصاحب نشرها للكافة، مختصين وغير مختصين .

حاولت أن استغنى عن أية تفصيلة من تفاصيل الحالة فوجدت أنها ستحدث نقصاً يجل بالمراد توصيله بشكل أو بآخر ،

رجعت إلى كتاب نشر حديثاً بعنوان "ربع جرام" وقد لقى ترحيباً مناسباً، ووجدت أنه يقدم حالة واحدة استغرق عرضها "روايتها" أكثر من 400 صفحة (4/1 جرام تأليف خالد يوسف، 2008)

ما العمل؟

كما اعتدنا في هذه النشرات لا مانع من التجربة، بل لابد من التجربة ،

ومع مواصلة الخوار وتلقى التعقيبات ودراسة المحاولات الأولى أعتقد -أو آمل على الأقل- أن نصل إلى المنهج المناسب قدرت أيضاً أن تقديم الحالات التي لدينا كاملة هكذا ربما لهفائدة معرفية وواقعية، وتدريبية تكمل ما يرددنا من "استشارات مهنية" نرد عليها بما تيسر من خبرة ورأي .

خطر لي أن نركز في تجربة اليوم على المقابلة مع المريض (المدمن)، ثم نعود لشرح مغزى هذه المقابلة وارتباطها بتاريخ المريض (المدمن) وأحواله، وذلك بعد موجز غير واف.

طريقة العرض:

الحلقة الأولى : (اليوم)

أولاً: نص المقابلة مع المريض

الحلقة الثانية: (غداً)

ربط المقابلة والتعليق بما جاء في المشاهدة وبعده المناقشة .

الحلقة الأولى:

بعد أن شرح الزميل الأصغر أسباب تقديم الحالة، وبعد ملاحظات الاستاذ على موقف مقدم الحالة وسبب اختياره لها، وبعد تعليقات بعض المشاركين في اللقاء العلمي التدريسي، تبين أنه بالرغم من الإزمات والنكبات والتاريخ العلاجي الفاشل، لهذه الحالة (18) مرة دخول مستشفيات منها خمس مرات في نفس هذه المستشفى التي يقدم منها الحالة (آن)، ويرغم سلوك المريض (المدمن) المضاد للمجتمع، والتحديات التي يمكن أن توصف بأنها لا أخلاقية، إلا أن أغلب، إن لم يكن كل، من التقى

به في التقييم أو العلاج لم يستطع أن يرفضه، بل إن مقدم الحالـةـ، والـلـشـرـفـ عـلـىـ عـلـاجـهـاـ، وـبـعـضـ مـنـ يـعـرـفـهـ أـكـثـرـ، أـقـرـ كـلـ مـنـهـمـ عـلـىـ حـدـهـ، بـأـنـهـ حـاـوـلـ أـلـاـ يـجـبـهـ فـلـمـ يـسـطـعـ، خـذـ مـثـلـ كـلـامـ مـقـدـمـ الحالـةـ (أـ.ـعـبـدـهـ) :

"رـغـمـ أـنـ العـيـانـ دـخـلـ مـسـتـشـفـيـاتـ كـتـيرـ قـويـ، دـخـلـ حـوـالـيـ 18ـ مـرـةـ، وـإـنـهـ مـشـ مـتـعـاـونـ، وـطـفـلـ شـوـيـهـ، لـكـنـ بـرـضـهـ الـواـحـدـ مـاـبـيـعـرـفـشـ يـكـرـهـهـ، يـعـنـيـ مـكـنـ مـتـغـاظـفـ مـنـهـ شـوـيـهـ"

دـ.ـ يـجـيـيـ :ـ ماـ هـوـ الـغـيـظـ دـهـ نـوـعـ مـنـ الـبـرـضـهـ .

أـ.ـعـبـدـهـ :ـ لـأـ تـغـطـتـ مـنـ مـوـقـفـهـ شـوـيـهـ، هـوـ لـيـهـ مـاـبـيـخـفـشـ يـعـنـيـ ؟

دـ.ـ يـجـيـيـ :ـ هـوـ اـنـتـ خـايـفـ تـقـولـ اـنـكـ بـتـحـبـهـ وـهـوـ بـكـلـ الـوـاسـاخـةـ دـىـ؟

أـ.ـعـبـدـهـ :ـ مـشـ عـارـفـ

دـ.ـ يـجـيـيـ :ـ لـأـنـكـ لـسـهـ بـتـحـبـهـ، عـمـالـ بـتـرـاجـعـ نـفـسـكـ، بـسـ مـشـ قـادـرـ تـكـرـهـ !!ـ،ـ الـمـرـاجـعـ غـيرـ التـرـاجـعـ

أـ.ـعـبـدـهـ :ـ رـاجـعـ نـفـسـيـ لـكـنـيـ لـمـ أـسـطـعـ أـنـ أـتـرـاجـعـ عـنـ حـبـهـ "ـالـغـيـيـ"

وـيـقـولـ أـحـدـ الـمـعـالـيـنـ بـعـضـ الـوقـتـ أـ.ـصـابـرـ :

"ـأـنـاـ بـرـضـهـ مـاعـرـفـشـ لـيـهـ بـاحـبـهـ جـداـ،ـ وـمـاـكـنـتـشـ مـصـدـقـ طـولـ الـوقـتـ الـخـاجـاتـ الـلـىـ بـيـعـلـمـلـهـاـ الـلـىـ جـتـ فـ تـارـيـخـهـ،ـ حـاسـسـ اـنـهـ بـيـعـلـمـلـهـاـ مـنـ بـرـهـ حـاسـسـ اـنـ هـوـ دـهـ مـشـ عـادـلـ

دـ.ـ يـجـيـيـ :ـ يـعـنـيـ إـيـهـ عـادـلـ مـشـ عـادـلـ ؟

أـ.ـصـابـرـ :ـ حـسـيـتـ حـتـىـ اـنـ مـسـامـحـ حـتـىـ فـ الـخـاجـاتـ الـلـىـ بـيـعـلـمـلـهـاـ،ـ كـنـتـ مـسـامـحـ فـيـهـاـ،ـ وـدـهـ خـتـلـفـ عـنـ اـنـ بـاـبـقـيـ مـتـغـاظـ خـالـصـ مـنـ الـخـاجـاتـ دـىـ

دـ.ـ يـجـيـيـ:ـ مـشـ فـاهـمـ

أـ.ـصـابـرـ :ـ يـعـنـيـ طـولـ الـوقـتـ وـأـنـاـ بـقـرـأـ الـخـاجـاتـ الـلـىـ بـيـعـلـمـلـهـاـ عـادـىـ مـسـامـحـ فـيـهـاـ،ـ وـدـهـ بـيـعـلـمـلـهـاـ كـدـهـ يـعـنـيـ بـيـعـلـمـلـهـاـ رـدـ فـعـلـ خـاجـةـ "

دـ.ـ يـجـيـيـ:ـ مـشـ ضـرـورـيـ.

.....

* * *

الصياغة السيكوباثولوجية (الإمراضية)

(كتبها دـ.ـ نـبـيلـ الـقطـ،ـ رـئـيسـ قـسـمـ الإـدـمـانـ بـالـمـسـتـشـفـيـ)

يـنـتـمـيـ الـمـرـيفـ إـلـىـ أـسـرـةـ مـتـمـاسـكـةـ إـلـىـ حدـ مـاـ،ـ مـاـعـدـةـ مـنـ الـطـبـقـةـ الـمـتوـسـطـةـ إـلـىـ الـطـبـقـةـ الـمـتوـسـطـةـ الـعـلـيـاـ،ـ مـرـسـيـةـ قـوـاـدـ

وآلـيات لـدعـم تـماـسـكـها الـاجـتمـاعـي والـاسـرـى، وـدعـم نـجـاح اـعـضـائـها (أـبـ نـاجـح فـعـلـه، أـمـ نـاجـحة وـاـختـ نـاجـحة) وـلـم يـكـن ليـتـم ذـلـك دون دـعـم مـتـبـادـل من اـعـضـاء الـاسـرـة، (قيـمـهـا النـجـاح وـالـمال وـالـراـحة وـالـتـفوـيت ثمـ التـديـنـ المـسـوبـ).

دـ. يـحيـيـ : فيـه حـيـرة حـقـيقـيـة يا اـبـنـيـ حـيـرة عـلـمـيـة ، حـيـرة عـمـلـيـة ، بـالـنـسـبـة لـلـعـلاـجـ، وـاحـنـا مـتـلـمـيـن دـلـوقـتـيـ عـشـانـ كـدـهـ، عـاـيـزـيـن نـسـتـوـضـح بـعـضـ النـقـطـ يـكـن تـسـاعـدـنـا فـالـمـرـةـ دـىـ ، هـىـ دـىـ المـرـةـ الـ 18ـ ، وـلـاـ الـ 19ـ

المـريـفـ : الـ 18ـ

دـ. يـحيـيـ : يـبـقـى دـخـلـتـ 17ـ مـرـة وـدـيـهـ الـ 18ـ ، دـىـ لـوـحـدـهـ حـقـيقـة دـمـهـا تـقـيلـ اـحـنـا مـسـئـولـيـن عنـ 5ـ مـنـهـمـ ، اـحـنـا وـاـنـتـ مـعـاـنـاـ ، وـالـبـاقـى بـقـى حـانـشـوـفـ تـفـاصـيـلـهـ ، إـنـتـ خـدـعـتـ مـعـظـمـ الـلـيـ حـوـالـيـكـ حـتـىـ أـمـكـ أـوـ بـدـءـأـ مـنـ أـمـكـ وـبـرـضـهـ خـدـعـتـ جـزـءـ مـنـ أـبـوـكـ ، مـظـهـرـكـ الـخـارـجـيـ دـهـ فـيـهـ خـبـثـ جـذـابـ ، فـاضـطـرـوـاـ يـجـبـوكـ وـلـوـ اـنـكـ مـاتـحـبـشـ مـاتـسـاوـيـشـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ تـلـاتـةـ تـعـرـيـفـ ، إـيـهـ الـخـكـاـيـةـ بـالـظـبـطـ

عـادـلـ : يـعـنـىـ

دـ. يـحيـيـ : فيـهـ رـسـالـتـينـ بـيـوـصـلـوـاـ مـنـكـ لـكـلـ النـاسـ الـلـيـ حـوـالـيـكـ تـقـرـيـبـاـ خـلـدـ النـهـارـدـةـ

المـريـفـ : إـيـهـ هـمـ

دـ. يـحيـيـ : الرـسـالـةـ الـأـوـلـىـ: لـعـبـةـ رـشـوـةـ الـعـلـاقـاتـ الـظـاهـرـيـةـ قـوـامـ قـوـامـ كـدـهـ مـنـ غـيرـ شـغـلـ ، وـالـرـسـالـةـ الـتـانـيـةـ الـوـسـخـةـ الـلـيـ جـوـاـكـ ، فـيـهـ حـاجـةـ بـتـخـلـيـكـ تـوـصـلـ لـلـنـاسـ زـىـ الـعـسـلـ . يـقـومـواـ يـجـبـوكـ

المـريـفـ : المـظـاـهرـ

دـ. يـحيـيـ : إـنـتـ بـتـلـعـبـهاـ بـطـرـيـقـةـ تـلـقـائـيـةـ مـنـ غـيرـ قـصـدـ ، فـنـتـلـخـبـطـ اـحـنـاـ بـقـىـ وـنـوـدـيـكـ فـيـ سـتـينـ دـاهـيـهـ ، وـاحـنـاـ نـطـلـعـ خـيـبـانـيـنـ ، دـهـ تـقـرـيـبـاـ الـلـيـ اـنـتـهـيـنـاـ إـلـيـهـ بـعـدـ دـرـاسـةـ الـخـوـادـيـتـ وـالـأـورـاقـ كـلـهـاـ دـىـ ، نـعـملـ إـيـهـ فـيـ دـهـ يـاـ اـبـنـيـ ؟ـ أـوـلـاـ هوـ أـنـاـ وـصـلـتـ لـكـ الـفـكـرـةـ الـلـيـ اـنـاـ بـاـقـوـلـهـاـ دـلـوقـتـ؟ـ هـىـ صـعـبـةـ أـنـاـ عـارـفـ!

المـريـفـ : وـصـلـتـ الـفـكـرـةـ ، بـسـ فـكـلـ الـ 18ـ مـرـةـ دـوـلـ وـلـاـ مـرـةـ أـنـاـ دـخـلـتـ بـإـرـادـتـيـ

دـ. يـحيـيـ : يـاـ عـمـ سـيـبـكـ مـنـ حـكـاـيـةـ اـرـادـتـيـ وـمـشـ اـرـادـتـيـ وـالـكـلامـ بـتـاعـ الـتـلـيـفـزـيـونـ دـهـ اـنـتـ خـطـرـ عـلـىـ نـفـسـكـ وـعـلـىـ غـيـرـكـ ، ثـمـ إـنـ الـلـيـ بـيـخـشـ مـنـ غـيرـ اـرـادـتـهـ سـاعـاتـ بـتـبـقـىـ فـرـصـتـهـ أـحـسـنـ ، اـنـتـ عـارـفـ كـلـ وـاحـدـ فـيـنـاـ لـهـ كـامـ إـرـادـةـ؟ـ يـاـ شـيـخـ اـحـنـاـ عـاـيـزـيـنـ مـخـلـقـ الـإـرـادـةـ الـلـيـ بـيـنـاـ دـلـوقـتـ ، عـاـوـزـيـنـ نـوـصـلـ لـكـ إـنـ الـلـيـ عـاـيـزـ يـبـقـىـ بـيـ آدـمـ ، بـإـرـادـتـهـ أـوـ مـنـ غـيرـ إـرـادـتـهـ لـازـمـ يـنـهـزـ الـفـرـصـةـ وـرـاـ الـفـرـصـةـ ، وـلـوـ فـشـلـنـاـ اـنـتـ الـلـيـ حـاـتـدـفـ الـتـمـنـ ، وـاحـنـاـ كـدـهـ وـلـاـ كـدـهـ وـاـخـدـيـنـ فـلـوـسـ ، يـاـ شـيـخـ حـرـامـ عـلـيـكـ

المريـف : وديـه لـيهـا حلـ ؟

دـ. يـحيـيـ : ضـرـوريـ اذاـ ماـكـنـشـ ليـهاـ حلـ يـبـقـىـ القرـشـ اللـيـ
بنـاخـدـهـ حـرـامـ ، قـعـادـكـ هـنـاـ حـرـامـ ، أـمـلـ أـبـوـكـ وـاـمـكـ فـيـنـاـ حـرـامـ
يـبـقـىـ بـنـخـدـعـهـمـ ، يـاشـيـخـ رـبـنـاـ مـوـجـودـ ، حـقـ رـبـنـاـ إـنـتـ لـعـبـتـ مـعـاهـ
نـفـسـ الـلـعـبـةـ اـنـتـ وـأـمـكـ ، كـلـهـ سـطـحـيـ سـطـحـيـ ، حـقـ الجـنـةـ منـشـنـينـ
عـلـيـهـاـ ، مـاـهـيـ مـاـفـيـهـاـ شـغـلـ .

المـريـفـ : اـنـاـ اـحـرـتـ وـالـلهـ

دـ. يـحيـيـ : لاـ يـاـ خـوـيـاـ إـحـنـاـ عـاـوـزـيـنـكـ تـتـوـجـعـ مـشـ خـتـارـ ، يـاـ
ماـ اـحـرـتـ ، 18ـ مـرـةـ ، عـمـالـ خـتـارـ وـتـنـدـارـ ، وـخـلاـصـ

المـريـفـ : وـالـلهـ اـحـرـتـ

دـ. يـحيـيـ : اـحـنـاـ خـتـارـ عـشـانـ خـيـبـتـنـاـ ، فـشـلـنـاـ ، اـنـتـ خـتـارـ
بـتـاعـ إـيـهـ ؟ إـنـتـ مـصـمـ

المـريـفـ : اـنـاـ مـاـبـقـيـشـ شـايـفـ اـنـ يـنـفـعـ أـبـطـلـ .

دـ. يـحيـيـ : يـاـ اـبـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـغـيرـ الـلـغـةـ ، القـامـوسـ اـتـلـىـ
حـيـرـهـ وـخـيـبـةـ ، الـأـلـفـاظـ دـىـ اـسـتـهـلـكـ ، اـنـتـهـيـ عـمـرـهـ الـافـتـاضـيـ:
"اـحـرـتـ" اـنـاـ "خـتـ أمـرـكـ" ، مـاـ اـعـرـفـشـ إـيـهـ ؟ اـنـتـ سـامـعـنـيـ يـاـ
عـادـلـ ، اـنـاـ شـايـفـكـ سـرـحـتـ تـانـىـ

المـريـفـ : لـأـ اـنـاـ باـسـعـ

دـ. يـحيـيـ : يـاـ أـخـىـ يـعـنـيـ اـنـاـ عـمـالـ أـتـشـالـ وـاـخـطـ وـاـنـتـ رـايـقـ وـبـتـبـتـسـمـ

المـريـفـ : لـأـ مـشـ مـبـتـسـمـ وـلـاـ حـاجـةـ ، دـهـ اللـىـ حـصـلـ يـعـنـيـ

دـ. يـحيـيـ : مـاـفـيـشـ يـعـنـيـ

المـريـفـ : إـنـتـ بـتـزـعـقـلـىـ لـيـهـ ؟

دـ. يـحيـيـ : عـشـانـ تـشـارـكـنـ يـاـ أـخـىـ

المـريـفـ : لـأـ ، مـاتـزـعـقـلـىـشـ

دـ. يـحيـيـ : لـيـهـ عـشـانـ اـيـهـ مـازـعـقـلـكـشـىـ

المـريـفـ : مـاـحـبـشـ حـدـ يـزـعـقـلـىـ

دـ. يـحيـيـ : أـمـالـ أـشـتـغلـ اـنـاـ اـزـاـيـ ؟

المـريـفـ : بـطـرـيقـةـ تـانـيـةـ ، بـالـرـاحـةـ

دـ. يـحيـيـ : لـأـ بـأـهـ ، مـاتـعـلـمـنـيـشـ شـغـلـىـ ، اـنـاـ اـشـتـغلـ زـىـ مـاـ
اـنـاـ عـارـفـ صـنـعـىـ ، وـاـنـتـ تـتـصـرـفـ

المـريـفـ : طـبـ مـاـشـ

دـ. يـحيـيـ : أـبـوـكـ عـنـدـهـ كـامـ سـنـهـ

المـريـفـ : 59ـ سـنـةـ

د. يحيى : أنا بشغل الشغلة دى لما كان أبوك عنده 9 سنين، باشتغل الشغلة دى بنفس الطريقة والعيانين بيحفوا، أعمل إيه. يعادل يا ابني أنا مش شايف حقيقي، إنك موجود لا من اللي انت فيه، ولا الوجع الأصلي، دى بيديتنا إن احنا نشوف وجعك، زي ما يكون حد سرقك ودى المصيبة، حد سرقك وانت استسلمت الناحية الثانية

المريض : انا كان حد قال انت مش حابنفع تبتدى إلا من النقطة اللي تتوجع منها

د. يحيى : أنا ماليش دعوة بالحد ده، دلوقتى، احنا مش عايزة رهن كلام، أنا وأنت هنا دلوقتى، انت معبيان على ، بصراحة ما انتش شايف وجعك، زي ما يكون أنا موجود لك، أنا أسف معلش يمكن الموضوع مش واضح قوى في اللحظة دى، الوجع اللي انا باتكلم عليه جوه قوى، انت بصفتكم بي آدم لازم افترض انه موجود، أنا مش شايف وجع بصحيح، الموقف الصعب اللي احنا فيه علمياً، ومعرفياً ومستقبلياً، موقف شديد المعوبة، ولكن مادام ربنا موجود يبقى نشتغل

المريض : يعني انت عاوزنى ابتدى من نقطة ان أنا أتوجع؟ لازم اتوجع الأول ؟

د. يحيى : لأ مافيش حاجة مصنوعة، أنا مش عايزة حاجة، أنا مش عايزة تسمع الكلام اللي انا باشاور عليه وخلاص، انت ياما عملت حاجات مصنوعة كتير بما فيها المدرارات، المدرارات ديها عواطف مصنوعة، دماغ مصنوع، أنا مش عايزة منك أى حاجة معينة، أنا عايزة أمد إيدى أنا وانت نشوف اللي موجود، هل تتصور ان وجعك مش موجود جو جواك، وان أنا عايزة تتوجع

المريض : ما هو موجود، بس مش عارف أطلعه

د. يحيى : بالظبط، فهو ده اللي احنا بندور عليه، أنا مش عايزة تتوجع، عايزة أخلى اللي موجود فيك يوصلك، فيوصلكي، وأظن إن دي بدایة حقيقة أنا مش شايف وجعك بصراحة، على الرغم من إن أنا اللي بافتراض إنه موجود، بس لسه مش واصلني

المريض : وانا مش شايفه انا كمان

د. يحيى : نفترض انه موجود

المريض : هو موجود أكيد، مافيش إنسان مش بيتوعد

د. يحيى: حق فيه حاجات يا ابني كثيرة انت قلتها مالهاش أساس، زي انك انت رفيق، وانت مش رفيق ولا حاجة، زي شكلك ما اعرفش إيه، وانت وسيم وزى الفل، يبدو ان فيه غلطة بين اللي موجود وبين الصورة اللي اترسلت في دماغك عنك، خدت بالك؟ فيه حاجز، حاجة كده حصلت، حاجز بينك وبينك . . . ، وصلك الكلام ؟

المريـف : مش فـاهـم آخر نقطـة دـى

د. يحيـى : زـى ما يـكون حـاـجز بيـنـك وـبـيـنـك، بيـنـ اللـى موجود وـبـيـنـ اللـى سـجـتـ انه يـطـلـع

المـريـف : غـرـيبة ! ! أـنـا صـدـقـتـ الكلـام دـه فـعلا

د. يحيـى : مش عـارـف ، مش مـتـأـكـد

المـريـف : لـأـنـا مـصـدـقـه

د. يحيـى : مـصـدـقـ اـيه

المـريـف : مـصـدـقـ مـوـضـوـعـ انـا فـي حـاـجز بيـنـ وـبـيـنـ نـفـسـيـ ، وـانـ
أـنـا مش عـارـفـ هوـ أـنـا أـيـ وـاحـدـ فـيـهـ بـالـطـبـطـ ، سـاعـاتـ أـبـقـى
كـدـهـ وـسـاعـاتـ أـبـقـىـ كـدـهـ عـلـىـ حـسـبـ الـحـالـةـ .

د. يحيـى : يا اـبـقـىـ كـتـرـ خـيرـكـ إـنـكـ قـلـتـ أـنـا مش فـاهـمـ ، طـبعـاـ
أـنـا طـبعـاـ أـنـا مـا اـقـصـدـ حـكـاـيـةـ سـاعـاتـ سـاعـاتـ دـىـ ، اـنـتـ
بـتـقـولـهـاـ بـطـرـيـقـةـ أـبـسـطـ ، كـتـرـ خـيرـكـ ، لـكـ اـنـاـ بـنـدـورـ عـلـىـ فـرـصـةـ
لـبـدـايـةـ جـديـدةـ ، مـنـ غـيرـ وـعـودـ ، يـالـلـاـ نـبـدـأـ مـنـ نـقـطـةـ الـوـجـعـ دـىـ ،
بـصـرـاحـةـ اـبـتـسـامـتـكـ اللـىـ بـتـضـحـكـ بـيـهاـ عـلـىـ النـاسـ هـىـ ضـمـنـ
الـحـاـجزـ دـهـ ، هـىـ اللـىـ نـرـفـزـتـنـىـ ، اـبـتـسـامـتـكـ الـقـبـيـحـةـ دـىـ هـىـ اللـىـ
بـتـمـدـ الفـرـسـ .

المـريـف : مـكـنـ يـبـقـىـ فـيـهـ فـرـصـةـ ، لـيـهـ لـأـ ؟

د. يحيـى : الكلـام دـهـ اـتـقـالـ قـبـلـ كـدـهـ مـبـتـ مـرـةـ ، عـايـزـينـ
حـاجـةـ مـاـ اـتـقـالـتـشـ ، عـايـزـينـ حـاجـةـ تـعـمـلـ دـلـوقـتـ ، تـسـمـحـ لـلـوـجـعـ
إـنـهـ يـاخـدـ فـرـصـةـ ، يـكـنـ يـطـلـعـ انهـ مـشـ وـعـجـ منـ اللـىـ بـيـخـوـفـ قـوـيـ
كـدـهـ ، اللـىـ بـيـسـحـقـ بـعـدـ ماـ بـخـيـبـ سـيـرـتـهـ ، وـجـعـكـ فـيـ حـضـورـ
وـحـضـورـكـ مـعـ بـعـضـ حـاجـةـ تـانـيـةـ .

المـريـف : أـنـا بـيـنـ وـبـيـنـ سـاعـاتـ باـشـكـ اـنـ مـافـيـشـ خـلاـصـ ، اـنـ
مـافـيـشـ فـرـصـةـ ، سـاعـاتـ بـسـ جـاـولـ أـضـحـكـ عـلـىـ نـفـسـيـ وـأـقـولـ يـنـفعـ

د. يحيـى : هـوـ إـلـيـهـ اللـىـ يـنـفعـ ؟ إـنـكـ تـشـوفـ وـتـشـكـ وـتـضـحـكـ عـلـىـ
نـفـسـكـ ، وـبـعـدـينـ تـشـوفـ وـتـشـكـ وـتـضـحـكـ عـلـىـ نـفـسـكـ ، تـلـاتـ مـراـحلـ
عـمـالـةـ بـتـتـكـرـرـ ، وـالـدـكـاتـرـةـ وـالـمـعـالـجـينـ يـصـدـقـوـكـ وـأـنـتـ بـتـلـعـبـهـاـ
بـاسـتـمـارـ يـكـنـ عـشـرـةـ اـتـنـاـشـرـ تـلـافـ مـرـةـ ، وـعـلـىـ فـكـرـةـ أـنـتـ مـنـ
قـبـلـ مـاـ تـضـرـبـ بـتـلـعـبـهـاـ هـيـهـ هـيـهـ

المـريـف : مـنـ قـبـلـ مـاـ أـضـرـبـ ! ؟

د. يحيـى : مـنـ قـبـلـ مـاـ تـضـرـبـ بـتـشـوفـ وـتـشـكـ وـتـضـحـكـ عـلـىـ نـفـسـكـ ،
فـاكـرـ لـاـ أـبـوـكـ رـبـطـكـ بـالـسـلـسـلـةـ الرـجـلـ الطـبـ الجـمـيلـ جـداـ جـداـ
الـوـدـيـعـ جـداـ
زـىـ ماـ بـتـقـولـواـ طـبـ هـوـ الـحـكـاـيـةـ قـدـيـعـةـ قـوـيـهـ يـاـ عـادـلـ .

المـريـف : يـعـنـىـ

د. يحيـى : شـوفـ يـاـ عـادـلـ ، أـهـوـ اـبـتـسـامـتـكـ رـجـعـتـ تـانـ

المريـف: لا مـارـجـعـتـش

د. يحيـيـ: انت بتـضـحكـ عـلـىـ نـفـسـكـ، انت عـارـفـ لـماـ بـتـرـجـعـ باـحـسـ انـكـ بـتـبـعـدـ، اللـىـ جـوـهـ مـاـبـيـقـاشـ فـيـ المـتـنـاـولـ خـالـصـ، مـاـبـيـفـضـلـشـيـ غـيرـ الـبـنـاعـةـ دـىـ، وـايـهـ مـلـعـوبـةـ كـويـسـ، بـتـفـلـاكـ خـالـصـ، اـبـتـسـامـةـ مـلـانـةـ، دـمـائـةـ، وـدـعـوـةـ وـحـاجـةـ زـىـ اـنـتـبـاهـ منـ بـرـهـ بـرـهـ، وـكـلـ دـهـ يـاـ عـادـلـ بـيـتـنـعـ، وـبـعـدـيـنـ الـوـسـخـ بـيـكـملـ، فـيـهـ عـادـلـ وـسـخـ، وـفـيـ عـادـلـ بـعـقـ وـحـقـيـقـيـ.

المـريـفـ: آه

د. يـحـيـيـ: الـابـتسـامـةـ دـيـهـ يـعـنـيـ كـرـيـهـهـ كـرـهـ، بـصـراـحةـ سـاعـةـ لـماـ بـتـظـهـرـ، اـنـتـ كـلـكـ بـتـبـعـدـ، وـسـخـ وـغـيرـ وـسـخـ، اـنـاـ مشـ عـارـفـ بـتـخـدـعـهـمـ اـزـاـيـ؟

عـادـلـ: يـعـنـيـ

د. يـحـيـيـ: تـيـجيـ دـلـوقـتـيـ تـقـاـيـسـ وـنـسـمـحـ لـلـوـجـعـ اـنـهـ يـطـلـعـ، وـلـوـ بـضـهـ، وـلـوـ ثـانـيـةـ، كـدـهـ مـنـ غـيرـ سـبـبـ، مـنـ غـيرـ تـفـسـيرـ، مـنـ غـيرـ كـلـامـ حـتـىـ ..

المـريـفـ: اـسـعـ بـالـوـجـعـ اـنـهـ يـطـلـعـ؟! يـعـنـيـ اـيـهـ؟

د. يـحـيـيـ: اـهـوـ كـدـهـ وـالـسـلـامـ، اللـىـ مـوـجـودـ خـالـصـ، مـنـ غـيرـ سـبـبـ وـمـنـ غـيرـ تـفـسـيرـ، وـمـعـاـيـاـ، إـذـاـ كـنـتـ شـايـفـ وـجـعـ، وـلـاـ اـنـاـ مـالـيـشـ وـجـعـ؟

المـريـفـ: اـزـاـيـ مـشـ فـاهـمـ!

د. يـحـيـيـ: يـعـنـيـ اـنـاـ مـشـ بـنـىـ آـدـمـ

المـريـفـ: آهـ أـكـيـدـ بـنـىـ آـدـمـ

د. يـحـيـيـ: يـبـقـىـ عـنـدـيـ وـجـعـ دـلـوقـتـيـ، وـلـاـ إـيـهـ رـأـيـكـ؟

المـريـفـ: أـكـيـدـ فـيـهـ أـيـ حاجـةـ قـدـيمـةـ

د. يـحـيـيـ: لـيـهـ قـدـيمـةـ؟ هـوـاـ حـايـرـوـحـ فـيـنـ، بـاقـولـكـ مـنـ غـيرـ سـبـبـ، بـقـولـكـ دـلـوقـتـيـ، .. اللهـ!

المـريـفـ: آهـ، دـلـوقـتـيـ، مـثـلاـ، مـكـنـ

د. يـحـيـيـ: طـيـبـ

المـريـفـ: بـسـ مـشـ حـاتـبـقـىـ حـقـيقـةـ أـوـيـ، يـعـنـيـ لوـ اـتـوـجـعـتـ مـنـ غـيرـ سـبـبـ حـاتـبـقـىـ، يـبـقـىـ دـىـ حـقـيقـيـةـ، اـنـاـ؟

د. يـحـيـيـ: هـوـاـ دـاـ اـلـأـصـلـ، قـبـلـ ماـ بـسـرـعـةـ نـلـزـقـهـ فـ حـاجـةـ تـبـرـهـ، دـهـ حـقـكـ، مـاـدـاـمـ اـتـولـدـتـ يـبـقـىـ تـتـوـجـعـ عـشـانـ تـكـبـرـ، وـتـعـمـلـ عـلـاقـةـ أـوـيـ حاجـةـ عـشـانـ كـدـهـ بـقـولـكـ مـعـاـيـاـ، مـعـ وـجـعـيـ.

المـريـفـ: مـشـ عـارـفـ اـعـمـلـ اـيـهـ يـعـنـيـ دـلـوقـتـيـ.

د. يـحـيـيـ: اـنـاـ بـاعـزـمـ عـلـيـكـ بـحـاجـةـ مـحـدـدـةـ بـسـيـطـةـ لـكـنـ صـعـبـةـ جـداـ، اـنـاـ مـتـصـورـ إـنـ أـهـلـكـ مـاـ عـنـدـهـمـ فـكـرـةـ عـنـ دـهـ مـنـ أـصـلـهـ

المريض : عن اللي واجعني

د. جيبي : لأه، عن الوجع اللي عمره ما طلع، ولا حتى يا عيني عند أبوك ولا أملك أيها فكرة عن لزومه، أنا بجد مش عارف كانوا خايفين منه ليه، مع ان هو خلقه ربنا، طول ما هو بعيد وملغي، يبقى شديد أكثر، ويقلب حاجة تانية

المريض : أنا أخاف أتوجه

د. جيبي : صح ، لأنه بعد ما اتكلتم زاد عن حده أوى أوى، بقى بيخوف، وأظن انت بتخاف تتوجه لأن لما بتيجي تتوجه تلاقي نفسك لوحدهك، ماحدش يقدر يتوجه لوحده يا عادل، ينسحق، عشان كده قولت لك معايا ، حاول على قدم ما تقدر، عندك كل الحق انك تخاف تتوجه، بس ياترى صدقتن اف باحاول معاك، على الله الخوف يقل شوية صغيرة ، أو يطلع سنه صغيرة على قدنا دلوقتي، برضه من غير أى سبب ولا هو ليه علاقة مباشره بالآدمان ولا بالضرر ولا بالاستهفيات ولا بأى حاجة، هو له علاقة بعادل بحق و حقيقي ، عادل زى ما ربنا خلقه .

المريض : فترة صمت (طويلة دقائق حتى قال): . . . أنا اخنقت كده

د. جيبي : قلنا من غير كلام

المريض : فترة صمت أخرى (دقائق أخرى، حتى قال): . . . ينفع كده .

د. جيبي : بس شايفك خايف

المريض : مش أوى

د. جيبي : هؤا إيه اللي ينفع

المريض : بقول ينفع اللي أنا عملته كده ، أنا حاولت بصراحة

د. جيبي: أنا مصدقك، ما هو مافييش حل تاني، أنا متهيألي أبوك عمره ماسمح لك بده، هو يوجعك معلش، أبوك عمره ماسمح لنفسه ولا لأمك، ماقدروش يستحملوا أمك، يستحملوا وجعك، لأنهم هم نفسمهم ما استتحملوش نفسمهم، أنا آسف، احنا غوطنا الظاهر قوى

المريض : شكرأ

د. جيبي: مع السلامة

- انتهت المقابلة

* * *

وقد أتمن أن نضيف جزء آخر !! من المعلومات والنصوص عن نفس الحالة، ربنا يسهل.

الإـلـيـاء 2008-11-12

439 - عودة إلى ملف الإدمان الحق في الألم: ضد الرفاهية (2)

الوفرة والرفاهية من الظاهر

هذا الجو الأسري: الرائق المنفيط المسطح الناجع الرخو المسامي
مقدمة :

ما زلنا نخاول اختبار منهج تقديم الحالات لزوار الموقع
(وما تلقى عاملاً) سواء المختص أو غير المختص.

بدأت أمس "من الآخر" بتقدم "مقابلة" مع المريض أثناء
الاجتماع العلمي التدريسي، وسوف نقدم اليوم مقتطفات
متعلقة بهذه المقابلة، من أوراق المشاهدة، وذلك بأقل قدر
من التعليق أيضاً، ونؤجل مقتطفات من اللقاء العلمي حول
الحالة إلى الثلاثاء القادم لنختتم بالتعليق العام يوم
الأربعاء الذي يليه.

لو سمعت لا تقرأ هذه الحلقة (النشرة) إلا بعد قراءة
حلقة أمس الحق في الألم: ضد الرفاهية^{"1"}، أو طبعها
ووضعها جوارك ما أمكن ذلك)

شكراً

أولاً: استدراك مبدئي:

سقط أمس أن الزميل المؤول لهذه الحالة، ورئيس قسم
الإدمان، د. نبيل غير عن عواطفه نحو المريض بما يتفق مع ما
أشرنا إليه أمس، علماً بأنه الزميل المؤول الموصى بدخولها
المستشفى، وجاء تعبيره هذا مهمًا بالنسبة للتاكيد على ما
أشرنا إليه أمس عن عاطفة الآخرين نحو المريض، بما يشير إلى
تلك الجاذبية الخاصة (حتى لو كانت سطحية) التي شكلت أغلب
عواطف المحيطين.

عقب د. نبيل بعد تقديم الموجز كالتالي:

د. نبيل: أنا فيه موقفين متناقضين بيني وبين عبده (مقدم
الحالة) أنا ما زالت شايف الأسرة أسرة مصرية تقليدية طيبة
عايزين يعملوا حاجات لأنفسهم وأولادهم وحالات بالشكل ده،

مش شايف باثولوجي (إمراضية) كبير في الأسرة ، رغم حكاية الخمور والخبيث، وبعدين عبده قعد يزن علينا ويلح فأنا بدأ أتراجع وخفت، لأن بآب الولد جب العيان فعلًا وعلائق بيه قدية، فمن جوايا تناقض: هل فعلًا شايف الحاجات بشكل موضوعي وإن الباثولوجي مش مفهوم وان الأسرة ديه ما تطلعش هذا النوع من المرض بهذا العمق وبهذه الإزمانية؟ ولا أنا بآب العيان لدرجة إن مش عارف أشوف المشكلة ومتش قادر أشوف الباثولوجي اللي موجود في الأسرة أو في العيان بس.

تعليق د. يحيى (الآن):

..... لم أذكر هذا الموقف المهم أمس، مع أنه كان الأهم، حيث أن د. نبيل رئيس قسم الإدمان له خبرة شديدة العمق في الطب النفسي عموما وفي هذا المجال بوجه خاص، ويستبعد أن يكون هذا الجذب من مريض دخل المستشفيات 18 مرة، وهو بهذه المقاومة، يستبعد أن يرجع الجذب الذي يصل للناس إلى تأثير ابتسامة ظاهرة كما أشرنا أمس؛ فلعل ذلك يكون أقرب إلى ما صنفناه بأنه "مزيج من الطفولة والجنس والجسارة"، والذي صاحب الجنون في حالة د. أيمية (نشرة استشارات مهنية 9 "جاذبية غير مفهومة") في حين تجلّى مع الإدمان في حالتنا هذه.

ثانياً: المقتطفات من المشاهدة Sheet

وصف موجز للأب:

- س.م.ن. في العقد السادس من العمر، مدير مالي بشركة. يبدو أصغر من سنه، أنيق، مبتسם طوال المقابلة، هادئ هدوءاً شديداً، كثير التأسف على أخطاء تافهه، يتوقف كثيراً أثناء حديثه لاختيار ألفاظ مناسبة، كثير التنقل بين الموضوعات، متاحمل على الأم، وكثير الثناء على نفسه، يائس من إمكانية علاج المريض دون انزعاج لذلك.

- تخرج من الجامعة بترتيب متقدم على الدفعة كلها، عرف عنه التفوق الرياضي حيث كان يلعب كره قدم لفريق الجامعة كما كان يشارك في الرحلات والكلاشفة، بعد تخرجه تنقل ناجحاً بين عدة شركات حتى صار أهم مدير في الشركة الحالية.

- عرف عن الأب الذكاء، والهدوء والأدب والطيبة وحب مساعدة الزملاء خاصة الأقل شأناً، وإن كانت علاقته بمديريه سيئة لعدم رغبته في التملق حسب ذكر الأم، محبوب في عمله بسبب تفوقه، محظوظ بحياة يهوى السفر مرة على الأقل سنوياً زار أغلى دول العالم.

بعد زواجه من والدة المريض بدأ في تعاطي الخمور في المناسبات والشهر يومياً خارج المنزل وجاراة الموضة والرقص، كما كان يقوم بتقديم الخمور بالمنزل كمجاراة للوسط الاجتماعي لزملاء العمل، انقطع خلال تلك الفترة عن الصلاة واستمر ذلك 10 سنوات حتى وفاة شقيقه و قريب صديق بعدهما قاطع جميع أصدقائه، وامتنع عن الشهر خارج المنزل كما امتنع عن تقديم الخمور بمنزله، والتزم بأداء الصلاة

بعوايدها وواظب على صلاة الفجر والعشاء بالمسجد، يحضر حفظة قرآن للمنزل مرة أسبوعياً حتى الآن، وملتزم بالتدريب بা�جيم حتى الآن 3 مرات أسبوعياً.

تعليق د. مجىء (الآن):

يلاحظ هذا النوع من الطموح الاجتماعي والمادى والوظيفى، الذى حقق التفوق بشكل مفطود، ولم يقتصر التفوق في الدنيا، بل امتد إلى التفوق في الحصول على الدرجات النهائية المطلوبة لآخرة أيضا دون اهتمام بأى تعارض محتمل، وأيضاً امتد إلى عنایته بحسبه، حسب التعليمات الأكثر حداثة!! (جيم 3 مرات ... إخ)

الأب تكملاً:

يصفه المريض هكذا:

"...ملتزم في كل حاجة، متدين، دمه خفيف، مهتم بشغله قوي، رياضي، ملتزم بصلة الفجر في الجامع حتى في الشتاء، يعيش السفر، كريم قوى، مهتم بظهوره جداً، اللي في دماغه في دماغه، لو زعل ما يتكلمش إلا لما اصالحة، شايف ان هو الصح دايماً، مايديش فرضه اللي قدامه يتكلم"

تضيف المريض في موضع آخر:

ماكنتش باشوفه كتير على طول مشغول، لكن ينفذ طلباتي وساعات كان يقعد يذاكر لي، هو مؤمن قوى بالثواب والعقاب، وانا باعمل مشاكل كتير فيبقى يعني من المتصروف، يحبسني في البيت، وعلى طول خاصمني، ممكن يخاصمني 6 شهور، ودائماً شايفني شقى وبتاع مشاكل، وعلى طول يشتكي مني بسبب المخدرات ولما يخاصمني أتبسط لأنّي أهأعمل اللي أنا عاوزه، لما بطلت المخدرات تسع شهور ولعبت رياضة كان بيحاول يصاحبني وكنا بنخرج كتير مع بعض)

تعليق د. مجىء (الآن):

نلاحظ هنا كيف أن لهذا الوالد حضوراً محسوباً رائعاً، يمكن أن يعتبر إيجابياً من حيث الشكل، لكن يبدو أنه كان يمارس رسالة الثواب والعقاب من فوق السطح على مستوى الظاهر فقط، ويدون أية علاقة حقيقية أو إحاطة حامية، أو حوار، أو اختلاف حلاق.

الأم تصف الأب:

"...محترم جداً جداً، كريم جداً، عطاء جداً جداً، عب للحياة، بيملى في الجامع، محبوب قوى في شغلة لأنه شاطر قوى، ماجبتش التملق، الحياة عنده وردى وردى، مش عاوز يسمع مشاكل، ما مجبش يشيل مسئولية، نجاشه في شغلة وتدينه والسفر والفسح هما كل حياته."

تضيف الاخت:

"...بيحاول يكسب عطف الناس بأخلاقه، ما يرفضش طلب أحد، قافل منه على المبادئ اللي فيه، دماغه ناشفة جداً."

تعقيب د. يحيى (الآن) :

لاحظ: عدد المرات التي استعمل فيها التأكيد : جداً جداً، وأيضاً: بيعاول يكسب عطف الناس، وخلاص
وتذكر الأم أيضاً عن علاقة المريض بأبيه:

هو شخصية متحفظة جداً اللي يهمه الشكل والمظاهر قدام الناس المهم الناس حاتشوف إيه، وعادل مشاكله كتير وشقى، فكان عادل بتصرفاته بيفضحه قدام الناس فما كانش ياخده معاه في مكان وكان رافض كل اللي بيعلمه، علاقته بعادل بس إنه يسمع مشاكله ويدى أوامر، وعقاب، ييشى،

تعقيب د. يحيى (الآن) :

وكأنه كان يقوم بكل ذلك ليحسن صورته أمام الناس أولاً وأخيراً (أين عادل؟)

تكمـلـ الأمـ :

مشاكل المدرسة مالوش دعوة بيهـ يقول روحي انتـ، ولو فيه مشكلـهـ كبيرةـ هاتدخلـ وأولـ ماـ عـادـلـ عملـ حـادـثـةـ بالـعـرـبـيـهـ ربـطـهـ فـيـ السـفـرـةـ منـ إـيـديـهـ،ـ لـكـنـ لـمـ لـاـ خـدـرـاتـ قـالـ سـيـبـيـهـ كلـنـاـ جـربـنـاـ وـاحـنـاـ صـغـيرـينـ.ـ وـلـاـ تـبـطـ وـدـخـلـ فـيـ الـبرـشـامـ بـقـيـ يـخـاصـمـهـ بـالـشـهـورـ،ـ وـاـنـاـ اـشـيلـ لـهـ لـمـ اـتـعبـ،ـ أـشـتـكـيـ،ـ يـدـخـلـهـ المـسـتـشـفـيـ،ـ وـخـلاـصـ،ـ 18ـ مـرـةـ !ـ

تعقيـبـ دـ.ـ يـحـيـىـ (ـالـآنـ)ـ :

ما زالت التربية تسير بالحسابات الشكلية،
في نفس الوقت الذي يتمادي فيه "التفويت" حق الهراء،
مادام لا يشهـوـهـ المـنـظـرـ.

تكمـلـ الأمـ :

وعـادـلـ فـيـ تـانـيـةـ ثـانـيـةـ ثـانـيـةـ بـابـاهـ ضـربـهـ عـلـقـةـ جـامـدـهـ قـدـامـ اـصـحـابـهـ فـيـ الشـارـعـ لأنـهـ كـانـ رـافـضـ يـرـجـعـ الـبـيـتـ،ـ بـعـدـهاـ عـادـلـ بدـأـ يـتـجـراـ عـلـيـهـ،ـ وـبـابـاهـ يـخـاصـمـهـ،ـ لأنـهـ مـاـ بـيـعـرـفـ يـردـ عـلـيـهـ بـلـفـظـ مـشـ مـهـذـبـ (ـأـوـحـشـ كـلـمـهـ عـنـدـهـ يـاـ حـارـ).ـ

تعـقـيـبـ دـ.ـ يـحـيـىـ (ـالـآنـ)ـ :

الإـهـانـةـ أـمـامـ الأـقـرـانـ (ـأـصـحـابـ عـادـلـ)ـ هـىـ مـنـ أـكـثـرـ مـاـ يـكـنـ أنـ يـلـحـقـ بـشـابـ الأـذـىـ فـيـ هـذـهـ السـنـ وـطـأـةـ،ـ وـيـبـدوـ أـنـهـ كـانـتـ مـنـ أـمـمـ عـوـاـمـ التـمـادـيـ فـيـ الرـفـضـ المـعـلـنـ بـالـتـعـاطـيـ وـالـاسـتـغـرـاقـ فـيـ اللـذـةـ،ـ

كـمـ نـلـاحـظـ أـيـضاـ هـذـاـ الأـدـبـ الجـمـ الذـيـ يـمـرسـ عـلـيـهـ الـوـالـدـ وـأـنـ غـايـةـ مـاـ يـسـمـحـ بـهـ لـنـفـسـهـ حقـ يـشـتمـ اـبـنـهـ هوـ قـولـهـ يـاـ "ـحـارـ"،ـ عـلـمـاـ بـأـنـ هـذـاـ الـوـالـدـ قـدـ وـلـدـ فـيـ حـىـ شـعـىـ جـداـ فـيـ القـاـهـرـةـ لـأـبـ تـاجـرـ مـتوـاـضـعـ نـازـحـ مـنـ الصـعيدـ.

تضييف الأخـت عن عـلـاقـة الأبـ بـعـادـل:

قبل المـخـدرـات بـابـا يـعـاقـبـه كـتـير وـبـعـد المـخـدرـات بـيـعـاملـه كـيـانـه مشـ مـوـجـود وـلـو اـتـكـلم يـبـقـى نـصـائـح لـأـنـ بـابـا ضـعـيفـ وـما يـجـبـشـ المـواـجـهـه وـيـخـافـ أـحـسـنـ عـادـلـ يـغـلـطـ فـيـهـ.

تعـقـيـبـ دـ. يـحيـيـ (ـالـآنـ) :

لـعـلـ منـ أـهـمـ ماـ يـفـصـلـ المـوـقـعـ المـرـادـ تـعـريـتـهـ هـنـاـ هوـ تـعـبـرـ
ـالـأـخـتـ ..ـ لـأـنـ بـابـا ضـعـيفـ وـماـ يـجـبـشـ المـواـجـهـهـ،ـ هـذـاـ النـوعـ منـ
ـالـضـعـفـ الـذـىـ لـاحـظـتـهـ الـابـنـةـ مـازـالـ يـؤـكـدـ الـمـسـتـوـيـ الـظـاهـرـ الـعـلـنـ
ـلـلـصـورـةـ الـقـىـ هـىـ كـلـ مـاـ جـرـمـ عـلـيـهـ الـأـبـ عـلـىـ حـسـابـ حـقـيقـةـ ذـاتـهـ،ـ
ـوـعـلـىـ حـسـابـ عـلـاقـتـهـ بـابـنـهـ،ـ هـذـاـ الـأـبـ:ـ كـلـ هـمـ أـنـهـ "ـيـخـافـ أـحـسـنـ
ـعـادـلـ يـغـلـطـ فـيـهـ"ـ،ـ كـلـ هـمـ أـلـاـ يـعـرـفـ جـمـعـهـ الـخـاصـ شـيـئـاـ عـنـ سـلـوكـ
ـابـنـهـ حقـ لـاـ يـشـوـهـ صـورـتـهـ،ـ هـذـاـ هـوـ الـمـهـ جـداـ،ـ فـقـطـ وـلـيـسـ
ـعـادـلـ.

ـخـصـيـةـ الـأمـ:

ـمـ.ـبـ.ـسـ اـمـرـأـةـ فـأـخـرـ الـعـقـدـ الـخـامـسـ،ـ بـهـ جـمـالـ حـىـ،ـ وـلـدـتـ
ـبـنـفـسـ الـحـىـ الـشـعـبـىـ،ـ وـالـدـهـاـ وـصـلـ إـلـىـ درـجـةـ أـكـادـيمـيـةـ عـالـيـةـ بـعـدـ
ـكـفـاحـ فـعـلـ مـتوـسـطـ،ـ عـرـفـ عـنـ أـسـرـتـهـ الـالـتـزـامـ الشـدـيدـ وـالـتـفـوقـ
ـالـعـلـمـىـ،ـ حـجـتـ مـرـةـ وـاـحـدـةـ وـاعـتـمـرـ عـدـةـ مـرـاتـ وـكـانـتـ تـحـفـظـ عـدـةـ
ـأـجزـاءـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ،ـ قـلـ تـدـيـنـهـ فـالـعـشـرـةـ سـنـوـاتـ
ـأـوـاـئـلـ مـنـ زـوـاجـهـاـ حـيـثـ لـازـمـتـ وـالـدـ الـمـرـيـضـ فـسـهـرـاتـهـ وـجـبـهـ
ـلـلـمـوـضـةـ وـالـسـفـرـ،ـ تـعـرـفـ حـالـيـاـ بـتـدـيـنـهـاـ،ـ وـكـرـمـهـاـ الـشـدـيدـ،ـ
ـكـثـيـرـ الـأـصـدـقـاءـ،ـ كـثـيـرـ الـشـكـ،ـ مـتـقلـبـةـ الـمـزـاجـ،ـ تـهـوـيـ الـمـرحـ،ـ تـعـشـقـ
ـمـشـاهـدـةـ الـتـلـيـفـيـزـيونـ.

ـيـصـفـهاـ الـمـرـيـضـ:

ـطـيـبـةـ،ـ مـتـدـيـنـةـ،ـ هـادـيـةـ،ـ حـلـالـةـ مـشـاـكـلـ،ـ عـلـاقـتـهاـ بـالـنـاسـ
ـكـوـيـسـةـ،ـ نـاجـحةـ فـالـشـغـلـ،ـ مـاـتـعـرـفـشـ تـبـخـ،ـ تـتـنـرـفـ بـسـرـعـةـ وـتـهـدـاـ
ـبـسـرـعـةـ،ـ تـحـبـ تـهـمـ بـعـظـهـرـهـاـ.

ـيـصـفـهاـ الـأـبـ:

ـتـحـبـ تـعـيـشـ الـلـحظـهـ،ـ مـاعـنـدـهـاـشـ خـطـطـ لـبـكـرهـ،ـ مـتـرـدـدـهـ،ـ عـفـوـيـهـ فـ
ـرـدـودـ أـفـعـالـهـ،ـ عـاطـفـيـهـ قـويـ،ـ الـلـىـ فـدـمـاغـهـ فـدـمـاغـهـ،ـ
ـمـاـتـجـامـلـشـ،ـ مـوـاعـيـدـهـاـ مـشـ دـقـيـقـهـ،ـ تـتـكـلـمـ كـوـيـسـ،ـ تـبـالـعـ شـوـيـهـ فـ
ـالـكـلـامـ،ـ مـالـهـاـشـ فـالـمـظـاهـرـ،ـ عـنـدـهـاـ اـصـحـابـ كـثـيرـ،ـ لـاـ تـغـلـطـ صـعـبـ.
ـتـنـاسـفـ.

ـتـصـفـهاـ الـأـخـتـ:

ـطـيـبـةـ جـداـ،ـ قـرـيـبـةـ لـيـنـاـ جـداـ،ـ حـنـينـةـ،ـ تـحـبـ الضـحـكـ
ـوـالـتـهـرـيجـ،ـ اـجـتـمـاعـيـهـ جـداـ،ـ شـاطـرـةـ قـويـ فـالـشـغـلـ،ـ تـحـبـ تـعـملـ خـيرـ
ـكـثـيرـ،ـ عـاطـفـيـهـ وـتـحـكـمـ بـعـوـاطـفـهـاـ،ـ تـخـضـعـ لـلـزـنـ بـسـهـولـةـ،ـ كـسـولـةـ،ـ
ـقـلـوـقـةـ قـويـ،ـ تـتـوـقـعـ الـلـوـحـشـ،ـ سـاعـاتـ تـعـكـ فـالـكـلـامـ،ـ بـتـنـسـىـ
ـجـامـدـ.

يمكى المريض عن علاقتها به:

... العلاقة كويسة قوى، باحكي لها كل حاجة كأنها واحد صاحبى لأنها قريبة قوى مني، دايماً فاتحة ل مجال انى اتكلم معها فى كل حاجة ، أقول لها انا ضارب ايها واوريها المدرارات. هي الى مهتمة بي. زمان كانت توديني النادى وهي كانت ولية أمرى في المدرسة، وهي تعرف صاحباتى وكانت بتسمح لهم بجول البيت لكن من نوع اوضة النوم، أنا عارف آخرها ايه وبأخذ منها اللي أنا عاوزه.

تذكر الاخت عن هذه العلاقة:

عادل عارف نقطه ضعفها وعارف انها بتزهد بسرعة فيبيلعب عليها لأنها عارف انها بتحبه جداً، واحنا صغيرين دائمأ عاوز طلبيات زيادة، ماما ترافق في الأول يزن عادل شوية، ياخذ اللي عاوزه، هي دائمأ تدور عليه تشوفه بيعمل ايها، وتبقى جنبه عارفة عنه كل حاجة، بس ده مفيظ العلاقة بينهم، نصحتناها كتير تبعد شوية عنه علشان تعرف تتكلم معاه، تسمع الكلام ساعة، اول ما جس هو مجرى عليها تحن على طول وتقدر جنبه، ودائماً يتفرجوا على التليفزيون مع بعض، ولما يدخل المستشفى ما تعرفش تعمل حاجة إلا السؤال عليه.

تعليق د. حمدى (الآن):

هذه الأم تبدو من الظاهر مثلاً جيلاً للطيبة، والخنان، والمداقاة، والإحاطة، والرعاية، يمكن أن يعتبر ذلك شكلاً من أشكال التدليل، إلا أن المسألة ليست بهذه البساطة، بدأ علاقتها كأنها أصبحا واحداً، وأن عادل يقوم - نيابة عنها - بكل التحديات التي تتمناها من حرکية الانطلاق، ولذة الاعتمادية على الأسهل، فالأسهل، ولذة الأسرع فالأسرع.

وبالتالي يتمادي عادل - لحسابها جزئياً - وهو مطمئن، فتزداد هي طيبة أمام الناس، وحضوراً برائعاً، في الحدود التي تحافظ على صورتها التي رسمتها لنفسها، ويزاداد هو - نيابة عنها - في كل شيء آخر: في الجنس، والحصول على اللذة بالكميات والاستهمال.

العلاقة بين الأم والأب، يصفها المريض:

"..... متفاهمين جداً، بيحبو بعض وبيخافوا على بعض وبيساعدوا بعض في حاجات كثيرة، بيعترموا بعض جداً لأنهم متدينين وبيراعو ربنا في علاقتهم ، بيخرجنوا مع بعض يقابلوا أصحابهم كثير، هي شایفة انه عاقل وملتزم وهو حابب فيها انها زي طفلة صغيرة ."

يذكر الأب عن ذلك:

.... العلاقة من الأول مرت بمراحل صعبة، أنا منظم أحب الهدوء والاحترام جاد قوى، احترم نفسي، ملتزم بالحقيقة والثانية وهي مش كده، ما عندهاش الدقة والجدية ، تحب تصرف

كثير وتنكـتـ، وأـنـا أـحـبـ لـبـسـهـا يـبـقـيـ أـكـثـرـ التـزـامـاـ وـكـلامـهاـ بـجـسـابـ، وـهـىـ كـدـهـ تـلـقـائـيـةـ وـأـنـا بـاخـافـ إـلـىـ قـدـامـهـاـ يـفـهـمـهـاـ غـلـطـ وـيـطـمـعـ فـيـهـاـ، وـلـاـ كـنـتـ أـوـاجـهـاـ تـغـضـبـ وـتـرـوـحـ لـأـهـلـهـاـ، وـكـنـاـ نـتـخـاصـمـ فـتـرـاتـ طـوـيـلـةـ لـكـنـ عـمـرـنـاـ مـاـغـلـطـنـاـ فـبـعـضـ، عـمـرـيـ مـاـشـمـتـهـ شـتـيمـهـ وـحـشـةـ، لـكـنـ الـعـلـاقـةـ مـنـ فـتـرـةـ كـبـيرـةـ مـسـتـقـرـةـ وـالـدـنـيـاـ هـادـيـةـ جـداـ جـداـ لـمـاـ هـيـ هـدـيـتـ.

وتذكر الأم عن هذه العلاقة:

الـعـلـاقـةـ كـوـيـسـةـ جـداـ، تـقـدـرـ تـقـوـلـ زـيـجـهـ نـاجـحةـ وـحـيـاتـنـاـ مـاـشـيـةـ مـاـعـنـدـنـاـشـ مـشـاـكـلـ، عـلـاقـتـنـاـ كـوـيـسـةـ لـأـنـ بـيـنـاـ اـحـتـرـامـ، عـمـرـنـاـ مـاـغـلـطـنـاـ فـبـعـضـ، وـأـكـدـتـ الـأـخـتـ عـلـىـ وـصـفـ الـأـمـ.

تعقيـبـ دـ.ـ يـحيـيـ (ـالـآنـ):

إـذـاـ كـانـتـ الـعـلـاقـةـ، بـشـاهـدـةـ أـصـحـابـهـاـ بـهـذـاـ الجـمـالـ وـهـذـهـ السـلـامـةـ، مـنـ عـلـىـ عـسـلـ، رـجـلـ طـيـبـ نـاجـحـ مـلـتـزـمـ، وـأـمـرـأـ طـفـلـةـ تـلـقـائـيـةـ هـائـصـةـ مـسـاخـةـ، وـكـلـ شـيـءـ تـقـامـ التـمـامـ هـكـذاـ، فـكـيفـ تـفـرـزـ هـذـهـ الـعـلـاقـةـ كـلـ هـذـاـ الـخـرـابـ وـالـدـمـارـ دـاـخـلـ هـذـاـ الشـابـ الجـذـابـ هوـ الـآخـرـ، هـلـ كـانـتـ الـمـسـأـلـةـ كـلـهـاـ كـلـهـاـ مـنـ بـرـهـ بـرـهـ حـتـىـ لـمـ يـصـلـ إـلـىـ دـاـخـلـهـ مـاـ يـشـكـلـهـ فـكـيـانـ لـهـ قـوـامـ؟ـ

عـادـلـ كـانــ -ـ بـرـغـ وـسـامـتـهـ وـطـولـهـ -ـ يـشـكـوـ مـنـ ضـعـفـ بـنـيـتـهـ وـاهـتزـازـ شـكـلـهـ.ـ (ـأـنـظـرـ النـهـاـيـةـ)

لـمـ تـقـتـصـ سـلـامـةـ الـعـلـاقـةـ كـمـاـ وـصـفـتـ هـذـاـ عـلـىـ بـيـتـ بـرـجـواـزـيـ مـغـلـقـ، بلـ اـمـتـدـتـ إـلـىـ سـفـرـ لـلـخـارـجـ وـصـحـبـةـ مـعـاـ، وـأـصـحـابـ مـنـطـلـقـيـنـ، وـشـرـبـ، ثـمـ اـنـتـقلـتـ بـعـدـ ذـلـكـ (ـوـمـعـ ذـلـكـ) إـلـىـ تـدـيـنـ يـعـدـ بـرـفـاهـيـةـ الـآخـرـةـ أـيـضاـ.

فـالـمـقـابـلـةـ الـتـيـ عـرـضـنـاـهـاـ أـمـسـ، وـحاـولـنـاـ أـنـ نـظـهـرـ اـفـتـقـارـ المـرـيفـ إـلـىـ "ـالـخـقـ فيـ الـوـجـعـ"ـ (ـآـلـمـ/ـالـنـمـوـ)ـ كـانـ ذـلـكـ اـسـتـحـاجـةـ لـلـفـرـضـ الـذـيـ وـصـلـنـاـ مـنـ كـلـ هـذـهـ الرـفـاهـيـةـ الـجـمـيلـةـ الـرـخـوـةـ السـهـلـةـ الـمـنـسـابـيـةـ،ـ الـتـيـ تـصـبـحـ مـعـهـاـ آـلـمـ النـمـوـ أوـ قـدـيـاتـ الـعـلـاقـةـ تـزـيدـاـ لـلـزـومـ لـهـ،ـ

وـمـنـ هـنـاـ جـاءـ خـتـوـيـ المـقـابـلـةـ أـمـسـ يـبـحـثـ عـنـ هـذـاـ الفـرـضـ بـشـكـلـ أـوـ بـآـخـرـ.

(4) مـعـالـمـ وـقـلـيـاتـ الرـفـاهـيـةـ وـالـوـفـرـةـ

دـخـلـ الـأـسـرـةـ عـبـارـةـ عـنـ رـاتـبـ الـأـبـ بـإـلـاضـافـةـ لـدـخـلـ عـلـمـ الـأـمـ وـإـيجـارـ شـقـةـ وـرـاتـبـ الـأـخـتـ،ـ جـمـمـوـعـ كـلـ ذـلـكـ 48ـ أـلـفـ جـنـيـهـ شـهـرـيـاـ.

يـسـودـ الـجـوـ الـأـسـرـيـ الطـابـعـ الـدـينـيـ وـالـهـدـوـءـ الشـدـيدـ،ـ اـعـتـادـ الـأـسـرـةـ عـلـىـ التـجـمـعـ عـلـىـ الإـفـطـارـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ مـنـ كـلـ أـسـبـوـعـ وـالـخـرـوجـ لـصـلـةـ الـجـمـعـةـ ثـمـ الـخـرـوجـ لـتـنـاـوـلـ الـغـدـاءـ خـارـجـ الـمـنـزـلـ،ـ كـمـاـ أـنـ الـأـبـ مـرـضـ عـلـىـ أـنـ تـسـافـرـ الـأـسـرـةـ لـلـخـارـجـ مـرـةـ سـنـوـيـاـ مـدـدـةـ أـسـبـوـعـ عـلـىـ أـلـقـلـ لـلـتـنـزـهـ بـأـيـ بـلـدـ مـنـ بـلـادـ الـعـالـمـ.

تعـقـيـبـ دـ.ـ يـحيـيـ (ـالـآنـ):

طيب!! ماذا تبقى بعد ذلك يفسر أن يلجم عادل إلى المخدر هكذا!!!!
يذكر المريض عن جو المنزل:

هادئ مافيش قلق مافيش توتر، لازم نتغدا مع بعض كل يوم
جعنة بره البيت، وماما وبابا بيتحفلوا بعيد جوازهم والدنيا
هاديه، وكل يوم ماما تستنى بابا لما يرجع من الشغل ويتدوا
مع بعض، وأختي بتتغدى لوحدها، أنا المشكلة الرئيسية.

تعليق د. حمبي (الآن):

هل هناك ما هو أسعد ولا أطيب من هذا؟

ولكن فيم يصب كل هذا؟ نسمع الأم هذه المرة وكأنها
انتهت إلى أن كل هذا لا يعني البهجة أو الفرحة الأخلاقية.
تقول الأم في ذلك:

اللى بيجي البيت يقول البيت كثيب، باباه مايتفرجش
على التليفزيون، يا على السرير يا إما في الجامع، وعالية
لوحدها، يا في شغلها أو بتذاكر أو في الجامع، أنا
تليفزيوني أنا عادل والموضوع ده ما يعجبهمش، لكن كل
يوم جعنة لازم نتغدا بره وطول الصيف في مارينا وبنسافر
تقريبا كل سنة لبلد أسبوع أو 10 أيام

(أكيد كل من الأب والأخت على ما ذكرته الأم هنا)

تعليق د. حمبي (الآن):

هذا هو المستوى الذي تحقق من هذا الوجود الناعم:

الوفرة واللهة !!

فالفراغ الدوامة

(5) الأخت:

(أكبر من عادل بستين) عالية حاصلة على بكالوريوس من
جامعة الأمريكية، تقوم بعمل الماجستير في جامعة أجنبية لها
فرع بالقاهرة، تعمل بشركة مهمة جداً، عمل مهم أيضاً.

تحفظ القرآن الكريم كاملاً على يد محفظة تزورها مرة
أسبوعياً بالمنزل، حالياً تقوم بـالقاء الدروس للسيدات بأحد
المساحات بالمعادي، بالغت في تدينيها أثناء دراستها بجامعة
الأمريكية حيث كانت ترتدي جلباباً طويلاً وفضفاضاً وحجاباً
طويلاً، ترفض السلام على الرجال أو الحديث معهم، ترفض سماع
الأغاني والموسيقى استمر ذلك لعماين سالفين بعدما بدأ في
ارتفاع البطن وحالاته مع حجاب قصير اعتمرت مرة واحدة.

يصفها المريض:

شخصيتها قوية، حاسمة، متدينة، تقدر تقول مدمنة شغل،
ما تحب تشريع وقتها، عاقلة قوى، تعمل خير كثير في الجامع
وكده، مش ست بيت.

تصفها الأم :

لغاية أولى ثانوى كانت متمردة وتحب اللبس الخارج، شاطرة في لعب الاسكواش، شاطرة في المدرسة، عندها اصحاب كثير جداً كلهم بنات، حافظة القرآن وتقيم الليل وتصوم كثير، تدى دروس في الجامع، مش جريئة، عندها اعزاز جامد بنفسها، ماتعرفش تتعامل مع ولاد، غيرت لبسها بصعوبة بعد زن جامد علشان إتأخرت في الجواز.

عن علاقتها بالمريض يذكر:

زمان كانت كويسيه، نلعب مع بعض، نروح النادي مع بعض، كنا بنتنافس، بس أنا كنت بآغىـر منها، أشوفها بتعمل حاجة عمل زيها، هي على طول أحسن مني حتى في الاسكواش، عالية الشاطرة المحبوبة المتفوقة المؤدية، وعادل شقى قليل الأدب بتاع المشاكل، حتى لما ما يقاش ينفع أقلدها دخلت هي في الدين جامد وانا دخلت في المخدرات، أنا باحترمها لأن شخصيتها قوية ماتسائلش على ومايهمهاش أمري كلمنتى في التبطيل مرة واحدة أو مرتين، يمكن علشان هي أنانية تحـبـ مصلحتها بـسـ.

تعليق د. يحيى (الآن) :

هذه الأسرة أفرزت هذه الفتاة "الناجحة جداً" هي أيضاً بطريقتها، وهي أيضاً تجمع بين رفاهية الدنيا والآخرة، ويظهر ذلك ليس فقط في شكل نشاطها، ولكن أيضاً في تطور ملابسها من الفوضفة إلى البداء.

أما علاقتها بعادل، فهي كما جاء بالنص أعلاه،

هذه الأسرة يمكن أن تفرز هذه الفتاة الناجحة القادرة الرائعة،

في نفس الوقت هي التي يخرج منها عادل بهذه الثورة الزائفة التي تقود اللذة للذلة.

(6) تاريخ المريض الديني

مارس عادل العبادات بشكل متقطع، وحسب الظروف، بما في ذلك أداء عمرة عائلية، وكل مظاهر التدين الرسمي الخفيف.

وبسؤاله عن علاقته بالله يذكر:

.....مش كويسيه، باحس إنه بيقرب مني وبيساعدني وانا مدبله ظهري، بافتكره في الأوقات الصعبة، حسيت بيـهـ لماـ كـنـتـ مـبـطـلـ 9ـ شـهـورـ،ـ كـنـتـ بـادـعـيـهـ الصـبـحـ واـشـكـرـهـ بـالـلـيـلـ،ـ وـلـوـ فـيـهـ أيـ إـحـسـاسـ أوـ فـكـرـةـ مـضـايـقـانـ اـدعـيـهـ يـرـفـعـهـ عـنـهـ،ـ وـقـرـبـتـ منهـ معـ إـنـ مـاـكـنـتـشـ بـأـصـلـيـ،ـ سـاعـاتـ اـصـلـيـ وـأـنـ ضـارـبـ (ـمـدـراتـ) عـلـشـانـ آـخـدـ هـدـيـهـ،ـ أـنـاـ عـارـفـ إـنـ النـاسـ الـمـتـدـيـنـ نـاسـ مـسـتـرـجـةـ وـرـاضـيـةـ وـمـبـسوـطـةـ بـالـلـيـلـ هـيـ فـيـهـ زـىـ أـهـلـيـ.

تعقيب د. يحيى (الآن) :

يلاحظ هنا تعدد خاور علاقة عادل بالدين والله، فمن ناحية هو يعرف الدين أهله "ناس مستrigة وراسية وبمبوسطة"

ومن ناحية ثانية: هو لا يجد تعارضاً أحياناً بين الشرب (مخدرات) وبين طيبة هذه العلاقة مع الله "عشان أخذ هدية"

ومن ناحية ثالثة: هو ينمي علاقة خاصة مع الله سبحانه وتعالى.

(7) التاريخ الجنسي

- تعرّض عادل للتحرش الجنسي في سن 10 سنوات مع ولدين من جيرانه بشكل عابر.

- أول علاقة جنسية كاملة كانت في سن 15 مع فتاة ليلى تكبره بـ 3 سنوات بشقة أحد الأصدقاء.

- وفي نفس السن أقام علاقة كاملة مع فتاة عربية تعرف عليها أثناء علاجهما بأحد المستشفيات، كانت مدمنة بتعالج معاباً ولها خرجنا اتقابلنا في شقة صاحي، وهي كانت سادية تحب تضرب وكانت يتربط في السرير علشان تتبسيط.

في سن 18 عام أقام علاقة كاملة مع فتاة ليلى تكبره بـ 4 عاين وتكرر ذلك 3 مرات: كانت بتحبني وكنت باخد منها فلوس علشان أضرب وعلمتها الشرب.

في سن 20 عام وأثناء إقامته بأميركا أقام علاقة جنسية كاملة مع فتاتين الأولى تكبره بـ 5 سنوات والثانية فتاة تصغره بـ 4 عاين وهي رفيقة تعاطي أقامت مع المريض 4 شهور بشقة استأجرها بأحد الفنادق (كانت بتجيبيلى كوكايين وكانت بفانام معها كل يوم).

كما أقام علاقات كاملة 3 مرات على الأكثر مع العديد من زميلات المدرسة (NA) (5 فتيات) في السنوات الثلاث الأخيرة (كنت بآجى الاجتماعات اشوف الخريط وهما اللي بيحكوا) وبسؤال المريض عن موقف الأهل من ذلك:

".....ماما كانت بتقولي خلي بالك من الأمراض، خلي بالك لتشيل ذنب بنت أو تعملك مشكلة وكنا بننكى في الكلام ده عادي."

تعقيب د. يحيى (الآن) :

برغم حذف كثير من التفاصيل، وبغض الأحداث المكررة يمكن أن نلاحظ كيف أن العلاقات الجنسية سارت بنفس الطريقة التي سادت جو النشأة عموماً، الاستسهال، اللامسئولية،

اللذة العابرة ،

اللاعقة ،

ولا يبقى شيء له معنى بعد هذا كلـه .

(8) التاريخ الدراسي

المرحلة الإعدادية: أتم المريض سنوات دراسته في مدارس عالمية باهظة التكاليف، والمدرسة ليس لها حضور وغياب، والدراسة بدون عرق ودين، وفيها لعب كثير وكلـه بینجح: هذا ما أكدـه كلـ من الأب والأم .

اعتمـد في استذكار دروسه على الدروس الخصوصية في جميع المواد حيث لم يلتزم بالحضور وتم فصلـه عدة مرات بسبب عدوانـه على الزملاء والمدرسـين وتدخـين السجائر وشرب الخمر بالمدرسة مما اضطرـ مديرـة المدرسة إلى استدعاء ولـ الأمر العديد من المرات، مما انتهى بـ عمل تعاقد مع المريـض على أن يلتزم بالحضور بدون تأخـير وعدم إثارة الشـغـبـ، ولم يلتزم بذلك حيث تم رفـده قبل امتحـانـ نهاية العام بأسبوع ولكـنه قـام بأداء الامتحـانـ بعد عـدة مـحاـولاتـ من الأـهـلـ .

كانت للمريـض عـدة هـواـياتـ حيث التـزـمـ بالـتـدـريـبـ فـلـعبـيـ الاسـكـواـشـ وـالـفـروـسـيـةـ لـنـادـيـ المعـادـيـ وـدخلـ عـدة مـساـبـقـاتـ ولمـ يـحـصـلـ عـلـىـ أيـ مـرـكـزـ فـيـهاـ .

تعقيـبـ دـ.ـ عـيـيـ (ـالـآنـ)ـ :

استـهـمالـ آخرـ فـيـ مـجاـلـ آخرـ

عادـلـ يـصـفـ هـاشـاشـ ذـاـتـهـ وـعـلـاقـةـ ذـلـكـ بـرـحلـتـهـ مـعـ المـدـرـاـتـ:

"..... جـسمـيـ ماـكـانـشـ عـاجـبـيـ، طـوـيلـ قـويـ وـرـفـيعـ، كـنـتـ بـالـبسـ بنـطـلـونـ تـحـتـ الـبنـطـلـونـ وـالـتـىـ شـرـتـ تـحـتـ الـتـىـ شـرـتـ عـلـشـانـ اـبـانـ اـحـسـ وـدـهـ فـضـلـ مـعـايـاـ خـدـ 19ـ سـنـةـ وـدـهـ كـانـ بـيـخـلـيـ خـاـيفـ منـ النـاسـ ."

مـوـضـوـعـ الـحـرـكـةـ الـكـثـيرـ وـالـمـشاـكـلـ كـنـتـ حـابـبـهاـ لأنـهاـ بـتـخلـيـنـ، لكنـ بـرـضـهـ كـنـتـ خـاـيفـ، وـلـاـ اـبـتـدـيـتـ اـجـربـ المـدـرـاـتـ حـسـيـتـ انـ كـبـيرـ، صـاعـيـ وـعـنـدـيـ ثـقـةـ فـيـ نـفـسـيـ وـأـضـرـبـ مـدـرـاـتـ، يـبـقـيـ حـاـكـلـ نـسـوانـ وـهـيـبـقـيـ لـمـكـانـ وـسـطـ النـاسـ الـلـىـ اـكـبرـ مـنـ لـأـنـ مـعـامـ الـإـمـكـانـيـاتـ الـأـكـبـرـ، عـربـيـةـ، فـلـوـسـ، نـسـوانـ ."

كـنـتـ عـاـوـزـ اـحـسـ بـالـاخـلـافـ، ماـ اـصـاحـبـشـ العـيـالـ الـلـىـ قـدـىـ لـأـنـ كـنـتـ بـاـشـوـفـ الـأـصـغـرـ تـاـفـهـيـنـ وـتـفـكـيـرـهـمـ صـغـيرـ، وـأـنـاـ وـجـسـمـيـ كـانـ طـوـيلـ فـكـانـ سـهـلـ اـنـ اـقـعـدـ مـعـ نـاسـ اـكـبـرـ مـنـ وـاـخـاجـةـ الـلـىـ كـانـ مـكـنـ تـبـقـيـ مـشـتـرـكـةـ الـمـدـرـاـتـ، بـقـيـتـ اـشـوـفـ النـاسـ الـلـىـ بـتـعـملـ حـاجـاتـ غـلـطـ هـمـ الـلـىـ مـعـرـوفـيـنـ فـبـقـيـتـ اـحـبـ الـغـلـطـ، اـبـقـيـ ضـدـ الـجـمـعـ، ضـدـ الـدـيـنـ، ضـدـ الـحـكـوـمـةـ، المـمـنـوـعـ مـرـغـوبـ. وـبـدـأـتـ آـخـدـ مـدـرـاـتـ وـأـنـاـ عـنـدـيـ 13ـ سـنـةـ كـانـ عـلـىـ سـبـيلـ الـتـجـرـبـةـ أـخـذـ بـاـخـجـوـ

عجبنى الدماغ، حسيت إن كده مبسوط ومزاجي رايق، خلاني باعرف اهوج وحسننى إن بقىت صايع، فده حبىبي اكتر فيه، كنت شايف اصحاب بيشربوه بقالهم فتره وعادى ما يحصلهمش حاجة، وأنا كنت شايف الشباب اللي بتشربه مثل أعلى، قعدت اشربه سنتين، 6 سجائير في اليوم مع حشيش نصف قرش، الخشيش دماغه هاديه، حبيت البانجو اكتر من الحشيش، أهلى عرفوا بعد ما شربت بأسبوعين، ودون لدكتاره كتير، بعدين عرفت ابو صليبة قعدت فيه سنه ونصف من 2 - 4 حبايات في اليوم استحلاب وشم، ودى ياه كانت بتدينى ثقة في نفسى جامدة، بتخلينى قلى ميت وما باخفش، يعني اعرف اخش على حرمة وأثبتها، لكن زود المشاكل في البيت، لسان ثقيل بنام كتير، وعصى جداً وتكسير إزار، اتخانق معاه وده خلام دخلون المستشفى. أول ما خرجت رجعت على طول للبانجو والخشيش والصليبة وبعدين اتعرفت على الحب الكبير، الأب الكبير، الذهب الأهر، الكودافين. اشرب إزاره الكودافين اطلع اخطب مكان حسنى مبارك. كنت باحبه قوى، تمايدت فيه قوى وبقى يخلينى مستريح جداً جداً، باقول كلام حلو، هادئ جداً، أثبت النساء في التليفون، حلو في الجنس، بيساعدنى في المذاكرة، بيخلينى اعرف اقعد وكمان اركز، شويه وببدأت اخد معاه سومادريل وبيركلاز شريط وشريط مع الإزاره مع الخشيش والبانجو وده لمدة سنتين ولما غلى الكودافين من 2001 اتعرفت على البوودره. في الأول حرق بعدين PRK لما قالوا دماغها أحلى وأقوى وصلت لـ 4/3 جرام في اليوم اعمل مشاكل ادخل المستشفى ومشى النظام على كده.

- جربت إيكستازى من 99 مرة واحدة بعدين دخلت فيها 2001 في مصر، مش حاقولك يخليلك أسعد إنسان، يتزود هرمون السعادة لأقصى درجه، بقىت أحسن إن أسعد إنسان في الدنيا وكل حاجة مخلولة وتديق طاقة جامدة قوى تخليني أرقص، الميهها حبوب الرقص، 3 - 4 حبايات لما تكون موجودة عمرى ما قلت عليها لا لخد دلوقى، أما الكوكايين فهو أحسن خدر أخذته في حياتى، الدماغ العالية قوى حب الناس، بالقى اجتماعى يديك ثقة قوية قوى في النفس، يمسك انك أعظم إنسان في الدنيا ماشى على الأرض، وفيك طاقة قوية جداً وجربت L.S.D والماشروم. في أمريكا وهولندا، كنت مدمدن إكسات فى أمريكا فتاجرت فيها سنة من حى فيها علشان أجيب فلوسها، كنت باطلع حق 3 - 4 حبايات في اليوم، حتى للمخدرات كان بيخلينى كل ما نروح بلد احب اجرب المدررات فيها، أهلى يتفسحوا ويستمتعوا بطريقتهم يلفوا على أماكن سياحية ويلفوا مواطن العالم وأنا ألف أدور على المدررات، ما أروحش بلد إلا لما اطلع مدررات منها، انزل المناطق الشعبية اشوف ضريب الأغبيه تطلع مدررات، كنت بأسيب أهلى في فرنسا وأسافر هولندا، جبت كل الخيرات. يمكن موضوع السفر بوظني اكتر، كنت باشوف بلاد جديدة، افتتاح اكتر دماغي فيها تقاليد وعادات بلاد كتير، بقىت اركز الناس بتاكل إزاى بتعامل إزاى بتتبسط إزاى.

الأب يحيى ويصف ويبر:

- عادل طول عمره محب الغلط، محب جرب كل حاجة ما بخش يبقى جوة نظام، ما عندوش boundaries وده خلاه على طول يغلط واحنا نصلح غلطه، وداعياً يتشتم يا غنى ويا همار يا كذا وده ما خلاش عنده ثقة في نفسه، والموضوع ده بدأ وهو عنده 5 سنين، حركة كبير، مافيش تركيز، ما يعرفش يقعد، زن كتير على طلبات ومافيش حاجة السها تأجيل، لازم دلوقتي، ما فيش عقاب ببأثر فيه، يتتعاقب ويرجع يعمل الحاجة تانى، كان بيعجزني، احبسه 3 ساعات يقول يعني اطلع الساعة كام وما يتتأثرش.

- عاقبته عقاب شديد ربطته بسلسلة من إيهديه في طربizza السفرة لمدة يومين وبقى يعجزني، يقول أنا كده ممكن افك نفسي؛ اربطني بالطريقة الفلانية، بلا مبالاة، بقيت، أعقابه جامد، وما فيش فايدة.

- أول ما يزن على امه تكسر كل اللي عملته فزحت منه وما بقتش اكلمه واخاصمه.

من وصف الأم:

أكيد علشان مشاكله الأولانية كان مکروه ومش محبوب فما كاناش عنده ثقة في نفسه، ما يعرفش يصاحب بنات، الوقت ثقيل عليه قوى يقول إيهـ 3 ساعات مش عاوزين يعدوا دول دهر، وهو ما يعرفش يأجل، عادل أول لما أحد باغتو اتبدل، مابقاش فيه مشاكل، مافيش مدرسين تستكتي، مافيش خناق، ولا عوايز كتير وبقى طفل جميل هادئ بيسمع الكلام، فيبقى متمسك بيها جداً!! يقول الوقت بيعدي كده والحياة حلوة.

لكن لما دخل في البرشام فضح الدنباـ سرقة من البيت ومن الشارع وتكسر البيـت، وكـنا مستحملين علـشـان الـدرـاسـة ولـما بدـأ يـاخـدـ كـوـدـاـفينـ كـتـيرـ، جـالـهـ سـكـرـ وـهـ عـنـدـهـ 14ـ سـنـةـ وـكـانـ عـنـدـهـ ضـعـفـ منـاعـهـ وجـالـهـ روـبـوـ وـسـعـالـ دـيـكـيـ وبـقـىـ كـتـومـ ماـ يـتـكـلـمـشـ فـالـمـوـضـوـعـ دـهـ إـلـاـ لـمـاـ اـضـغـطـ عـلـيـهـ يـقـولـ الشـعـنـيـ أـنـاـ اللـيـ جـيـلـيـ سـكـرـ وـاـنـاـ صـغـيرـ آـخـدـ اـنـسـوـلـينـ لـيـهـ؟ـ وـبـقـىـ خـايـفـ لـيـمـوتـ، وـبـقـىـ يـضـرـبـ كـتـيرـ، عـلـىـ طـوـلـ نـائـمـ عـلـىـ رـوـحـهـ إـذـاـ دـخـلـنـاهـ مـسـتـشـفـىـ مـخـرـجـ يـقـولـ آـخـدـ حـشـيشـ بـسـ نـعـرـضـ يـقـولـ مـاـ اـنـتـوـ كـنـتـوـ بـتـشـرـبـواـ خـمـرـاـ خـشـيشـ مـشـ مـشـكـلـةـ، كـامـ يـوـمـ وـيـرـجـعـ لـلـمـشـاـكـلـ، نـدـخـلـهـ مـسـتـشـفـىـ، وـهـكـذـاـ بـقـىـ شـايـفـ انـ المـسـتـشـفـىـ هـيـ المـشـكـلـةـ، وـدـيـنـاـ اـمـرـيـكاـ جـامـعـةـ عـسـكـرـيةـ عـلـشـانـ يـتـعـودـ عـلـىـ النـظـامـ وـكـانـ هـاـيـلـ، اـوـلـ سـنـةـ بـطـلـ خـنـدـراتـ، بـقـىـ يـشـرـبـ خـمـرـةـ فـيـ آخرـ الأـسـبـوـعـ، وـيـكـ إـنـدـ، تـانـىـ سـنـةـ الدـنـبـاـ اـخـرـيتـ، طـرـدـوهـ مـنـ سـكـنـ الـجـامـعـةـ وـسـرـقـ كـارـتـ فـيـزاـ، مـنـ وـاحـدـ صـاحـبـهـ وـاتـعـلـمـ لـهـ قـضـيـةـ وـلـسـهـ شـغـالـةـ خـدـ دـلـوقـيـ، وـتـاجـرـ فـيـ extasyـ وـنـزـلـنـاهـ مصرـ بـالـعـافـيـةـ، دـخـلـ مـسـتـشـفـىـ 18ـ مـرـةـ وـرـكـبـ كـبـسـوـلـةـ مـرـتـينـ، كـلـ يـوـمـ حـادـثـةـ عـرـبـيـةـ، زـوـدـنـاـ مـصـرـوـفـهـ لـ 350ـ جـنـيـهـ فـيـ الأـسـبـوـعـ غـيرـ سـجـاـيـرـ وـبـنـزـينـ عـرـبـيـتـهـ وـمـوـبـاـيـلـهـ عـلـشـانـ مـاـ يـسـرـقـشـ، وـبـقـالـهـ فـتـرةـ مـاـ سـرـقـشـ وـلـاـ حـاجـةـ، هـوـ اـتـعـالـجـ قـبـلـ كـدـهـ وـقـالـوـاـ خـلاـصـ عـادـلـ خـفـ وـتـعـالـلـوـ اـحـتـفـلـوـ بـيـهـ وـرـحـنـاـ وـرـجـعـ تـانـىـ، اـحـنـاـ اـمـرـهـ دـىـ بـنـعـملـ لـهـ الـلـىـ تـقـولـوـاـ عـلـيـهـ وـمـشـ مـصـدـقـيـنـ اـنـهـ مـكـنـ بـخـفـ.

ثم كيف تراه هذه الاخت؟

ما عندوش ثقة في نفسه، يبص على جسمه ويقول انا شكل وحش وطويل ورفيع ورجلى رفيعه ومش قوى، أى حد ممكن يضربي، فبقى يصاحب اللي اكير منه بـ 4 - 5 سنين وبقى جب الغلط، جب يعمل الممنوع لأنه بيخليله ميز وده خلاه يتقال عليه شقى وغنى ويتاع مشاكل وخلاف، ليس الموضوع ده لدرجة ان العقاب ما بقاش يأثر معاه، والموضوع زاد لما ماما بقت تتعامل مع الموضوع ده على انه خفة دم وجراة، يبήج في مدرس أو يشتتم يقول شاطر، بيرد على المدرسين، وطبعاً معاه فلوس وإمكانيات، وهو أصلاً عنده استسهال فظيع فيبدأ يأخذ مhydrates، وطبعاً هي حلوه لقي نفسه فيها وبقى عادي في البيت إنه يشرب حشيش وباجو، وما عندوش وازع ديني، وعزيمته ضعيفة فليه يبطل؟ مع انه لما بطل كان فرحان وميسوت وحالس بأمان، لكن مالقاش بديل ما حبش اصحابه بتوع الـ N.A.

مشكلة عادل انه عارف آخر ماما وبابا. يزن على ماما تقوله اعمل اللي انت عاوزه، وبابا وبعد عنه وبخاصمه بالشهور ويهرب من المسؤولية مجحة إنه مش عاوز يهين نفسه، وده حقيقي لأن بابا ما يجيش الغلط وما يعرفش يقول لفظ وحش.

وقفة ووعد وصعوبة

انتهت المقطفات من أوراق المشاهدة

نقوم الأسبوع القادم بالتعليق على المقطفات الأخيرة،
كما سوف نضيف المقطفات من الشرح والمناقشة بعد اللقاء
العلمي التدريسي الذي قدمت فيه الحالة

لعل الأمر قد اتضح في هذه النشرة بما كنا نعنيه أمس من أن عادل نشا في هذا "الجو الأسرى الجميل الناجح الطموح
الذى الرخو المسامح المنضبط"

ثم كان ما كان، وقد حرم حق الألم الخلاق، لم النمو كما
أوضحنا أمس.

- كل الرموز والأسماء والأماكن لا تدل على أصحابها أصلأ.

الـثـلـاثـاء 25-11-2008

452- الدرمان من الحق في الألم، والرفاهية المساعدة (3)

(تعقيبات وردود)

مقدمة :

لم نكمل حالة عادل بعد، هذه هي الحلقة الثالثة، ومع ذلك جاءتنا تعقيبات هامة تحتاج إلى ردود لعلها تفيد.

ملحوظة: برجاء قراءة الحلقتين السابقتين في يوميي "الحق في الرفاهية (1)" ، "الحق في الرفاهية (2)" فالاختصار لا يفيد، ومع ذلك فهذه هي محاولة محدودة كال التالي:

"عادل شاب عمره 24 سنة، ذو بداية مبكرة وتاريخ طويل في الاعتماد على المواد المخدرة والاتجار بها، مريض سكر منذ صباحه كما كان مصاباً باضطراب فرط الحركة منذ طفولته، ذو تاريخ عائلي ايجابي في الاعتماد على المواد المخدرة من قبل الآب والأم معاً، في انتظار الحكم في قضية تعاطي.

بدأ التعاطي من سن 13 سنة، وتعثر دراسيه، كما تذبذب حتى الفشل في محاولات العمل، وهو ما زال يحاول إكمال الدراسة، دخل المستشفيات للعلاج 18 مرة وانتكس في كل مرة.

وعرض في هذا اللقاء العلمي الإكلينيكي لمناقشة الحالة والتخطيط العلاجي في مواجهة كل هذا الفشل.

والده ناجح بكل المقاييس المعاصرة المتاحة في المال، والمركز، والمتعة، والسفر، ثم التدين لزوم ضمان الجننة (من وجهة نظره)، وأمه عادلة باهتة الحضور شديدة السماح، ناجحة أيضاً في بيتها ووظيفتها (وهي نفس الطريقة برغم اختلاف نوع الشخصية) بطريقتها.

الـرـفـاهـيـةـ الـمـسـاحـةـ

أنس زاهر

1- المشكلة كما أرى هي أولاً وقبل كل شيء مشكلة ثقافة. حالة عادل تتمحور حول علاقاته الأسرية التي تم استعراضها أبرز ملامحها في الحلقة الثانية. أول مظاهر الاعتلal في الثقافة التي

أشرت إليها هي التسطيح. خذ حكاية تدين الأبوين مثلاً وستكتشف أن المسألة ليست سوى رشوة لله بغرض دخول الجنة. إنها معادلة تم قياسها بالليمنتر تلحاً إليها كثير من الأسر العربية التي تنتمي إلى الطبقة المتوسطة الرفيعة أو للطبقة المهمشة. سنوات من اللهو دون حساب، ثم سنوات من التدين، وهكذا يكسب الإنسان الدنيا والآخرة وكأنه تاجر يود الخروج من كل الصفقات، بأقصى قدر ممكن من الأرباح.

د. مجىء:

أوافقك من حيث المبدأ، فقط أحذر من البدء بالاستبعاد، (أولاً وقبل كل شيء)، لماذا لا يكون الذي يقع هنا في المقام الأول هو الاستعداد الوراثي، ليس للإدمان بشكل خاص، وإنما الاستهداف للاهتزاز فالاضطراب فالتوازن الكاذب والخلول الزائف؟ بل لماذا يكون هناك أصلاً ما هو أول وثاني... إلخ.

لقد تعلمنا من المرضى، وبالذات من حالات الإدمان، وما علمتنا إياه مؤخراً العلوم الكمية Quantum الأحدث، والشواش والتراكيبية .. إلخ، وهو هو ما حاولت الفلسفة وخبرات التصوف أن تعلمنا إياه. لقد تعلمنا من كل ذلك ألا نسارع بترتيب أولويات ما على السطح، على حساب بقية العوامل وطبيعة الأعمق.

واحدة واحدة يا أنس لو سمعت، العوامل تتداخل بشكل رائع مربع معًا، فلا تسقط أفكارك المعاذرة هكذا بهذه السرعة.

أنس زاهد

2- ثانية مظاهر الاعتلال في ثقافتنا هو تهميش الفرد لحساب المؤسسة الاجتماعية. الفرد بحد ذاته ليس له قيمة ذاتية ، وإنما القيمة ترتبط بمعنى ما يمكن أن يحققه من مجاهرات حسب مفهوم النجاح الذي يجدد المجتمع. وهذا يتجلّى في شخصية الأب.

د. مجىء:

هذا صحيح، لكنني أعود أذكرك بالحذر من التعميم، "ثقافتنا" فللاسف، أو لحسن الحظ، أنه لم يعد لدينا ثقافة واحدة، بل ثقافات متعددة، وهذه ليست ميزة، وأيضاً ليست عيباً صرفاً، ربما أدى هذا الاختلاف إلى يقظة ما، فحركة ما.

ثم إن التأكيد على قيمة الفرد في جتمعات متقدمة جداً، وحرة جداً، لم يمنع من انتشار ظاهرة مثل الإدمان مثلما هي منتشرة عندنا وألعن، إذن لا بد من التأق في إصدار الأحكام.

أنس زاهد

3- ثالث مظاهر الاعتلال هو الكبت الذي يتجلّى في شخصية الأم... ولا أعتقد أن الأم راضية عن حياتها الجنسية مع زوجها المتحفظ جداً، فهذا النوع من الشخصيات حسب اعتقادى يمارس الجنس بشكل سطحي للغاية. إنه لا يترك لنفسه حتى التفوّه بالألفاظ المثيرة التي يصنفها البعض بأنها خارجة، أثناء

مارسة العملية. الأم متقلبة المزاج ، وشخصية تبدو حية جدا بالمقارنة مع زوجها. وهذا مؤشر إلى أنها لا تمارس الجنس بالشكل المطلوب مما ورث لديها شعورا باخرمان أدى إلى تقبلباتها المزاجية الحادة. الزوج يقول أنها لا تهتم بمظهرها في حين يقول التقرير عكس ذلك ، وهذا يعني أن الزوج لا يقدر أنوثتها بالشكل الكاف وهو ما يسهل إدراكه بالنسبة لأية امرأة تحمل قدرها من الحيوية.

د. جيبي:

هذه الاستنتاجات المباشرة، الجاهزة تزعجني أكثر فأكثر، برغم أنها شائعة في المسلسلات، وبغض الإبداع المسطح، وأنت - على ما أعرف - لا تنتمي لهذا أو ذاك.

لا يقاس نجاح الجنس أو فشله ب مدى اختراقه لل地貌 بالسماح بالتفوه باللفاظ المثيرة (الخارجة)، ولا يقاس أيضا باستعمال أحد الطرفين للأخر ولا باستعمالهما بعضهما البعض بلغة شدة الفحولة أو نعومة الغنچ ما وصلني من الجزم الذي تصف به هذا أو تلك هو رؤيتك أنت من زاويتك أنت، وهي رؤية من حقك، لكنها ليست بالضرورة غاية المقصود.

الجنس الإنساني يا أنس هو الجنس الحواري المعرف الخلائق وهو ذو حضور آخر، وله نبض آخر، وإن لم تكن له حق الآخر - مقاييس مباشرة، اللهم إلا ناجحة الإنسان الإبداعي على الطرفين معا، دعنا نأمل أن نسر بعض غوره يوما ما، فنتحول بعض ملامحه لمن يهمه الأمر، لعل عددا أكثر فأكثر من الناس يعرفون، أو يتعرفون على بعض معناه أو حق معلم الطريق إليه.

أما هكذا:

فأعذرني

لا أنت محظوظ (من وجهة نظرى)

ولا هذين الزوجين يهمها ما يدور حوله حوارنا الآن
(غالبا)

أنس زاهر

4- رابع مظاهر الاعتلال هو الهروب من المواجهة. حياة زوجية فاشلة بهذا الشكل لم يكن من المفروض أن تستمر. لكن حرصا على إرضاء المجتمع كذب كل من الزوجين على نفسه واستمرا في ممارسة علاقتهمما المرضية.

د. جيبي:

هذه الأحكام أيضا فيها وثقانية جافة، تقول: "لم يكن من المفروض أن تستمر"، هكذا خبط لزق،
والعلاقة تصفها خبط لزق أيضا - بأنها "مرضية" ، مع أنها
نتردد مائة مرة قبل إصدار تصنيفات الصحة والمرفق بهذه السهولة.

لماذا تستهل إصدار الأحكام هكذا وأنت قادر على غير ذلك.
شكرا يا أنس
وأرجو أن تراجع موقفك ومنطقك دون أن تتراجع
بالضرورة.
شكرا.

الحق في الألم: ضد الرفاهية
د. محمد أحمد الرخاوي
خلقنا بغاية الكرم
وغاية التكريم
"(نفحنا فيه من روحنا)"
فسجدت الملائكة
د. مجىي:

لسجود الملائكة تفسيرات عديدة يا محمد
اختبرنا بالطاعة المطلقة
في الجنة!!!!!!
وكانت شجرة
ثم ثمرة
فعصي آدم ربه
ثم تاب عليه وهدي
وقال "(اهبتو منها جميعا)"
د. مجىي:

الطاعة المطلقة أيضا لها تشكييلات متنوعة، بعضها خلاق، وبعضها عدم صرف، وهي عموما ليست كل شيء، الطريق إلى المعرفة ليس فيه طاعة مطلقة بالمعنى السطحي، وإن كان فيه طاعة أخرى لا داعي للخوض فيها الآن.

(أكتفى بهذا مجرد دعوتك إلى أن تهدئ اللعب،
ثم دعنا نرجع لما يتعلق بالحالة).
د. محمد أحمد الرخاوي

يخرج الإنسان من عاورة وجوده، إذا فقد الألم ان يتصل بأصله، يطلب أيام وصله!!!!، يتحول الإنسان الآن إلى كتلة عبئية، من فقدان المعنى، فالكده، فالاهداف، يفقد ألمه!!!!، يُثبت شقاءه، يغشى نفسه بكل الأغطية، التي تطفسه، يتمزد داخله، لا يرضي إلا أن يدور، في لاغائيه، فتزداد الهوة، بين ما هو"\ ما خلق من أجله\، وبين ما أصبح، فيأي المصير،"\ إن يشاً يذهبكم، ويأت بخلق جديد"\، لكي يحملوا الأمانة.

د. مجىء:

هل ترى يا محمد أن الخل الأمثل هو أن يذهب الله بنا ويأْتِ
خلق جديد،
أم أن علينا أن نسعى إلى وجهه ونخْلُق أنفسنا من
جديد؟

ما علينا

د. محمود حجازى

أشكرك على هذا الجهد الرائع مع هذا التحدى وصعوبة
المنهج وصعوبة توصيل هذا الكلام ليس فقط لغير المختص، ولكن
لكل من لا يعرف هذا المنهج في قراءة النص البشري، لم أستطع
تحمل حقى في الألم.

د. مجىء:

تصور يا محمود أنني لا أعمل حساب الأكاديميين والمنظرين
الذين يختلفون معى في أهمية الحزن والألم في مسيرة النمو، بقدر
ما أعمل حساب عامة الناس والإعلامabant و الدراما المسطحة
والدين التسكينى المستبعد لغير ذلك.

أنا يخيل إلى أن كل هذا قد يرمي ويرمي الناس على أن
الحياة الصحيحة هي الدعة والطمأنينة السلبية، والرفاهية،
بدون ألم، بدون خوف، بدون حزن، ما هذا الذي يفعلونه يا
محمود، يا شيخ: حق الحيوانات لا تقبل هذه البصاعة.

عدم استطاعتك يا محمود ألا تختتم ألمك، هي بداية اعترافك
به .. ما أروع الصعوبات الداعية للتعامل معها.

أ. عبده السيد على

الحق في الألم شيء حترم، وساعات كثيرة باشوف نتائجه في
الشغل، بس عندي مشكلة: أنا كثير زمايلى يقولو مع حالات
فيها مقاومة شديدة ما ينفعش تتألم ... للعيان، أعمل إيه
في ناس متبلدة وصعب تتألم؟

د. مجىء:

لم أفهم رأى زملائك تحديداً، ربما ينبعونك ألا تبالغ في
التتألم للمريض، الألم البناء هو الملا فن "مع" المريض، ليس
له، ولا بالنيابة عنه،

تعرف رأى يا عبده أنه لا يوجد "ناس متبلدة"، يوجد
ناس يخافون أن يتتألموا في وحدة مطلقة حتى لا ينسحقون،
انسحاب العواطف (الوجوديات) الأصلية ليس بالضرورة
متبلداً، وقد يكون في كثير من الأحيان نوعاً من الهرب من
العلاقة.

أ. عبده السيد على

وصلني اتهام للأهل بالتقىص، أنا عاذرهم جداً من جوايا،
ومنش عارف ليه، يكن علشان النجاح الظاهر ده بيحقق
القبول، واستمراره ما قداش غرضه.

د. مجىء:

لم أقصد، ولم يصنفي، هذا الاحتمال بالتهم الأهل بالتقىص
(اللهم إلا من الصديق أنس زاهد وقد ردت عليه قبلك حالاً)
حاولة للتعرية خطأ ما، إن لم يكن لهؤلاء الأهل بالذات أو
لابنهم، فلغيرهم من يخدعون في مثل هذا النجاح وهذه الرفاهية
الناعمة الكاذبة.

حين بدأت الممارسة الطبيعية منذ خمسين عاماً ولدة ليست
قصيرة، كانت عندي مشاعر سلبية نحو مثل هؤلاء الأهل، كنت حين
أتيقن من دورهم في إحداث المرض لدرجة الخنون المفخّم
Folie Inposé، كنت أرفضهم وأبغض ضدهم وكانت قد انتشرت أيامها
شائعة علمية عن "الأم المحدثة للفحصام *Schizophrenogenic Mother*",
لكنني بتقدم الممارسة تراجعت عن ذلك رويداً رويداً،
فأصبحت أركز أساساً على حaulة رؤية المجرى الآن "العوامل
المدية Perpetuating Factors" لإمكان إيقافها، الآن، بدلاً
عن التفريح في الماضي بما يتربّط عليه وضع اللوم والاتهام،
أما أن النجاح "ما قداش غرضه" فهو فعلًا ما قداش غرضه،
بل العكس.

د. محمد الشاذلي

إننا لا ندرك أو لا نصدق أن لنا حقاً في الألم والحزن
والكرهية والغباء، إن قيمة الرفاهية تخلق "صوبات
زجاجية"، حول من تحب أن تخيمهم من حق العذاب والوجع - هي
التي تحرّمهم تلقائياً من حق الحياة، لكن الصعوبة الحقيقة
تكمّن في إمكانية السماح بالألم، ورؤية الألم، مع دعم ضام كافٍ
دون إفراط في الحماية أو عمّى عن الرؤية، أظن أن الحق في الألم
يسمح به عندما نسمح بالرؤية والمسؤولية والرغبة في الحياة
دون تجميل مزيف أو تشويه يائس.

د. مجىء:

يا خبر يا محمد، وصلني كلامك باعتباره "المختصر المفيد"،
تعبير الرائع "صوبات زجاجية" فرحت به حق حسدتك وأنا
أتعجب لماذا لم يخطر على بالي هكذا، طهانى تعقيبك هذا إلى أن
ما نمارسه مع كل المرضى بلا استثناء تقريباً كل ثلاثة، وحن
نعرف عليهم أن يعارضو حقهم في الحزن (وبدرجة أقل الألم) دون
الإسراع بلصق هذا أو ذاك بأسباب عابرة أو ظاهرة، ودون
كلام أو شرح أو تعبير لفظي، لعل كل هذا قد ساهم في تكوين
هذه الرؤية البليغة، بهذا الإهتز الرائع، ياه!! إذن نحن
نعمل شيئاً يكن أن يوصف.

فقط أريد أن أضيف أننا لا نستطيع أن نسمح لهم (الأولادنا أو لمرضانا) بمعايشة الألم البناء والحزن الجياش المبدع، إلا إذا س Hanna لأنفسنا بهذا وذاك بأى درجة من المدق.

شكراً.

د. إسلام إبراهيم أحمد

مش فاهم إزاي المريض لعيها من زمان لما أبوه ربطه ، مش فاهم إزاي الابتسامة تكون في مثل هذه القوة في خلق مسافة بين الداخل والخارج .

د. مجبي:

أظنك تعرف حالة الصي الذى أشارك في علاجه هذه الأيام مع الزميلات د. ماري، د. مى، وأ. عبير، أ. علاء، وآخرين، أنا أرى أن في هذا الصي -دون ذكر اسمه- قوة يمكنها أن تكسر كل الأصنام أولها طموحات و الده المغتبة ، واستعماله لأبنه لتحقيقها بكل مقاييس الأب حتى حدث ما حدث .

عادل هنا أيضاً بيادى، منذ كان في سن صديقى الصي هذا: ساخر عنيداً قوياً تماماً، هل تذكره حين وجه أباًه أن يحسن ربطه "هكذا"، أو حين نظر في الساعة وهو يقول "فاضل كام" من زمن العقاب (الحبس).

د. إسلام إبراهيم أحمد

وصلنى أن في هذه المقابلة التي عرضت بنصها تقريباً، تحرك عند المريض شيء في الأعماق
وصلنى أننا فقط نحاول أن نحرك لا أن نعالج بالمعنى الطبيعى،
يا د. مجبي شوقتنا المريض ده وصل دلوقتى لحد فىين.

د. مجبي:

أما ما وصلك فقد وصلنى أنا أيضاً، واتضحت لي معالمه أكثر أثناء كتابته

ولعل الحوار كان أقدر على التوصيل من الوصف.

أما عن ما وصل إليه هذا المريض الآن، فسوف استفسر عن ذلك من الزملاء، علماً بأن الحالة هي من الحالات الأقدم (قبل سنوات)، وأنا اعتمد ذلك إمعاناً في الميلولة دون التعرف على أحد برغم تغيير الأسماء وغير ذلك.

وبعد

أتوقف الآن - مرغماً - لنكمel غداً التعقيب النهائي بدءاً بما دار في الاجتماع العلمي التجربى.

الإـلـيـعـاء 26-11-2008

453- حالات وأحوال: الدرمان من حق الألم (4)

تحريك الوعي قسراً، وأوهام التغيير

(الإدمان: دفع لنحو كاذب)

مقدمة :

ليكن....!!!

ولتأخذ "الحالات" معظم مساحة النشرات، ربما يساعدنا ذلك قليلاً أو كثيراً، مختصين وغير مختصين، أن نكف عن رؤية النص البشري "من الخارج"، عن رؤية المريض النفسي منفصلاً عما هو نحن، عن الفرجة على المرضى من مسافة.

هذه الحالات ليست حكيا لللتسلية، ولا هي درس للحفظ، هي دعوة متتجدة للأصدقاء ليشاركونا، كل بما عنده، أو بما ليس عنده مع أنه عنده، سواء أرسل لنا تعقيبه أو اكتفى بما وصله، الآن ، أو فيما بعد.

نشرنا أحوال هذا الشاب حتى الآن في ثلاثة نشرات (**نشرة 11-12-2008 الحق في الألم: فد الرفاهية**)، (**نشرة 11-12-2008 الحق في الألم 2 الوفرة والرفاهية من الظاهر**)، وكنا قد وعدنا في النشرة الثانية أن نقرأ آقوال عادل بالذات وهو يصف رحلته مع المخدرات، وعلاقته بها، ثم ختم بالتعليق النهائي كما دار في اللقاء العلمي الإكلينيكي مضافا إليه ما تيسر بما يسعهم في مزيد من التوضيح.

هذا الجزء الأخير هو ما سوف نحاول تقديمه في نشرة اليوم، وأدعوا الله أن نتمكن من الانتهاء منه حتى ننتقل إلى حالة أخرى.

نشرنا في الحلقة السابقة بعض شكاوى عادل مجتمعنة وصفه البعض مراحل تعاطيه، وما حول ذلك من احتياج ومشاعر، وتناول الآخر مناقشة بعض ذلك في محاولة قراءة لهذا النص بما تيسر، كالتالي:

عادل يصف هشاشة ذاته/جسمه/كيانه:

"..... جسمى ما كانش عاجبنى، طويل قوى وربيع، كنت بالبس بنطلون تحت البنطلون والـ تى شرت تحت الـ تى شيرت علشان

أبان احسن، وده فضل معايا خد 19 سنة وده كان بيخليني خايف من الناس".

تعقيب:

ما يسمى صورة الجسم "ليس منفصلاً عن صورة الذات"، ولا هو مجرد مرادف له، لكن هل هي صورة مرسومة بخيال العقل، أم هي خطط بيولوجي غائر ماثل في الدماغ، أم أنها كلاماً، يبتعدان أحياناً، ويتطابقان أحياناً؟

ت تكون صورة الجسم، مع تكون صورة الذات، وإن لم يتطابقا بشكل تلقائي، عادل لا ينقص تكوينه الجسدي شيء، وإن كان وزنه يميل إلى التناحفة، إلا أنها خافة يتمناها كل من هو ليس سهريراً، هذه الملابس التي يلبسها تحت الملابس، تعلن بشكل جازم أنه كونه جسد (ومن ثم لذاته) صورة "ليست هي"، قليلة هزيلة ضعيفة، ليست هي ما كان يرجو، أو يتمتع، مقارنة بمن حوله من الذين رآهم - من وجهة نظره - أضخم، وبالتالي أقوى، فهو ضعيف وسط الناس، فهو الخوف أمام الآخرين (الأقوى)، فمن أين يأتي بالتعويض؟

يأتي من فرط الحركة التي عاناه طفلاً (وهي اضطراب آخر)؟

يقول عادل:

"... موضوع الحركة الكثير والمشاكل كنت حاببها لأنها بتخلify مختلف، لكن برضه كنت خايف، ولما ابتدت أحرب المخدرات حسيت اني كبير، صايع، وعندي ثقة في نفسي. أضرب مخدرات: يبقى حاكلم نسوان ، وحايقى لي مكان وسط الناس اللي أكبر مني لأن معاه الإمكانيات الأكبر، عربية، فلوس، نسوان...".

اضطراب "فرط الحركة Hyperkinetic Disorder" يصيب الأطفال ويعزى لأسباب متعددة، بعضها عضوي، وهو مشكلة مزعجة، خاصة إذا صاحبه تشتت الانتباه. الأهل يضيقون بفترط الحركة أكثر مما يضيقون بتشتت الانتباه Attention Deficit، الطفل الصاب عادة لا يهمه ما يتربى على اضطرابه هذا، وقد قتل علاقاته مع من حوله لفرط ما يعانون من حركته، أما أن يجب هو حركته ويستعملها لإثبات أنه مختلف، فهو أمر نادر، لكن هذا ما يقوله عادل، ولعل دلالته هي:

إن المسألة ليست في أن يكون أضخم أو أقوى، وإنما هي أساساً في أن "يتميز" فرداً له معالمه "الخاصة"، "أن يختلف".

ما يتربى على فرط حركة مثل هذا الطفل من مشاكل في المنزل بالذات، يجعل الطفل موضع انتباه زائد، وهو بذلك يؤكد له ضمناً أنه " مختلف" بشكل ما.

لكن هذا التعويض لم يكن كافياً، لم يغتنم عادل أن يلاحظه الآخرون مجرد أنه يتحرك بأفراط، لم يكسبه ذلك لا التمييز، ولا القوة التي يتتصورها، ولا الهوية التي هي حقه الطبيعي، فيظل خائفاً.

• (لكن برضه كنت خايف).

المسألة إذن ليست في النحافة، أو في صورة الجسد/الذات، بقدر ما هي في الشعور بالفالة، بالضعف، بالمعنى الأشمل، باللاميز، باللاهوية، باللاشينية.

فمن أين له ما يشكل به ذاتاً متميزة متمايزه
(ختلفة)، قادرة (قوية)؟

"من المخدرات، !!!؟؟... ربما !"

ليكن، وليرجـب:

وحـصل !!!

يبـدو أن هذه المـواد - لـسرعـة مـفعـولـها، وـتأـثيرـها فـتـغيـيرـ الـوعـي، تـشـعـرـ من يـتعـاطـاهـاـ أنـمـ اـخـتـلـافـاـ قدـأـمـ بـهـ، غـمـرهـ، اـخـتـلـافـاـ، مـعـداـ، إـنـهـ يـشـعـرـ بـوـضـوهـ أـنـهـ لـيـسـ كـمـاـ كـانـ قـبـلاـ، وـمـنـ ثـمـ هوـ يـعـيشـ، أـوـ يـصـفـ هـذـهـ الـدـرـاـيـةـ وـيـسـمـيـهاـ بـأـيـاءـ خـتـلـفـةـ، أـشـهـرـهـ "الـدـمـاغـ"ـ هـاـ هوـ يـخـتـلـفـ عنـ ذـىـ قـبـلـ، هـوـ يـخـتـلـفـ عنـ مـنـ حـولـهـ، فـهـوـ مـخـتـلـفـ، هـوـ "مـوـجـودـ"ـ هـكـذاـ بـسـرـعـةـ دـوـنـ مـتـاعـبـ النـمـوـ، أـوـ مـعـانـاةـ آـلـامـهـ، دـوـنـ تـحـديـاتـ التـعـرـفـ عـلـىـ الـوـاقـعـ، دـوـنـ صـعـوبـاتـ جـدـ الـآـخـرـ، هـكـذاـ وـجـدـ عـادـلـ نـفـسـهـ "كـبـيرـاـ"ـ فـجـأـةـ، وـأـنـهـ "قـوـىـ"ـ بـمـاـ فـيـهـ الـكـفـاـيـةـ:

• "...ولـاـ اـبـتـدـيـتـ اـجـرـ المـخـدرـاتـ حـسـيـتـ إـنـ كـبـيرـ، صـايـعـ وـعـنـدـيـ ثـقـةـ فـيـ نـفـسـيـ"

قـامـتـ المـوـادـ الإـدمـانـيـةـ بـالـوـاجـبـ وـزـيـادـةـ، مـنـ الـبـدـاـيـةـ لـاحـتـ لـهـ وـاعـدـ بـيـقـيـنـ:

• "...حاـكـلـمـ نـسـوانـ، وـحـابـقـىـ لـمـكـانـ..!ـخـ"

يـبـدوـ أـنـ إـشـكـالـةـ "الـوعـيـ بـالـذـاتـ"ـ عـنـدـ الـبـشـرـ تـسـتـسـلـزـمـ أـنـ يـتـأـكـدـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ بـاـنـهـ "لـيـسـ كـمـثـلـهـ أـحـدـ، وـلـاـ هـوـ مـثـلـ أـحـدـ"ـ، مـهـمـاـ بـلـغـ التـشـابـهـ، وـأـيـضاـ: مـهـمـاـ بـلـغـتـ أـمـامـ نـاظـرـيـهـ قـدـوـ رـائـعـةـ، مـنـ هـنـاـ سـاـمـتـ المـخـدرـاتـ عـنـدـ عـادـلـ أـنـ أـبـلـغـتـهـ أـنـهـ لـيـسـ مـثـلـ "الـعـيـالـ التـافـهـنـ اللـيـ قـدـهـ"ـ بلـ هـوـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ مـنـ هـوـ أـكـبـرـ وـأـكـثـرـ صـيـاعـةـ:

• "كـنـتـ عـاـوزـ أـحـسـ بـالـخـتـلـافـ، مـاـ اـصـاحـبـشـ الـعـيـالـ الـلـيـ قـدـىـ لـأـنـ كـنـتـ باـشـوفـ الـأـصـغـرـ تـافـهـيـنـ وـتـفـكـيرـهـ صـغـيرـ."

عـادـلـ الـذـىـ أـعـلـنـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ شـعـورـهـ بـفـآلـةـ جـسـمـهـ، يـعـودـ هـنـاـ يـرـىـ جـسـمـهـ رـؤـيـةـ أـخـرىـ، لـيـسـ تـحـتـ تـأـيـرـ المـخـدرـاتـ، لـكـنـهـ يـرـىـ طـولـهـ - دـوـنـ خـافـتـهـ - جـواـزاـ لـلـمـرـورـ إـلـىـ صـحبـةـ مـنـ هـمـ أـكـبـرـ، (أـكـثـرـ صـيـاعـةـ):

• "وـأـنـاـ جـسـمـيـ كـانـ طـوـيلـ فـكـانـ سـهـلـ اـنـ اـقـعـدـ مـعـ نـاسـ اـكـبـرـ مـنـيـ"ـ اللهـ!!ـ إذـنـ هـوـ لـاـ يـرـىـ نـفـسـهـ طـولـ الـوقـتـ ضـئـيلاـ كـمـاـ ذـكـرـ سـابـقاـ، فـأـيـهـمـاـ نـصـدـقـ، أـوـ بـتـعـبـيرـ أـكـثـرـ عـلـمـيـةـ، فـأـيـهـمـاـ يـصـدـقـ هـوـ؟ـ

في مثل هذه الأحوال لا ينبغي على المعالج أن يفرح أنه ضبط المريض متلبساً بالتناقض، فيروح يحاول أن يثبت له - أو لنفسه - بطريقة مباشرة، أنه: "هيه! هاهو يعترف بالعكس"... إن، وكان المعالج يرسد التناقض لإثبات وجهة النظر الأخرى، وكان المسألة هي اختلاف وجهات نظر، كل هذا تستطيع معطل، لا صورة الذات، ولا خطط الذات Schema، ولا حتى واقع ما يتجلّى لنا من الذات، (أنظر بعد) لا شيء من ذلك يتعدّل **بلا قناع والاثبات والاخجاجة والمنطق.....**

اضطراب فرط الحركة لوح لعادل - طفلا - بفرصة للاختلاف، لكنه لم يحقق له ما لوح به. فجأة المخدرات المغيرة للوعي لتعلن إمكانية الاختلاف بشكل لا جدال فيه، وبأسرع وأسهل السبيل، ثم إن الاختلاف الذي جاء عن طريقها، جاء بنوع مناسب لاحتياجات المريض، لأنه اختلاف "مرفوف"، "حرام"، "غلط"....

وكلما زادت المسافة بين السواء والمفروض والصح، وبين التصرف الذي يرجي منه تأكيد الاختلاف/ ومن ثم تأكيد الذات، كان الجذب إلى هذا التصرف أقوى

• "بقيت اشوف الناس اللي بتعمل حاجات غلط هما اللي معروفين، فبقيت أحب الخلط، أبقى ضد المجتمع، ضد الدين، ضد الحكومة"

• "أنا كنت شايف الشباب اللي بتشرب مثل أعلى لـ"

لم يكذب عادل خيراً،

ولم تخيب المخدرات آماله فيما وعده به، في تلك السن الباكرة المحرجة (ثلاثة عشرة سنة).

• "...بدأت أخذ مخدرات وأنا عندي 13 سنة على سبيل التجربة، أخذت بآخر عجيبة الدماغ، حسيت إن كده مبسوط ومزاجي رايق، خلاني باعترف اهراج وحسنى إن بقى صايع، فده حبني أكثر فيه..."

التجريب بالتباديل والتوافيق (فالكوكتييل):

من هذه السن الباكرة استطاع عادل أن يجد تصنيف كل مادة، وأثرها المختلف عن غيرها:

مثلًا:

الباغجو: بيخليني مبسوط ودماغي رايق ، عجبتنى الدماغ .
الخشيش: دماغه هاديه (حيث الباغجو أكثر من الخشيش).

أبو صليبة: كانت بتديني ثقة في نفسى جامدة، بتخليني قلى ميت وما باخفش، يعني اعرف اخش على حرمة واثبّتها

الكودافين: (الحب الكبير- الأب الكبير- الذهب الاحمر) : الذهب الأحمر، الكودافين. أشرب إزاوة الكودافين أطلع اخطب مكان حسني مبارك. كنت باحبه قوى، تماذيت فيه قوى وبقي

مختلطي مساريح جداً جداً، باقول كلام حلو، هادي جداً، أثبيت النساء في التليفون، حلو في الجنس، بيساعدني في المذاكرة، بيخليني اعرف اقعد وكمان اركز.

و هكذا ،

لاحظنا ذلك في نشرة سابقة: (أدمنجة المدن ومستويات الوعي "1" بتاريخ 23-10-2007)، لاحظنا أن الاستمرار على مادة واحدة يفقدنا تدريجياً وظيفتها الأساسية: "التغيير"،

التغيير:

المواد الإدمانية ليست مطلوبة أساساً للتخييم أو للإشارة، وإنما هي تأتي بالرّاد من خلال التغيير، ومن هنا وجب أن نتعلم أن التربية، والوقاية، بل والعلاج، إن لم تتحقق لهذا النوعي البشري النامي مطلبـه في المـرحلة والتـغيير، فهو مـعرض:

إِمَامٌ

أن يخمد تحت حواجز ووراء جدران الكبت والاغتراب والهمود والتكرار وال محمود،

واما:

أن يلحدَ إلى وسائل مفتعلة تتحقق له مطلب التغير السهل،
ولا شيءٌ بعده، إلا الخراب.

التبغir الطبيعي ليس مطلوبا للتغيير ذاته، وإنما هو يعلن حركة الحياة، واضطراد النمو، صحيح أن أي تغير قد يحقق في ذاته بعجة الدهشة، لكن الدهشة ليست غاية في ذاتها، يقدر ما هي - في الظروف الصحيحة المصححة -

المواد الإدمانية تنجح في إحداث التغيير أسرع وأوضح، لكنه تغير ببدايته هي نهايةه، فهي الدائرة المغلقة، أولها في آخرها، فإذا تكررت هي مدة طويلة، فقدت وظيفتها في تحقيق هذا النوع من التغير.

من هنا نرى المدمن وهو يتنقل بين المواد الواحدة تلو الأخرى، ليس ليتنقل من مادة ذات ذات فاعلية قليلة إلى مادة ذات فاعلية كبيرة، بقدر ما هو يريد أن "يغير الصنف"، "البغي حاله الوعي"، ومن هنا تبدأ، بشكل تلقائي حركة الخلط (ال koktail).

.....شواية وبذات أحد معاه سومادريل، وبرنكلاز،

.....ولما غلى الكود افيف من 2001 اتعرفت على
السوداء في الاما حرق ويعدين حقه لما قالوا دماغها أحلى

وأقوى وصلت لـ 4/3 جرام في اليوم، أعمل مشاكل، أدخل المستشفى، ومشى النظام على كده....."

نتذكر كيف لاحظنا في الحالة التي عرضناها في النشرة السابقة (**المرمان من الحق في الألم والرفاهية الماسحة**) أن "التغيير" الذي يحدث نتيجة الانسحاب (التوقف عن التغاطي) يحدث "دماغاً" يطليها المدمن أحياناً، فيتوقف مؤقتاً بإرادته ليعيق آلام الانسحاب في مقابل أن يشعر بهذا التغيير.

خن هنا نرى عادلاً وقد بدأ يمارس آلية "التغيير في الخل"، فهو يفعلها وهو يدور حول نفسه فرحاً بالتباديل والتوافيق والخلط (**الكوكتيل**) بشكل نشط متغير، رجح له من هذه السن المبكرة أن "هذا هو الحل".

الطاقة والسعادة:

· جربت إكستازى من سنة 99 مرة واحدة بعدين دخلت فيها 2001 في مصر، مش حاقولك مخليلك أسعد إنسان، هو بيزود هرمون السعادة لأقصى درجة، بقيت أحس إن أسعده إنسان في الدنيا، وكل حاجة مخلولة، وتدني طاقة جامدة قوى تخليق أرقمن، أسيمها حبوب الرقص، 3 - 4 حبات لما تكون موجودة عمرى ما قلت لها "لا"، خد دلوقتى.

لا يوجد تناقض حقيقي بين نفيه أن الإكستازى يجعله أسعد إنسان، وأن نفس المادة جعلته الأسعد بعد أن زودت هرمون السعادة لأقصى درجة، وكأنه بهذا التعبير الثانى قد أكد سلبية حضور السعادة سابقة التجهيز.

الوعي بالطاقة المفرج عنها ، هو غير توجيه وتوليد الطاقة الحيوية .

أهل الأطباء (وكثير من العلماء) موضوع الطاقة الحيوية وحركيتها وتوجهها، ربما لصعوبة دراستها، هذه إشكالية لا يمكن الوفاء بشرحها الآن، لكن يمكن أن نوجز بعض ما يفيد مما يتعلق بها كالتالى:

· حركة النمو تحتاج للطاقة، وهي في نفس الوقت تُنتج طاقة،

· طاقة الحياة، حالة كوننا بشرًا، هي زخم الوجود والتطور، وهي هادفة غائية مبدعة بغض النظر عن إمكانية رصدها على أنها طاقة.

· لا يمكن حبس هذه الطاقة الطبيعية في داخلنا طول الوقت، مادمنا أحياء ،

الطاقة التي يتحدث عنها عادل هنا هي دفقات من مخزون قسراً، وهي تختلف في أحوالها وتتوظيفها والشعور بها باختلاف عوامل شق، لكنها في النهاية عبئية الانطلاق سلبية النتائج تكاد تكون - في ذلك - عكس الطاقة النمائية الخلاقة (برجسون مثلاً).

حين يعثر شاب في هذه السن على ما يشعره بزخم وروعة حركية هذه الطاقة أو بداولها، حتى لو كان مما هاريا، فإنه يعتبر أنه وجد ضالته، ويروح يستقبل تلك الطاقة بكل هذه الفرحة، بغض النظر عن افتتعال إطلاقها، أو قصر عمرها.

أما الكوكايين فهو أحسن خدر أخذته في حياته، الدماغ العالية قوى، حب الناس، بابقى اجتماعي، يديك ثقة قوية قوى في النفس، يحسسك إنك أعظم إنسان في الدنيا ماشي على الأرض، وفيك طاقة قوية جداً

لأن هذه الطاقة، في الأصل ظهرها هنا بتحريك كيميائي قصير العمر، هي طاقة حيوية تغزوها الإنسان كائناً واعياً لا تتم أنسنته إلا بعلاقة حقيقة بأخر، فإن هذه الطاقة - من حيث المبدأ - تغرّكنا نحو الناس "فيحب الناس بعضهم بعضاً، ليكونوا بشراً" / فإذا لم تتوجه هذه الطاقة إلى غايتها في عملية غزو طبيعية، فإنها تكتب، أو تنزاح إلى أهداف أغذرابية تستوعبها لذاتها. المواد الإدمانية قادرة أحياناً على أن تغرّكها فجأة أو بسرعة من كهفها الترسى، للتعلن طبيعتها، دون فاعليتها المُقيّدة، برغم اخراج مسارها اغتراباً،

قدرة هذه المواد على التحريك السريع لهذه الطاقة مع دراية بحركية توظيفها نحو الناس، يعلنها عادل هنا بفرحة طاغية، دون أي وعي بأنه تحريك مصطنع، عمره محدود.

الذى يجعل هذا التحريك مصطنعاً هو زيف انبعلاته، وليس طبيعة الطاقة التي أطلقها.

تُقْمِعُ هَذِهِ الطَّاقَةَ - كَمَا أَشَرْنَا - حِينَ يَجَالُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَحْنِ الْآخَرِ بِهَا (العلاقة بالموضوع) وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَا تَكُونُ ثَمَةٌ فَرْصَةٌ لَهَا أَنْ تَسَاهُمْ فِي أَنْ تَبْدِعَ النَّاسَ، أَوْ تَفْنِدَ "مَعْنَى" فِي الْأَدَاءِ وَالْكَلَامِ وَالْتَّشْكِيلِ،

البديل عن إطلاق هذه الطاقة الحيوية في مسارها الطبيعي هو أن تطلق في نطاق محدود، إلى ناحية جانبية، من ثقب الاغتزاب (إن صح التعبير)، لتحقيق مكاسب على السطح، لا تصب في العملية النمائية التواصلية، مثل النجاح للنجاح، أو الثروة التراكمية، أو السلطة في ذاتها... الخ

وفي كل الحالين (الكبت ، والنشاط الاغتزابي) تستمر الحياة راتبة عادية، ناجحة، أو ناجحة جداً جداً بمقاييس مجاهات السوق !

يصل إلى عادل ، ومثله، أن هذا النجاح ليس بمحاجاً، أو أنه لا يعنيه، ثم يكتشف بالصدفة، أو بالحاولة والخطأ، أنه استطاع بعادة سحرية أن يفجرها هكذا فجأة، فيحب الناس، وهو يتصور أنه حق بشريته حين توجهت الطاقة إلى ما يلوح له أنه وجهتها الطبيعية: "الناس" ، "حب الناس"

ما أسهل ذلك وأخيه !!

يُعلن ذلك الغباء حين تنطفئ الطاقة بانتهاء مفعول ما أشعلها اصطناعاً.

فهو يحتاج إلى التزود بمزيد من الوقود باستمرار، مع أنه واقف في المثل طول الوقت، دون نمو، دون علاقة حقيقة بالناس، ودون تحقيق حتى ذاته التي لا تتحقق إلا بناس حقيقيين لم يوجدوا أبداً في حياته.

.....

ويتكرر ذلك، وغيره ، طول الوقت، في كل مكان، وبكل المواد:

"وجربت I.S.D الماشروم. في أمريكا وهولندا، كنت مدمى إكسات في أمريكا فتاجرت فيها سنة من حي فيها علشان أجيب فلوسها، كنت باطلع حق 3 - 4 حبایات في اليوم، حي للمخدرات كان بيخليني كل ما نروح بلد احب اجري المخدرات فيها، أهلي يتسخوا ويستمتعوا بطريقتهم يلغوا على أماكن سياحية ويبلغوا مواف العالم وأنا ألف دور على المخدرات، ما أروحش بلد إلا لما اطلع مخدرات منها، انزل المناطق الشعبية اشوف ضريب لأغبيه تطلع مخدرات، كنت بأسيب أهلي في فرنسا وأسافر هولندا، كل الخبرات عشتها".

أصبح الموضوع (الآخر) هو المخدرات وليس الناس، الناس هنا ماثلون فقط فيخلفية الصورة، لكن لا يأس من التعرف على تنويعاتهم، وتشكيلهم بالمرة، هكذا كان نشاط عادل وهو يسافر مع أهله بلاد الله خلق الله، وهو يمارس خبراته الخاصة مع المخدرات والناس والاختلاف مقارنة بالأهل الذين يتجلبون بين الأماكن والأشياء، دون مخدرات، دون ناس، مع آنهم أيضاً "على سفر" (كما يتصورون).

• يكن موضوع السفر بوعظي أكثر، كنت باشوف بلاد جديدة، انفتاح أكثر، دماغي فيها تقاليد وعادات بلاد كثيرة، بقيت أركز في الناس: الناس بتتكل إزاي؟ بتعامل إزاي؟ بتتبسط إزاي؟.

ذكرتني هذه الجملة بالذات بوقف إدمان السفر شخصياً، وأنا أصر أن أقود سيارتي بنفسى طول الوقت، وأوأصل اكتشاف الطبيعة والناس والتعرف عليهم من جديد، دائمًا من جديد، حق لو كان نفس الطريق، نفس الناس. تماماً كما أنك لا تستطيع أن تنزل نفس النهر مررتين، أنت لا تستطيع أن تقطع نفس الطريق مررتين، يحدث ذلك لي سواء كان السفر في الداخل أو في الخارج من أول وجيده.

ووجدت أننى لو عقبت على هذا المقطع الأخير من أقوال عادل، فقد أحتج أن أعيد ذكر ما كتبته في أجزاء ترحالاتي الثلاثة (الترحال الأول)، (الترحال الثاني)، (الترحال الثالث)، وهو عمل ما بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات، فاسمحوا لي أن أكتفى الآن بالإشارة إليها في الموقع، أذكر أننى في بداية الجزء الأول " الناس والطريق "، ذكرت ما يكاد يطابق ما قاله عادل تنويعاً للسفر، وتصنيفاً له، وخاصة إشارته إلى ما يفعله هو ، في مقابل ما يفعله أهله.

تعاطى المواد الإدمانية هي سفر آخر، له نفس المواقف تقريباً، مع الاختلاف في دائرة الحركة وسمية الوقود. كثير

من المدمنين يصفون خبرتهم في التعاطي بصفات السفر، (بسمونها أحياناً "تربيـة" من TRIP أو "سـحلـة" إذ يعنـون بها رحلة دوائـية مـجـهـلة.. إـخـ) ****

مقططفات من التعقيـبـ فيـ نـهاـيـةـ اللـقـاءـ الـعـلـمـيـ الإـكـلـيـنـيـكـيـ (بعدـ التـعـديـلـ لـلـاختـصـارـ، وـمعـ بـعـضـ التـوـضـيـحـ)

أنا قلت كل اللي عندي ... ما أظنـشـ إنهـ مختلفـ كـتـيرـ عنـ الليـ اـنتـواـ قـلـتوـهـ إـلـاـ فـالتـسـميةـ،ـ الـولـدـ دـهـ زـىـ ماـ يـكـونـ نـشـأـ فـيـ شـبـكـةـ عـلـاقـاتـ مـزـيفـةـ،ـ حاجـةـ كـدـهـ زـىـ قـلـتـهاـ،ـ حـصـلـتـهاـ فـيـ النـهاـيـةـ فـرـاغـ خـادـعـ vacu~umـ يـعـنىـ طـلـعـ وـسـطـ مجـتمـعـ صـاحـبـ مـلـانـ "ـبـالـفـيـشـ"ـ،ـ عـشـانـ كـدـهـ هوـ "ـمـاتـوـجـدـشـيـ"ـ منـ أـصـلـهـ،ـ "ـذـاتـ"ـ كـانـشـيـ"ـ،ـ مـاـيـنـفـعـشـ أـبـداـ إـنـنـاـ نـتـوـقـعـ إـنـهـ يـبـقـىـ عـنـدـهـ "ـذـاتـ"ـ مـنـ أـصـلـهـ،ـ فـرـاجـ يـاـ عـيـنـ يـفـغـعـ فـيـ نـفـسـ وـهـاـوـلـ يـرـسـمـ صـورـةـ لـهـاـ،ـ مـاـ عـرـفـشـ يـشـخـبـطـ غـيرـ صـورـةـ مـشـ هـيـاـ:ـ مـرـةـ مـشـوهـةـ،ـ وـمـرـةـ مـزـيفـةـ،ـ لـدـ مـاـ لـقـىـ الـمـوـادـ (ـالـإـدـمـانـيـةـ)ـ دـىـ قـدـامـهـ،ـ زـىـ مـاـ يـكـونـ لـقـىـ الـلوـانـ شـدـتـهـ،ـ قـعـدـ يـلـعـ بـيـهـاـ وـيـشـخـبـطـ،ـ وـيـلـوـنـ وـيـفـرـحـ،ـ وـهـوـ مـشـ وـاـخـدـ بـالـهـ إـنـ كـلـهـ عـلـىـ الـوـرـقـ الـلـيـ بـيـتـشـرـمـطـ فـيـ الـآـخـرـ،ـ كـانـ فـاكـرـ إـنـهـ بـيـرـسـ ذـاتـهـ،ـ يـعـنىـ بـكـدـهـ حـاـيـلـقـ لـهـ ذـاتـ،ـ أـوـ حـتـىـ مـشـرـوـعـ ذـاتـ،ـ أـهـوـ يـبـقـىـ عـنـدـهـ "ـصـورـ ذـاتـ"ـ وـخـلاـصـ.

الجـدـعـ دـهـ مـاـخـدـشـ فـرـصـةـ تـبـقـىـ لـهـ ذـاتـ مـنـ أـصـلـهـ،ـ لـازـمـ حـصـلـتـ حاجـةـ مـنـ بـدـرـىـ بـدـرـىـ خـلـتـهـ كـدـهـ

صـورـةـ الذـاتـ دـىـ مـشـ جـرـدـ صـورـةـ عـقـلـيـةـ،ـ سـاعـاتـ بـتـبـقـىـ كـدـهـ،ـ لـكـنـ غالـبـاـ بـتـبـقـىـ غـائـرـةـ مـتـدـاخـلـةـ فـيـ "ـخـطـطـ"ـ رـاسـخـ بـيـتـشـكـلـ بـيـولـوـجـيـاـ باـسـتـمـارـ.ـ إـنـتـوـ مـشـ عـارـفـينـ الـدـكـتـورـةـ مـاجـدـةـ الـمـاجـسـتـرـ بـتـاعـتـهـ كـانـتـ عنـ الـمـوـضـوـعـ دـهـ،ـ بـسـ أـنـاـ مـاـ كـنـتـشـ مـشـرـفـ وـلـاـ حـاجـةـ،ـ إـنـمـاـ الـمـوـضـوـعـ دـهـ شـدـنـ غـامـ،ـ وـاـنـاـ باـكـتـبـ كـتـابـ الـأـعـراـضـ symptomatologyـ إـلـىـ مـاـ اـتـنـشـرـشـيـ لـدـ دـلـوقـيـ إـلـاـ فـيـ صـورـةـ مـسـوـدـةـ،ـ اـحـتـرـتـ فـيـ الـحـكاـيـةـ دـىـ،ـ لـأـنـ لـقـيـتـ فـيـهـ فـرـقـ بـيـنـ صـورـةـ الذـاتـ،ـ وـبـيـنـ "ـخـطـطـ"ـ Schemaـ الذـاتـ،ـ

أـنـاـ بـتـولـدـ وـأـنـاـ ذـاتـيـ مـرـسـومـهـ هـنـاـ (ـيـشـيرـدـ.ـ يـجيـىـ إـلـىـ دـمـاغـهـ)ـ،ـ زـىـ صـبـاعـ رـجـلـىـ مـاـ هوـ مـرـسـومـ فـيـ الإـجـرـامـ بـتـاعـهـ،ـ يـعـنىـ بـاتـولـدـ وـعـنـدـيـ مـرـسـومـ فـيـ دـمـاغـيـ،ـ وـيـكـنـ فـيـ كـلـ خـلـاـيـاـ جـسـمـيـ،ـ مـشـرـوـعـ خـطـطـ لـمـاـ هـوـ:ـ "ـذـاتـيـ"ـ،ـ وـبـعـدـينـ صـورـةـ دـىـ تـتـدـعـمـ بـقـىـ بـالـلـيـ يـوـصلـ لـهـاـ مـنـ بـرـاهـاـ،ـ يـعـنىـ بـالـاعـتـارـافـ بـالـمـاـشـارـكـةـ،ـ بـالـلـوـاـكـبـةـ،ـ بـالـحـاجـاتـ دـىـ.ـ الـمـسـأـلـةـ دـىـ مـشـ أـلـفـاظـ بـتـتـقـالـ،ـ يـعـنىـ مـاـ هـيـاشـ نـيـةـ وـعـوـاـطـفـ مـاـسـخـةـ،ـ الـحـاجـاتـ دـىـ بـتـتـبـنـيـ وـاـحـدـةـ وـاـحـدـةـ بـالـمـارـسـةـ الـخـسـيـةـ الـعـلـمـيـةـ،ـ لـوـ الـمـسـأـلـةـ كـلـمـ وـعـوـاـطـفـ مـشـ هـيـهـ مـكـنـ تـتـكـونـ صـورـةـ بـدـيـلـةـ لـلـذـاتـ،ـ حاجـةـ كـدـهـ مـعـوـلـةـ مـنـ "ـأـنـتـ نـورـ عـيـنـ"ـ،ـ وـ"ـأـنـتـ أـحـلـىـ وـاحـدـ"ـ "ـدـاـ زـىـ الـقـمـرـ"ـ،ـ وـكـلـمـ دـهـ،ـ كـلـ دـهـ يـعـملـ صـورـةـ مـسـطـحةـ،ـ زـىـ قـشـرـةـ مـنـ بـرـةـ ،ـ زـىـ مـاـ تـكـونـ مـلـزـوـقـةـ مـنـ بـرـهـ عـلـىـ الـبـنـىـ آـدـمـ .

الذات الحقيقية، خلقة ربنا، بتبتدى بالاعتراف بالانفصال، أنا اتكلمت عن وظيفة الاسبوع قبل كده ميت مرة (نشرة 22-1-2008 طقوس "السبوع" وجدلية الانفصال/الاتصال) وازاي هو تعميق لوعي الأم بيان اللي كان جواها أصبح مشدوع كبيان مستقل، بعدين الحكاية بتتأكد من خلال التواجد البشري الجسدي اللحمي "اللصيق - المفارق" ، طول الوقت، وده أظن وظيفة الرضاعة الطبيعية المتقطعة، كل ده مصدره الأساسي هو أم حق وحقيقة، أم سايبة طبعتها "تقول" ، الاعتراف هنا بيتم بالخوار بين جسد وجسد، من خلال الرضاعة وكل حاجة، وبعدين ييجي دور الرؤية من على مسافة ، كل ده بيحدد مخطط الجسد اللي العيل مولود بييه ، وهوه بيعمل كده بتتحدد الذات معاه تقريباً، ما فيش حد اتولد من غير "خطط جسد وذات" ، كأنهم واحد، إذا ما حصلتشي الخطوات دي، يتبقى المخطط كاشش زى ما نزل العيل بييه من بطن امه تقريباً، وبتبينى حواليه -على مسافة- صورة للذات أو للجسد، صورة أى كلام ، وبعدين الصورة دي ممكن تبوظ أكثر من خلال الرسائل السلبية اللي بتوصل لها من الألفاظ المبوفة ، والعلاقات المزيفة ، وحتى الألوان اللي بيرسم فيها الواحد ياعيني صورة لنفسه بنفسه ، تطلع ألوان مغشوشة ، تبهرت أو تتغير بسرعة ، الرسائل اللي بتوصل للواحد من الصورة دي ، وبتوصل للصورة منه ومن غيره ، بتبقى مغلوطة ومضروبة وبشعة ، وساعات ما توصلش بشكل واعي زى الجدع ده ، ساعات توصل مستخبية تحت الوعي الظاهر ، إنما تعمل عمليات مهيبة .

فيه رسائل تانية بتوصل من جهة ، يكن من المخطط الكاشش، بتوصل في نفس الوقت توصف وتعلق على اللي جاري، وساعات بتبلغ الواحد حقيقة الموضوع، زى ما تكون بتقوله "أنت مش موجود" ، "اتصرف" ، والمسألة ممكن تقف عند المرحلة دي وتفضل كده طول العمر في حدود العادي، ولا من شاف ولا من درى، بس ساعات زى حالة عادل كده ، الواحد يلاقى سكة قريبة تزغل عينه ، وتشاور له ، ولو بالصدفة ، إن فيه حل قوام قوام ، يقوم يصل له إنه ممكن يعمل له "ذات" قوام قوام ، ذات خايبه حوالين نواة مصنوعة ، وتقعد الذات اللي هي شبه الذات، أو بدبل الذات، تتدعم برسائل غلط، رسائل توصل له من جهة ومن بره مشوهه ومضروبة ، زى ما تكون بتتألف رواية قص ولزق ، فكرة غلط ، على صورة مش هيه ، على قلة دعم من بره ، على عدم اعتراف بأى احتمال استقلال حتى بعد ما الواحد يكير ، تكرر الذات الخايبة دي معاه وتخل محله ، وهي زى قلتها ، يكن قلتها احسن ، تقدر تكرر مهمًا تكير ، لكن صاحبها يشعر بيها بكل ضعفها وتشويهها ، ذات مصنوعة أى كلام ، مضروبة ، ما هو ما فيش حاجة المها كيران من غير حوار يوجد ، وتهديد ، ورجوع ، وكلام من ده ، عشان كده لما في المقابله قال أنت عايز توجعنى ، تصورت إن وصل له حاجة .

ملحوظة: نشرت كل المقابله مع المريض في الحلقة الأولى (نشرة 11-11-2008 الحق في الألم: ضد الرفاهية) ونورد منها هذا الجزء مرة ثانية لأهمية دلالته :

د. جيبي: مدام اتولدت يبقى تتوجع عشان تكبر، وتعمل علاقة أو أى حاجة عشان كده باقولك حاول معايا، مع وجعى.
المريض: مش عارف اعمل ايه يعني دلوقتى.

د. جيبي: أنا باعزم عليك حاجة محددة بسيطة لكن صعبة جداً، أنا متصور إن أهلك ما عندهمش فكرة عن ده من أصله
المريض: عن اللي واجعني؟

د. جيبي: لأه، عن الوجع اللي عمره ما طلع، ولا حتى ياعيني عند أبوك ولا أمك أنها فكرة عن لزومه، مع إنه خلقة ربنا، طول ما هو بعيد وملغي، يبقى شديد أكثر، ويترتب حاجة تانية
المريض: أنا أخاف أتتوجع

د. جيبي: صح، لأنه بعد ما اتكلتم زاد عن حدده قوى قوى،
بقى بيخوفه، وأظن انت بتخاف تتوجع لأن لما بتيجي تتوجع تلاقي نفسك لوحدهك، ماحداش يقدر يتوجع لوحده يا عادل،
ينحسق، عشان كده قلت لك "معايمَا"، حاول على قد ما تقدر،
عندك كل الحق انك تخاف تتوجع، بس ياترى مصدقني ان باحاول
معاك، على الله الخوف يقل شوية صغيرة، يقوم الوجع يطلع سنه
صغيرة على قدنا دلوقتى

.....

المريض: فترة صمت (طويلة دقائق، حق قال): . . . أنا
اخنقت كده

د. جيبي: قلنا من غير كلام
المريض: فترة صمت أخرى (دقائق أخرى، حق قال): .. ينفع كده!!

د. جيبي: بس شايفك خايف

المريض: مش أوى

د. جيبي: هوا إيه اللي ينفع

المريض: بأقول ينفع اللي أنا عملته كده، أنا حاولت بصراحة
د. جيبي: أنا مصدقك، ما هو مافيش حل تاني، أنا متهيألي
أبوك عمره ماسمح لك بده، هو يوجعك معلش، أبوك عمره ماسمح
لنفسه ولا لأمك، ماقدروش يستحملوا أملك، يستحملوا وجunk، لأنهم
هم نفسهم ما استتحملوش نفسهم، أنا آسف، احنا غوطنا . . .

تكلمة التعقيب:

الظاهر أن الوجع اللي احنا بنشاور عليه بيبجي لما
الواحد حاول يعمل علاقة، هوا هوا الحزن اللي بنتكلم
عليه، الوجع ده بقى ييجي لما البروغرام اللي الواحد
اتولد بيها، يبتدئ يتحرك في الاتجاه الصحيح، ده وجع له شكل
صح، لكن لما الواحد يلاقي مافيش أى حد بيلاقيه، بيعترف بيها

بيتوجع معاه، بيقى وقع شكل تان، وقع مكتوم، ينطفي، ويبعد، يستخي، وكل سنة وانت طيب.

أبوه طبعا مش هايسمح بآى شئ من ده، مش حايقدر، عشان أب زى ده، بالزيف ده، راجل همبل جدا جدا، كريم وطيب ومتش عارف إيه، أنا شيت رحة من كلام دكتور نبيل لما بيقول إنهم عملوا مجتمع مزيف، هنا مزيف مش يعني كداب، لأن يعني "اللى هو مش هوه"، عشان كده لما قلت للعيان وقع بحق وحقيقة، وصل له حاجة عس هو حتى لو يتحرك صح دلوقتى هايروح فى؟ من ده إللى هايسمح له؟ ولا من إللى هايعرف بأحقيته في الحركة؟ لازم واحد يكون بيتحرك معاه، العلاقة من غير حركة ماتبقاش موجودة، العلاج بيأخذ باله من الحكاية دى، مفروض يعني، الحركة عادة بتبقى رحلة تجريب، تخسيس، الواحد بيشفوف حايتفع ولا بلاش منه، ماتقدرش تعمل علاقة من الوضع جالسا، لازم طالع داخل، طالع داخل. كونه بعد ده كله يطلع حاجة مايطلعش، ما عارفشت، ما فهمشت، إحنا وسطارتنا.

انت شايفين حاجة في اللي حصل معاه، لاحظتم الابتسامة بتاعته جرى فيها إيه؟ أنا أظن كلنا تخدعنـا فيها الأول لأنها شديدة الرقة، ابتسامة مش بلهاء لا معنى لها، لأه، دى ابتسامة اجتماعية مصنوعة من أروع ما يكون، إنما تعملشـى علاقة طبعا.

لما تقرأ الكلام الكبير اللي بيتردد عن السعادة والذكاء العاطفى، والكلام الغريب اللي بيكتبوا ده عمال على بطال، يتهيا لك إن دى هي الابتسامة المطلوبة لتمشية الحال، أعتقد إن الخواجات بيبالغوا في قيمة الحكاية دى قوى، وتلاحظوا ان العيلة دى متعاصـة خواجات، على تدين من الظاهر، وآخذـين الحكاية من بزهـ من الناحـتين، السـلى من هنا، على السـلى من هنا، يمكن تخدـعنـا كلـنا ابتسـامة زـى دـى، وأعتقد أن تصرفـتهم كلـها سـواء الخواجـاتـية أوـ الـديـنيةـ هي تعبـيرـ عنـ الليـ أناـ عـاـيزـ أـقولـهـ دـهـ.

المستوى ده من العيشـةـ عـبـارةـ عنـ أـلـعـابـ مـصـنـوـعـةـ، حاجـةـ كـدهـ نـاجـحةـ وـمـقـبـولـةـ وـمـعـتـرـفـ بـيـهاـ وـمـضـىـ عـلـيـهاـ وـخـلـاصـ، يـيجـىـ واحدـ منـهـمـ يـتـحرـكـ أـيـهاـ حـرـكةـ كـدهـ أوـ كـدهـ بـعـيدـ عنـ قـوـاعـدـ الـلـعـابـ دـىـ، يـشـطبـواـ عـلـيـهـ ، لـوـ هـوـ لـسـهـ عـيـلـ وـجـسـ بـخـنـقـةـ القـفصـ منـ بـدـرـىـ، يـبـتـدىـ يـلـعـبـ لـعـبـتـهـ بـعـيـدـ، وـجـنـتكـ ياـ بـوـ بـخـيـتـ، تـيجـىـ فـىـ إـيـدـىـ إـزاـزـةـ مـكـسـوـرـةـ، مـوسـ، سـكـيـنـ، سـمـ هـارـىـ، مـجـرـكـ بـعـيدـ عـنـهـمـ حـرـكةـ زـايـفةـ، يـتـهـأـ لـهـ إـنـ دـىـ الـحـرـكـةـ الـلـىـ حـاتـقـدـهـ، وـعـيـنـكـ ماـ تـشـوفـ إـلـاـ النـورـ.

يمكن ده يفسـرـ كلـ السـطـحـيـةـ بتـاعـةـ العـيـلـةـ دـىـ، كلـ الفـرـاغـ الـهـوـ الـلـىـ شـاـورـنـاـ عـلـيـهـ فـىـ الـأـوـلـ، وـالـوـصـفـ المـزـحـرـخـ بتـاعـ كـويـسـ جـداـ جـداـ؛ طـيـبـ جـداـ جـداـ، وـكـريـمـ جـداـ جـداـ، وـامـهـ بـتـحـبـهـ جـداـ جـداـ جـداـ، وـكـلـهـ مـنـ دـهـ، وـهـاتـ اـنـشـغالـ بـالـفـلـوـسـ وـالـسـفـرـيـاتـ وـكـافـهـ عـاـيشـينـ، أـظنـ التـدـينـ الـلـىـ مـوـصـوفـ فـىـ وـرـقـةـ المشـاهـدـةـ (ـالـشـيـتـ)ـ حـسـبـ ماـ وـصـلـ لـنـاـ مـكـنـ يـتـحـظـ فـىـ نـفـسـ

المستوى من النفعية والصفقات، الحاجة اللي باین إنها ضعيفة جدا هنا هي الوصلة بين الناس دول وبين الناس اللي بمحقق، ما شفناش حاجة تدل على إن الناس في وعيهم بصحيح، الوصلة دي اللي مفروض بينهم وبين الناس باین عليها ضعيفة خالص، إذا اتوجدت من أصله.

طيب احنا حانعمل إيه دلوقتي؟ ..

يمكن بعد المقابلة دي نلاقي نقطة بداية، أنا مش متاكد إيه اللي حايفضل منها، إنما ربنا موجود وأدى احنا بنحاول، بس المصيبة إن الفشل اللي فات فطيع، تمانتشاشر مرة مستشفيات!! يا خير!! والواحد عنده أربعة وعشرين سنة؟!!، إيه ده؟

إنتم بتخلوا المدمنين يكتبوا مشاعرهم وكلام من ده، أنا ما ليش خبرة زيكم بصراحة، إنتم ناجحين ما فييش شك، بس الحالة دي عايزه حاجة تانية، ما تنسوش إنه دخل عندنا أظنخمس مرات من التمتناشر دول، لما تيجي تشتبغل معاه لازم تعمل حساب الفشل السابق، ولا إيه؟ يمكن الواد ده لو كتب مشاعره يروح في ستين داهيه، حاجدمع نفسه ويدعانا، حاجة كده زي ابتسامته وججاج أبوه، مشاعر إيه اللي حايكتبها وما خبوا مشاعره كلها تحت البلاطة، وما فاضلشى يا عيني غير الفرقعات اللي بتطلعها السموم دي، و"هرمون السعادة"، و"باحث الناس كلهم"، و"الكلام الفارغ ده"،

الولد ده معظم اللي اتعمل فيه مش تبعه حتى النجاح النجاح النسبي في الدراسة مش تبعه ، وهو خدتها من قاصرها وما بخجي، حتى الجنس ، حاجات كده طيارى، واقدر أثبتت النساء ، وكلام من ده، فيه حاجات كتير ناقصاه، ويمكن ده اللي خلى د. نبيل وعيده يختاروا في مشاعرهم تجاهه، فيه ذات زائفة أو يمكن ذوات زائفة داخلة في بعضها ناتجة من لعبة اجتماعية ناجحة جدا بالمقاييس العادية، قوم جه إعلان فشلها بجسد في إدمان الجدع ده، إلى قدر يوافق من العيلة على قيم النجاح الظاهري دي عدى زي امه واخته، خدوها هيئه هيبه وتحمّوا بيها، اللي مشي الناحية الثانية يعني عادل أعلن فشلها، بس هو اللي دفع من الفشل، دا جو طرى مایع برغم النجاح، والفسح والسفر بزه والفلوس، ده جو كله بيقوت لكله، جنس سماح، شرب سماح، ضرب سماح، بوليس سماح، كله تفويت، والفشل بيزيدي، والتقويت بيزيدي، وخدوه عاملوه زي ما انتو عايزين، وكأن المشكلة بقت مشكلتنا احنا، واحنا اللي عايزين نعالجه عشان بخف، مش هم.

أ. عبده : مشعاور تتكلم حضرتك شوية عن اخته؟

د. يحيى: الحقيقة اخته دى حدوتة لوحدها، يتهياً لي ما فييش وقت، إنما هي عموماً مشت حالها لوحدها بطريقتها الخاصة جداً، لا اشتكت ولا حاجة، وعمالة بعد ما اتجابت اقرقت، وهات يا بادي ولابسه ملط والحمد لله، يعني لما كانت مش محجبة كانت مش مبئنة أى حاجة، ولما اتجببت بینت كل حاجة ،

أنا ما عنتش فاهم حجاب يعني إيه. طيب خلينا نمسك اخته بقى وخطها في وسط الفرض ده، تعالى ندور فين الزيـف اللي فيـها؟

الفترة اللي قعدت تدى فيها دروس وتحفظ وتحفظ القرآن كلـه، إمسـكـها كـده وـشـوفـ فيـن اختـه اللـى بـعـقـ وـحـقـيقـ، نـاجـحةـ حـسـبـ ماـ بـاـيـنـ؟ صـحـيحـ هـيـ حـلـوةـ، وـذـكـيـةـ، وـمـتـدـيـنـةـ، لـكـنـهاـ بـعـيـدةـ، وـنـازـلـةـ أـحـكـامـ وـإـرـشـادـ، دـى حـقـ وـهـيـ مـسـتـغـرـقـهـ فـ الدـيـنـ رـاحـتـ مـلـتـ نـفـسـهـاـ عـلـىـ حـتـةـ مـزـةـ بـالـجـابـ، وـالـلـىـ عـاجـبـهـ، فـيـنـ أـخـتـهـ بـقـىـ فـيـ كـلـ دـهـ، قـولـ لـيـ فـيـنـ؟ أـنـاـ فـيـ تصـوـرـيـ دـىـ وـاحـدـةـ تـسـتـعـمـلـ مـنـ الـظـاهـرـ، لـاـ أـكـثـرـ، يـعـنيـ قـطـهـاـ وـسـطـ كـلـ بـجـاحـاتـهـاـ دـىـ فـيـ وـسـطـ أـوـدـهـ وـتـلـفـ حـوـالـيـهـاـ تـقـولـ اللـهـ حـىـ عـبـاسـ جـىـ، أـنـاـ آـسـفـ لـكـنـ دـهـ اللـىـ وـصـلـ لـىـ.

إنت تمسـكـ العـيـلـةـ دـىـ فـرـدـ فـرـدـ، تـلـقـىـ الـفـرـقـ بـيـنـ عـادـلـ وـبـيـنـهـمـ إنـ ماـ حـدـشـ مـنـهـ وـعـىـ بـالـقـضـيـةـ اللـىـ عـادـلـ اـتـورـطـ فـيـهـ لـاـ اـكـتـشـفـ إـنـهـ مـاـ لـوـشـ دـاتـ، وـبـعـدـينـ لـاـ حـاـوـلـ إـنـهـ يـرـسـمـ لـنـفـسـهـ "ذـاتـ" عـمـلـهـ بـالـلـوـانـ مـيـةـ بـاـهـتـةـ، عـلـىـ وـرـقـ مـنـيـلـ بـسـتـيـنـ نـيـلـةـ، وـمـعـ إـنـ الـلـوـانـ بـتـلـمـعـ فـيـ الـبـداـيـةـ إـلاـ إـنـ كـلـهـ مـؤـقتـ، رـىـ مـاـ قـلـنـاـ الـلـوـانـ بـهـتـتـ وـلـوـرـقـ بـيـطـيرـ. كـلـ الـبـاقـيـنـ مـاـ وـعـيـوـشـ بـهـاـ إـهـمـاـلـ وـهـاـ التـشـوـيـهـ وـهـاـ إـلـغـاءـ لـلـذـاتـ الـقـيـقـيـةـ، بـسـ اـسـتـمـرـواـ، وـالـمـسـائـلـةـ اـتـغـطـتـ بـالـنـجـاجـ وـالـفـلـوـسـ وـالـدـيـنـ، قـشـورـ الـدـيـنـ الـمـصـنـوعـةـ مـشـ الـدـيـنـ الـحـقـيقـيـ.

الجـدـعـ دـهـ لـاـ انـكـسـرـ منـ بـدـرـىـ، يـكـنـ بـفـضـلـ فـرـطـ الـخـرـكـةـ طـفـلاـ، وـعـنـهـ مـرـضـهـ بـالـسـكـرـىـ، وـهـوـ صـيـ جـزـئـيـاـ، وـالـبـاـقـيـ زـىـ مـاـ شـفـنـاـ، بـاـقـولـ الـوـادـ لـاـ اـتـكـسـرـ مـنـ بـدـرـىـ أـعـلـنـهـ بـالـهـبـابـ اللـىـ عـلـمـهـ فـنـفـسـهـ دـهـ، وـدـاـ بـيـعـلـنـ مـنـ نـاحـيـةـ خـيـبـتـهـ، وـمـنـ نـاحـيـةـ تـانـيـةـ بـيـنـهـكـ وـأـنـتـ بـتـعـاـلـجـهـ إـنـكـ مـاـ تـقاـولـشـ تـعـمـلـهـ أـوـ تـدـفـعـهـ إـنـهـ يـبـقـىـ زـىـ اـخـتـهـ أـوـ أـهـلـهـ عـمـومـاـ، إـنـتـ لـوـ حـاـوـلـتـ تـعـمـلـهـ زـىـ اـخـتـهـ حـاـقـفـشـ فـشـ ذـرـيعـ، يـكـنـ التـماـنـتـاـشـرـ مـرـةـ اللـىـ دـخـلـ فـيـهـ الـمـسـتـشـفيـاتـ وـخـرـجـ زـىـ مـاـ دـخـلـ، غـلـطـوـاـ الـغـلـطـةـ دـىـ، وـاـحـدـاـ مـسـتـوـلـيـنـ عـنـ فـشـلـ خـمـسـةـ مـنـ دـوـلـ زـىـ مـاـ اـنـتـ عـارـفـ، الـخـطـةـ تـبـقـىـ مـنـ الـأـوـلـ مـرـكـزـةـ عـلـىـ إـنـهـ لـابـدـ يـطـلـعـ حـاجـةـ خـتـلـفـةـ عـنـهـمـ بـشـكـلـ مـاـ، دـيـنـهـ يـبـقـىـ خـتـلـفـ، أـللـهـ يـبـقـىـ خـتـلـفـ، رـبـنـاـ يـبـقـىـ خـتـلـفـ، يـبـقـىـ رـبـنـاـ بـعـقـ وـحـقـيقـ، جـوـزـ الـخـلـافـاتـ تـبـانـ بـسـيـطـةـ بـسـ نـوـعـيـةـ، وـخـلـىـ بـالـكـ لـازـمـ تـرـاجـعـ نـفـسـكـ فـيـ الـحـالـاتـ دـىـ، يـكـنـ حـدـ فـيـ الـعـيـلـةـ، الـأـبـ بـالـذـاتـ مـشـ عـايـزـهـ مـجـفـ جـدـ، إـنـتـ عـارـفـ حـكـيـاـ يـعـيـاـ بـالـنـيـابـةـ، وـيـضـرـبـ بـالـنـيـابـةـ، وـيـهـلـسـ بـالـنـيـابـةـ، أـنـاـ مـشـ حـاـشـرـحـهـ تـانـىـ، إـنـاـ اللـىـ جـواـ جـواـ الـأـبـهـاتـ أـوـ الـأـمـهـاتـ دـوـلـ بـيـعـملـ عـمـاـيلـ مـهـبـبـةـ مـنـ وـرـاـ الـكـلـ، الـوـادـ دـهـ عـايـزـ يـنـفـ جـلدـهـ، لـاـ يـكـنـ حـاـيـرـضـ يـرـجـعـ لـلـقـصـ المـتـهـشـ ٥٥.

المـهـمـ إـنـ مـهـمـاـ الـحـكـيـاـةـ بـاـنـتـ مـقـفـلـةـ، فـيـهـ رـبـنـاـ، وـفـيـهـ نـقـطـةـ بـدـاـيـةـ لـاـحتـ زـىـ مـاـ شـفـتـواـ، وـاـحـدـاـ وـشـطـارـتـنـاـ، وـرـبـنـاـ يـسـهـلـ، . وـشـكـراـ بـقـىـ .

- الـأـطـفـالـ يـعـرـفـونـ الـتـمـيـزـ أـكـثـرـ فـنـحـنـ نـسـمـعـ عنـ الـطـفـلـ الـذـوقـةـ لـنـوـعـ مـعـنـيـنـ مـنـ الشـيـكـوـلـاتـ أـوـ الـبـسـكـوـيـتـ، وـأـصـحـابـ مـصـانـعـ هـذـاـ أـوـ ذـاكـ يـخـتـرـونـ دـقـةـ صـنـفـهـمـ بـعـرـضـهـاـ قـبـلـ الـتـسـوـيـقـ عـلـىـ أـطـفـالـ لـهـمـ هـذـهـ الـذـائـقـةـ الـحـسـاسـةـ.



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2009

أ.د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية وعديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها وشرف عليها ومشاركة عديدة الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج ٢ مدرسة العرقة)
- مقدمة في العلاج النفسي الجماعي - دراسة في عالم السيكولوجيا (شرح: سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكولوجيا - آثار النفس - حكم المجنين - النظرية التطورية الإيقاعية وأسسات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفي بين التفسير والاستههام - ترحلات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر - آفاق الطب النفسي - حياتنا وطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والتعابن. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي - الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمcis - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتساب إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكتابة الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2010

